رمضان كريم
Ramadan Kareem

تدارس سورة

(ضمن مشروع يتدارسونه)

لفضيلة الشيخ

د. محمد الربيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ،

أهنئكم بهذا الشهر الكريم ،وأسأل الله أن يجعلنا وإياكم فيه من السابقين المقربين ،

ونفتتح مجالسنا لهذا الشهر الكريم حول *سورة طه* .

هذه السورة العظيمة التي هي من العتاق الأول يعني نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، والعتاق هي العتيق ،والأول بمعنى ما نزل مبكرا في مكة ، وقد نزلت في السنة الخامسة من الهجرة مما يدل على ذلك أن عمر رضي الله تعالى عنه أسلم بسببها .

فقد جاءه خبر أن أخته وزوج أخته قد أسلما ، فحمل سلاحه وجاء إليهما وهما يقرآن سورة طه ، فدار بينهما ما دار ثم قال أعطيني ما تقرآن فأبت أخته فاطمة إلا أن يغتسل ،فاغتسل ثم قرأ سورة طه فشرح الله صدره لذلك، ثم ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم .

هذه السورة العظيمة تسمى سورة الكليم لأنها ركزت على الحديث عن موسى وقصته في، فهي من أعظم السور. فالآيات اشتملت على قصة موسى وظهر في هذه السورة من العناية الربانية بموسى الشيء الذي لا يظهر في السور غيرها . ولهذا جاء فيها قوله

واصطنعتك لنفسي، ولتصنع على عيني ،وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. هذه الكلمات التي توحي بالعناية الربانية لموسى عليه السلام.

☆ مناسبة ورود قصة موسى:

مناسبتها انها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن الله قد عنى به عناية خاصة كعنايته بموسى عليه السلام .

☆ما سبب نزولها:

أن المشركين مروا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال أحدهم قد أشقى هذا الرجل نفسه بما يفعل بالصلاة وقراءة القرآن بمعنى أنه لن يستفيد من هذا الذي هو عليه . فحزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، فأنزل الله تعالى هذه السورة طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .بمعنى ما أنت في عبادتك وصلاتك وقراءة القرآن لتشقى .

☆فضائل هذه السورة :

في هذه السورة من الفضائل أن فيها الإسم الأعظم (الحي القيوم) كما في سورة البقرة وآل عمران وطه ، وهذا دليل على فضلها .

هذه السورة سورة السعادات ولذلك افتتحت بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى بمعنى بل لتسعد ، فمن أراد السعادة والإنشراح فليقرأ هذه السورة لتظهر له العناية الربانية بنبيه صلى الله عليه وسلم وبموسى عليه السلام ، وأن الله تعالى يعتني بعباده عناية خاصة .

فضيلة الشيخ محمد الربيعة

☆☆☆☆☆☆☆

الورد الاول

الآيات (١-٨)

طه (١) مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ (٢) إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ (٣) تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى (٤) ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ (٥) لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ (٦) وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى (٧) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ (٨)

طه (١)

هي من جملة الحروف المقطعة المفتتح بها كثير من السور، وليست اسما للنبي صلى الله عليه وسلم، كما هو مشهور . وقيل أن معناها في بعض لهجات العرب وبعض اللغات (يا رجل) . وينادى بها الرجل لطفا وعناية واهتماما فكأنه قيل (يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)، وهذا لا بأس به أن يكون من معاني هذه الحروف فالحروف قد تدل على معاني والله أعلم .ولكن الأصل أنها حروف مقطعة للإعجاز بالقرآن الكريم .

الفوائد والهدايات :

☆هذه السورة فيها يسر وسهولة حتى في نطقها ، بل في أول حرف منها طه فيه سهولة على اللسان ووضوح ، دل على أن القرآن ميسر ويجري على اللسان جريان الدم في العروق .

مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ (٢)

أي ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين.

وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة .

فإن هذا القرآن ليس سبب للتكاليف ،ولذلك يجد الإنسان مع تلاوة القرآن وخصوصا من واصل قراءته آناء الليل وأطراف النهار من الراحة والشوق واللذة والسرور ما لا يجده في كلامه مع الخلائق . إن هذا القرآن يسر الله قراءته فإنما يسرناه بلسانك لتبشر .

فلا شك أن القرآن ميسر وكأن قراءته تبعث على البشرى ، كيف لا وفيه وصف الله تعالى وفيه وصف جنته ونعيمه لأوليائه ووصفه لأنبيائه فلا شك أن ذلك مما يبعث على السعادة والهنا .فهذا القرآن موضع السعادة الحقة لمن أراد السعادة .

الفوائد والهدايات:

☆مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ماأاجمله من استفتاح وما أروعه من استحلال ، ابتدأت به السورة ، حيث يبين من خلالها أن القرآن وما فيه من أوامر ونواهي وهدايات وقصص وأحكام وأخبار إنماأنزلت لمحض السعادة ، وليس فيها شقاوة أبدا ، وهذا من أعظم مقاصد القرآن أنه سبيل للسعادة الحقة الكاملة التي يريدها الله من عباده ، فهذا يبين أن القرآن أعظم مصدر للسعادة والهداية وسبيلها في العاجل والآجل.

☆وفي هذه الآية إبطال النظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعباد ، وأن الإسلام فيه مشقة وتكليف ما لا يطاق ،فمحال أن يكون القرآن أو شيء من تعاليمه وهداياته سببا للشقاء .

☆وفي هذه الآية أن من تعاليم القرآن أنه لا يدعو إلى حسرة النفس على المعرضين عن الإيمان مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ بحزنك عليهم .فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحزن على عدم إيمانهم بعد تبليغهم .

☆وفي هذه الآية أن كثرة التلاوة وتدبر القرآن خاصة في أسماء الله وصفاته وفي وعده ووعيده وفي حديث أنبيائه وقصصهم مما يحقق للإنسان السعادة والراحة والطمأنينة ..

☆وبما أننا في هذا الشهر الكريم ، ينبغي لنا ان نقبل على كتاب الله تعالى ، وأن نتلوه آناء الله وأطراف النهار ، وأن يكون لنا فيه ختمة أو أكثر ويكون من أهداف ختمتنا تحقيق السعادة والاطمئنان والراحة واستقرار القلب وذهاب الهم والغم والأنس بالله وكلامه ومعرفته سبحانه وتعالى .فالإنسان بحاجة إلى ما يسليه ويؤنسه ويذهب حزنه إلى ما يرتقي به في سلم السعادات والكمالات .

☆وفيه من دلالة الآية ، أن القرآن والشقاء لا يجتمعان أبدا وأن أهل القرآن لا يشقون أبدا ، فمن رُزق تلاوته والعمل به زالت شقاوته في الدنيا والآخرة . فالوقت الذي يقتطع لقراءة القرآن وحفظه وتدارسه كمجلسنا المبارك هذه واستنباط هداياته ما هو إلا سعادة وبركات على الإنسان في عقله وقلبه وحياته..وفيه إنما يسعد بالقرآن من أعطى القرآن أفضل أوقاته لا من أعطاه فضل أوقاته ، فليكن للقرآن النصيب الأوفر والأفضل من أوقاتنا.

إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ (٣)

إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيرهب منه، ويتذكر به الأحكام الحسنة

الشرعية المفصلة، التي كان مستقرا في عقله حسنها مجملا، فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سماه الله { تَذْكِرَةً } والتذكرة لشيء كان موجودا، إلا أن صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وهذا يدل على ان أصل القرآن موافق للفطرة فكأن القرآن يحيي الفطرة ويذكرها بما فيها من الإيمان بالله عزوجل .وخص بالتذكرة { مَن يَخْشَى } لأنه هو المنتفع حقا ، المنتفع بالقرآن ليخشى العواقب الذي يتحسب للأمور المستقبلة الذي يريد لمستقبله ان بعيش عيشة سعيدة هنية في الدنيا والآخرة ، أما غيره لا ينتفع بذلك، وكيف ينتفع به من لم يؤمن بجنة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مثقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى* وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى* الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبرى.

الفوائد والهدايات :

☆إن التذكرة من أهداف القرآن ومقاصده الكبرى ولذلك قال تعالى ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب، واستدل بذلك على أن من أعظم مقاصد القرآن التذكر والتذكير ووعدالله ووعيده ، وهو تذكير لما في الفطر السليمة من الإيمان بالله ومعرفته.

☆إِلَّا تَذْكِرَة لِّمَن يَخْشَىٰ ، أهل الخشية هم أهل التذكرة ، وخص تعالى بذكر أهل الخشية لأن من خشي العواقب استعمل عقله وقلّب وجوه الأمور فاستبان له وجه الحقيقة (فمن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل)، فكل من خاف وخشي ونظر الى العواقب واستعمل عقله وحذر فإنه يسلم، ويدل ذلك على سبيل النجاة .

☆ولهذا فإن أقرب طريق للتذكر والاعتبار هو الخشية وإعمال العقل في وعد الله للمؤمنين ووعيده للكافرين .ولهذا وصف الله العلماء إنما يخشى الله من عباده العلماء .

☆في هذه الآية أن مواعظ القرآن أكثر ما تؤثر في القلوب الخاضعة لله أكثر من غيرها ، فإذا كان الإنسان يستمع للمواعظ وهذا شيء طيب وخير إلا أنه ينبغي إذا أردت أن يرق قلبك ويأنس فانظر إلى كتاب الله تعالى متدبرا متأملا .

فإذا جاء العلم مع الخشية ، كان ذلك من أعظم ما يحقق للإنسان الكمال علم وعمل .فالخشية هي مفتاح فهم القرآن وتدبره والاعتبار بما فيه.

تَنزِيلا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى (٤)

ثم ذكر جلالة القرآن العظيم ، فعظم هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وأنه تنزيل خالق الأرض والسماوات، المدبر لجميع المخلوقات، أي فاقبلوا تنزيله بغاية الإذعان والمحبة والتسليم، وعظموه نهاية التعظيم.

وكثيرا ما يقرن بين الخلق والأمر، كما في هذه الآية، وكما في قوله: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وفي قوله: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ وذلك أنه الخالق الآمر الناهي، فكما أنه لا خالق سواه، فليس على الخلق إلزام ولا أمر ولا نهي إلا من خالقهم، وأيضا فإن خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكوني، وأمره فيه التدبير الشرعي الديني، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكمة، فلم يخلق شيئا عبثا، فكذلك لا يأمر ولا ينهى إلا بما هو عدل وحكمة وإحسان.

الفوائد والهدايات :

☆من بيان منزلة هذا الكتاب العظيم وأنه تنزيل ممن خلق الأرض والسماوات العلى فهو عظيم من عظيم خلق عظيما ، فينبغي أن نعظمه في نفوسنا ليكن هذا القرآن أعظم ما نعظمه في هذه الدنيا لأنه كلام الله ووصف الله وهو يدلنا على تعظيم الله عزوجل .

☆في هذه الآيات وصف السماوات بالعلى صفة كاشفة زيادة في تقرير عظمة خالقها دالة على عظمة من يخلق مثلها في علوها ،وتقديم الأرض على السماء فيه إشارة للإعتناء بأهلها والترفق بسكانها بإنزال أعظم الكتب شأنا وإرسال أعظم النبيين قدرا عليها .ولذلك

قدمها على السماوات ، لأن السماوات أعلى وأعظم خلقا إلا لأن هذا القرآن أنزل على أهل هذه الأرض قدم ذكرها في هذه الآية .

☆وفي هذه الآية إشارة إلى لفت انتباه العقول للتفكر والنظر والتأمل لما يحويه هذا الكون العجيب من آيات الله التي تدل على الخالق وعظمة خلقه . فهذا القرآن العظيم يطلعك على أسرار الخلق وتشاهد به الكون بعظمته ودلالاته الدالة على وحدانية الله.

☆وفي قوله تنزيلا ولم يقل إنزالا ، فيدل على التدرج ويشعر بلطف الله ، فالسورة كلها لطف وفيها يسر ، فمن يسر هذا القرآن أنه أنزل منجما مفرقا ميسرا ، ...فالتعبير بالمصدر (التنزيل) هنا فيه ترفق وتمهل ومراعاة للناس لحفظهم وفهمهم .

ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ (٥)

فلما بين أن تعالى الخالق المدبر، الآمر الناهي، أخبر عن عظمته وكبريائه وسلطانه فقال ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ،العرش الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها وأوسعها وهو سقف الجنة ، اسْتَوَى استواء يليق بجلاله، ويناسب عظمته وجماله، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك.

الفوائد والهدايات:

☆ هنا بيان سعة رحمة الله الدالة على تضمن القرآن لجميع مصالح الخلق وسعادتها لأن الرحمن فيها من مضامين الرحمة والخير والسعادة والإحسان والإنعام ما ليس في غير هذا الإسم ، ولهذا جاء به وهو اسم خاص بالله عزوجل . ولذلك قرنه بالعرش الذي هو أوسع المخلوقات والرحمة من أوسع الصفات . فناسب أن يقرن الرحمة التي وسعت كل شيء بالعرش الذي هو أوسع مخلوقات الله عزوجل.

☆تخصيص الرحمن هنا فيه إيماء إلى ما يفضيه هذا الإسم العظيم الكريم اللطيف من خير ورحمة وانعام وإحسان على جميع المخلوقات .

☆فجميل أن نقرأ كتاب الله تعالى لننال رحماته في آياته وكلماته . والرحمن إسم له من الإحاطة والشمول بمعاني الربوبية وجلالها وجمالها ما ليس لسواه من الأسماء الحسنى منفردة إلا إسم الجلالة الله .

☆ففي الرحمن إشعار بلطف الله بنبيه وأوليائه ورعايته بهم . ومن كمال رحمته أن أنزل عليه وحيه وكتابه الذي هو سعادة البشر .

☆وفي هذه الآية إستمالة للنفس الإنسانية إلى التعرض لرحمة الله والتوبة والإنابة والدخول تحت رحمته .وفيها أيضا دليل على أن العرش مخلوق عظيم فوق السماوات السبع ، لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى .لأنه وسط الجنة وأعلاها وفوقه عرش الرحمن والفردوس منه تفجر أنهار الجنة .

لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ (٦)

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا من ملك وإنسي وجني، وحيوان، وجماد، ونبات، كل ذلك بين السماء والأرض، وَمَا تَحْتَ الثَّرَى أي الأرض، فالجميع ملك لله تعالى، عبيد مدبرون، مسخرون تحت قضائه وتدبيره، ليس لهم من الملك شيء، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. ولعل السر في أن الله سبحانه وتعالى يعرف بنفسه بعد بيان إنزال القرآن وبعد أن بشّر أو بيّن لنبيه أنه ما أنزل عليه القرآن ليشقى بل ليسعد ، دلنا على أن أعظم أسباب السعادة هو التعرف على الله وأن أعظم

مقصد من مقاصد القرآن هو التعريف بالله ، فمن عرف الله حق معرفته فقد حقق السعادة كما يرتضيها ويريدها .

وإِنَ تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى (٧)

وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ الكلام الخفي وَأَخْفَى من السر، الذي في القلب، ولم ينطق به ،أو السر هو ما خطر على القلب وأخفى ما لم يخطر أو أن السر هو الذي مضى فأسرّه الإنسان وأخفى ما يريده الإنسان . وأخفى ما لم يخطر. فيعلم تعالى أنه يخطر في وقته، وعلى صفته، المعنى أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء، دقيقها، وجليلها، خفيها، وظاهرها، فسواء جهرت بقولك أو أسررته، فالكل سواء، بالنسبة لعلمه تعالى.

فلما قرر كماله المطلق، بعموم خلقه، وعموم أمره ونهيه، وعموم رحمته، وسعة عظمته، وعلوه على عرشه، وعموم ملكه، وعموم علمه، نتج من ذلك، أنه المستحق للعبادة، وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره باطلة .

الفوائد والهدايات :

☆الله تعالى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي لا يعلمها غيره وهذا يبعثنا على المراقبة التامة لله عزوجل واستحضار نظره سبحانه وتعالى ، وفيه إرشاد للعباد بالاحتياط حين الجهر والإسرار، فمن علم أن الله تعالى يعلم السر وأخفى لم يجهر بسوء ولم يضمر سوء ، بل يبتعد عن معاصي الله في السر والعلن .

☆فالله يعلم ما في نفسك من الخير ،ويعلم ما في نفسك من النية الطيبة ونصح الخلق وهو يعلم قصدك ، فأحسن القصد والنية وليطلع الله على قلبك بما فيه من الخير وحسن الظن واليقين والفأل والبشرى والمحبة للخير وأهله.

☆الآية شاملة للسر الذي يعلمه والسر الذي لا يعلمه .، فقال ابن عباس :السر هو ما أسر ابن آدم في نفسه ، والأخفى هو ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله في المستقبل.

☆وقد تجلت في الآية عظيم رحمة الله بالعباد ، إذ لم يحاسبهم على خطرات نفوسهم السيئة ، ولهذا ينبغي أن الإنسان عليه أن لا يتكلم بما في نفسه إلا للخير، لأنك إذا أظهرت ما في نفسك فالله يحاسبك عليه ، إن لم تظهره فالله تعالى يستره عليك إلا أن تكون عازما عليه لم يمنعك إلا رادع لازما لم تستطع تجاوزه ، فهذا همٌّ بالمعصية وعزيمة عليها ، لكن خواطر النفس فإن الله تعالى من رحمته أنه عفا عنها .

☆ هذه الآية هي من أعظم الآيات التي تفعّل الرقابة الذاتية ، فالإنسان إذا علم أن الله يعلم السر وأخفى فإن ذلك يبعثه إلى أن يراقب الله مراقبة ذاتية وأن يعلم أن الله مطلع على ما في قلبه فلا يكون في قلبه إلا الخير.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ (٨)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أي لا معبود بحق، ولا مألوه بالحب والذل، والخوف والرجاء، والمحبة والإنابة والدعاء، وإلا هو.

لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى أي له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى، من حسنها أنها كلها أسماء دالة على المدح، فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد، ومن حسنها أنها ليست أعلاما محضة، وإنما هي أسماء وأوصاف، ومن حسنها أنها دالة على الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها، ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة مقربة إليه يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها، قال تعالى: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا .

الفوائد والهدايات :

☆هذا الاسم العظيم الذي افتتح الله تعالى به هذه الآية وعرّف به قبل توحيده وهو الاسم الأعظم والجامع لكل صفات الجلال والكمال والعظمة ولذلك تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه .ولهذا كما يقال من أسماء الله الحسنى .

☆فالله هنا في هذه الآية يعرف بنفسه بذكر صفات الكلام ولجلال والعظمة ويزداد المؤمن اطمئنانا وأنسا به وهذا يدل على أن أعظم ما يبعث على الطمأنينة العلم بأسماء الله الحسنى ولهذا ينبغي علينا ونحن نقرأ كتاب الله أن نتأمل أسماء الله الحسنى وأثرها في حياتنا .

☆وأن وصفها بالحسنى دليل على أنها بلغت الغاية التامة في الحسن والكمال . والمتأمل في مطلع هذه السورة يرى اسمين عظيمين لامعين من أسماء الله الحسنى (الرحمن واالله). وقد جاء في الفاتحة الحمدلله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . وهذان الإسمان يربيان المهابة والخشية واللطف والرحمة في شخصية المؤمن ، وقد جمعت بين أسلوب الترهيب في الله والترغيب في الرحمن .

☆فإذا اجتمع في قلب المؤمن ترهيب ورغبة ، كان ذلك دليل على كمال إيمانه ، فمعرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه ومراقبته وإخلاص العمل له وهذا هو عين السعادة ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه الحسنى .

الورد الثاني

الآيات (٩-١٦)

وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (٩) إِذۡ رَءَا نَارا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدى (١٠) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ (١١) إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوى (١٢) وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣) إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ (١٤) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ (١٦)

إن هذه السورة تتحدث عن أعظم قصة في القرآن وهي قصة موسى عليه السلام . وهذه القصة تتكرر في القرآن كثيرا لأمرين :

أن موسى عليه السلام أقرب في شريعته إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعهد بني إسرائيل قريب من عهد الإسلام وإن كان عيسى بعده إلا أن بني إسرائيل أقرب في إختلاطهم كما هم في المدينة ، وما كلفهم الله تعالى به من الشريعة قريبا من حال النبي صلى الله عليه وسلم وأمته. لذلك كثر تكرارها في القرآن الكريم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم كما في هذه السورة وأيضا تحذيرا لبني إسرائيل وما آلوا إليه من سلب الخلافة عنهم بعد أن تلكؤوا وعصوا وأعرضوا عن أمر الله وشريعته.

هنا هذه القصة في سورة طه عن موسى عليه السلام تنبئ عن أول رسالته وليس أول ولادته.فولادته قد جاء تفصيلها في سورة القصص وأما هنا إن الله تعالى ذكر لما سار بأهله ورأى نارا فجاءه نداء ربه.

☆☆☆☆☆☆☆

وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (٩)

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على وجه الاستفهام التقريري والتعظيم لهذه القصة والتفخيم لها، فالله تعالى يفخم ويعظم هذه القصة لأنها قصة النداء والتكليم وهي من أعظم المقامات التي حصلت في الدنيا وهي مقام التكليم بين الله وبين نبيه موسى عليه السلام .ومن أعظم المقامات أيضا الإسراء والمعراج الذي سار بالنبي صلى الله عليه وسلم وكلم ربه. فهذه المقامات حفظها القرآن لأنها مقامات إلهية ربانية فيها عناية وخصوصية.

هَلۡ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى في حاله التي هي مبدأ سعادته، ومنشأ نبوته، أنه رأى نارا من بعيد، وكان قد ضل الطريق، وأصابه البرد، ولم يكن عنده ما يتدفأ به في سفره.

هذه القصة تنتظم في مقصد السورة بأن الصلة بالله هو السعادة وذلك أن السورة ابتدأت بالحديث عن القرآن الذي هو سعادة محمد صلى الله عليه وسلم وسعادة الأمة . فإذا كانت سعادة النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن ، فإن سعادة موسى عليه السلام قبل ذلك بلقاء ربه وتكليمه. هذا يؤكد على أن أعظم لقاء يسعد به قلبك هو لقاءك مع كلام الله عزوجل والصلة به في تلاوة كتابه أو في الصلاة .

الفوائد والهدايات :

☆ إن ابتداء القصة بالإستفهام هَلۡ أَتَاكَ ، فيه تنبيه للسامع وتحريك لانتباهه وفيه بلاغة القرآن في الانتقال من موضوع إلى موضوع ، لأنه قبل تحدث عن الله ثم انتقل إلى الحديث عن موسى عليه السلام فعطف الكلام عن نفسه تعالى بالكلام عن لقائه بنبيه موسى عليه السلام .

☆وفي هذه القصة أهمية تعلق قصص الأنبياء والاطلاع عليها للعبرة والعظة وقد حث القرآن على ذلك في مطلع الاخبار عن قصة موسى في قوله وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ .

☆ وفي كلمة حَدِيثُ مُوسَىٰٓ أن هذه قصة من القصص التي يتحدث بها وينبغي أن يحدث بها وتقص على الناس ويذكر الناس بها لأنها فيها لقاء الله لموسى عليه السلام وهو أعظم لقاء تاريخي على وجه الأرض يكلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام.

☆فيها أيضا أن تدبر قصة موسى وتأملها فيها تجلي لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى لأنبيائه وأوليائه وآثار هذه الأسماء على أصفيائه ، فينبغي ان نتأمل ما في قصص القرآن خصوصا قصص الأنبياء فيما حصل بين الله وبين أنبيائه من نداء وحوار وتوجيه وتعاليم .

☆هذه القصة وكثير من القصص هي تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يعانيه من تكذيب قومه له فهي تأنيس ولذلك من أراد أن يستأنس بعد وحشة أو هم أو غم فليقرأ هذه القصة فإنها أنزلت لتأنيس قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته مما يعانيه من قومه.

☆وقصة موسى عليه السلام إنما عظمت لعدة أمور :الأمر الأول أنه كليم الله كما في هذه الآيات والأمر الثاني أنه عالج وواجه أعظم طاغية في التاريخ وهو فرعون وجنوده ، وعالج بني اسرائيل وهم من أشد الأقوام التي عولج بالشرائع. فلا شك أن هذه القصة لها شأن عظيم في كتاب الله تعالى ولذلك تكررت كثيرا .

إِذْ رَءَا نَارا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدى (١٠)

فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ أي: أبصرت ، والإيناس هنا فيه سرور وفرح وفأل ، وهذا يؤكد أن الإنسان ينبغي أن يكون دائما في نظرته إيجابي وليس سلبي ، بمعنى أن الإنسان

ينبغي أن ينظر إلى الحياة بنظرة إيجابية فيأنس بما يراه ويحسن الظن ويقدم الفأل على التشاؤم كما هو حال الأنبياء وكما هو حال موسى عليه السلام .

نَارًا وكان ذلك في جانب الطور الأيمن، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أي تصطلون به، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى أي من يهديني الطريق. وكان مطلبه، النور الحسي الذي يستضيء به ويدله الطريق ويستدفء به والهداية الحسية، فوجد ثم النور المعنوي، نور الوحي، الذي تستنير به الأرواح والقلوب، والهداية الحقيقية، هداية الصراط المستقيم، الموصلة إلى جنات النعيم، فحصل له أمر لم يكن في حسابه، ولا خطر بباله.

وهذا يجعلنا نأخذ من هذا أن الإنسان قد يطلب أمرا بسيطا فيفتح الله تعالى عليه فتحا عظيما ، وأنه ينبغي أن ننظر إلى هدايتنا في الحياة وأسباب النجاة لنتجاوز الحسي إلى المعنوي . بمعنى آخر الإنسان عندما يطلب أسبابا مادية حسية ينبغي أن يطلب معها توفيقا إلهيا وهداية وبركة من الله تعالى وعونا منه وإيناسا منه تعالى .

فوائد وهدايات:

☆في هذه الآية دليل على الحذر والانتباه لمعالم الطريق ، ومن فوائد هذه الآية العناية بالأهل وحفظهم وأن يحمي الرجل أهله ويحفظهم مما يخوفهم .

☆وفيه التريث والتؤدة وعدم العجلة في السفر ،لا سيما اذا كان الإنسان معه نساء لهذه قال لأهله ٱمْكُثُوٓاْ انتظروا .

☆وفيه أيضا حرص الزوج على زوجته ورحمته بها والسعي لخدمتها وحسن عشرتها وحمايته لها من أذى محتمل كما فعل موسى عليه السلام مع أهله ، إذ لم يأخذهم إلى هذا الموطن الذي لا يعرف ماذا فيه ومن فيه.

☆وفيها أيضا صفة الغيرة على المحارم فإن موسى عليه السلام إنما جعل أهله بعيدا عن النار لأنه غالبا أن يكون فيها رجال ، فلذلك أراد أن يحفظ أهله من أن يراها الغرباء ، وفي هذا دليل على مشروعية البعد بالأهل عن مواطن الاختلاط بالرجال وهي صفة الأنبياء عليهم السلام في غيرهم .

☆وفيها أيضا أن الإنسان قد يرى الأمور على غير حقيقتها ، قال ابن عباس رضي الله عنه : فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله فلا تحكموا على الأمر من أول وهلة ولكن استبشروا لما تروه.

☆ٱمۡكُثُوٓاْ في هذه الكلمة دلالة عجيبة وهي أن هذه الكلمة تعني الانتظار غير الطويل أولا وفي هذا دلالة على أن التلطف مع الاهل والزوجة وانتقاء أفضل العبارات التي تخفف على نفوسهم ألم البعد ولو كانت في أشد اللحظات. وهنا دلالة على تعظيم مكانة الأهل واحترام الزوجة وتقديرها وتكريمها وهذا من هدي الأنبياء .

☆ومن الفوائد العظيمة وهي أن يخبر الزوج زوجته الى أين هو ذاهب وهنا ذكر وجهته وسبب تركه لهم .

☆والتعبير بالإيناس خصوصا في الخطاب مع الأهل وفي تركهم ، فيه الأنس والاستئناس بما رأى والإنشراح لما رأى فإن في هذا التفاؤل وأن الإنسان ينبغي أن يكون دائما متفائل وينبغي أن يدخل على أهله السرور وينبغي أن يبشرهم وخصوصا المرأة جبلت على الخوف لضعفها فهي لأدنى الأشياء قد تخاف .

☆ففي حال الأشياء التي فيها خوف أو شيء فيه أحداث معينة فيها قلق ،فينبغي للإنسان أن يبشر خاصة مع الأهل ومع المرأة. لأن لفظ الإيناس ولم يقل إني رأيت فيه تفاؤل وفيه بث الأنس وفيه تغيير الحال من الخوف إلى الأمن ومن الفزع إلى السكينة . فدائما الإنسان إذا رأى ما يخيف أهله يبشرهم بما يرى من الفأل وحسن الظن .

☆وفيها دليل على الأخذ بالأسباب وأنه لا ينافي التوكل ، ...ففعل الأسباب والسعي إلى تحصيلها أمر مشروع ينبغي على الإنسان أن يفعله ولا ينافي التوكل أبدا.

☆وفي هذه الآية أيضا أن طلب الأشياء التي يحتاجها الإنسان من الآخرين ليس عيبا ،فهذا موسى عليه السلام ذهب ليأخذ نارا أو يستفسر وهذا ليس فيه عيب أو عار .فالإنسان إن احتاج إلى شيء وذهب الى جماعة ليطلب حاجته فهذا ليس بعيب وليس فيه من خوارم المروءة .

☆قوله تعالى إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارا تتجانس هذه الكلمة مع مقصد السورة وهي الإيناس للرسول عليه الصلاة والسلام .فالسورة هي للتأنيس ، فمن أراد الإيناس عند الوحشة فيقرأ هذه السورة .

☆وفيها أيضا أن للحق والنور علامات وإرهاصات تسبقه قد يشعر بها المرء قبل أن يصل إليها. فقبل اللقاء الله سبحانه وتعالى أشعره بهذا النور من بعيد حتى يأنس فيأتيه وهو في فرح وسرور وأنس وطمأنينة ، ....

☆في هذه الآية دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يتحرى الألفاظ التي تشعره بالأمل والفرج والاحتمالات التي فيها خير وليس احتمال واحد ، وهنا ذكر عدة احتمالات فيها فأل.

☆وفيها أيضا أن حاجات الأهل في السفر أعظم من حاجاتهم في الحضر لأن غالبا الإنسان يكون مطمئن في بيته حتى لو نقصه شيء لكن في السفر الإنسان ليس عنده مكان فيه احتياجاته فينبغي للإنسان أن تكون عنايته في سفره أكثر من عنايته في حضره.

☆وأيضا علينا أن نتعرف على طبيعة أخلاق الأنبياء ونقتدي بهم في تعاملهم مع أسرهم ، فهذا موسى عليه السلام يسير مع أهله ويخبرهم ويؤنسهم ويبين لهم سبب الأمر ، فهذا حقيقة يدل على أنهم يعيشون حياة طبيعية مع أهلهم ولم يجعلوا لأنفسهم منزلة من التعامل

الذي يتجافى فيه عن الأهل وعن الحديث معهم وأن لا يرى لأهله أمرا أو شأنا فيتصرف وكأنه ليس معه أحد وليس لغيره شأن ، ..

☆وهنا دليل على أنه مهما علت منزلتك الاجتماعية ومسؤوليتك الوظيفية فإن من المروءة أن تقوم بنفسك بخدمة أهلك. فالإنسان اذا صحح مساره وكانت حياتها أصلها مبنية على الخير والطاعة والبر والإحسان فإن طريقه آمن بالله تعالى وأن الله تعالى يحفظ له ذلك. فعلى الإنسان أن يستعد لأيام الشدة في أيام الرخاء بالأعمال الصالحة وخدمة الناس وصنائع المعروف.

☆أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى لم يقل أو أجد على النار خبرا أو دليلا، فكلمة هدى لها دلالة ألا وهي أن التعبير بلفظ الهداية إشارة إلى أن الصالحين من عباد الله يستخدمون الألفاظ المشروعة ويتطلعون إلى قضية الهداية في الأمور الدنيوية والأهروية ، فقوله هنا (هدى) استخدمها في دلالة الطريق ، ...فالألفاظ التي تستخدمها ينبغي أن تكون ألفاظ سامية وعظيمة وتدل على معالي الأمور وتدل عل أهداف بعيدة وغير ذلك....

☆أيضا هذه الآية تدل على قضية حسن الظن بالله سبحانه وتعالى أن الإنسان وهو ذاهب إلى أمر ينبغي أن يحسن الظن بالله ، فنحن لا نظن بموسى إلا وهو يتفاءل في ذلك الوقت أن الله سيهيء له الأسباب فهو يعرف ربه . فينبغي إذا جاءتك الأمور الصعبة أن يكون قلبك مع الله في حسن ظن وليس في سوء ظن فالله يعطيك على حسب ظنك ،...فانظروا كيف توافق القلب مع اللسان هنا في حسن الظن والفأل ...

☆لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ هنا إشارة على الرضا بالقليل والاستئناس به ، وهذا بدل على أن الإنسان يأخذ من الدنيا ما احتاجه وأن يرضى بالقليل ما يقضي حاجته .

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ (١١)

فَلَمَّا أَتَاهَا أي النار التي آنسها من بعيد، وكانت –في الحقيقة– نورا وليست نارا ، وهي نار تحرق وتشرق، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره " فلما وصل إليها نودي منها، أي ناداه الله، كما قال: وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا .

فوائد وهدايات :

☆فَلَمَّآ الفاء تدل على السرعة فلعله لما ترك أهله كان مسرعا ليرجع إليهم ، فينبغي على الإنسان إذا كان غائبا عن أهله أن يستعجل حاجته ليرجع إلى أهله ،...

☆الفاء هنا تفيد بطلان بعض الروايات الإسرائيلية في هذه الواقعة من أن النار كانت تتأخر عنه عندما قرب منها، فهذه الروايات منها ما هو صحيح ومنها ما هو باطل .

☆في هذه الآية دليل على صفة الكلام لله تعالى في قوله نُودِيَ من المنادي هو الله سبحانه وتعالى .

☆وفي هذه الآية دليل على الخلوة بالله سبحانه وتعالى ومناجاته فانظروا كيف أن الله تعالى منح موسى هذه الخلوة وهذا اللقاء الخاص .

☆وهنا دليل على أن الله سبحانه وتعالى يمنح عباده أولياءه المقربين منه توفيقا وتيسيرا لأسباب الهدى ويهيء لهم أسباب الخلوة به والقرب منه والإستئناس بطاعته ومناجاته . فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج لوحده ويذهب لغار حراء ويتعبد لله تعالى في خلوة ، فإن المكان الذي تستأنس فيه مع الله هو خير مكان .فالخلوة مع الله عزوجل لا يماثلها شيء في الأنس حتى لو كانت في أماكن بعيدة ومظلمة وخالية .

☆وفي هذه الآية أن نداء الأشخاص بأسمائهم له دلالة (يا موسى) ومن المنادي (الله عزوجل) فلا شك أن هذا النداء عظيم في تكريم موسى عليه السلام .والعجيب أننا نجد في القرآن أن جميع النداء للأنبياء من الله جاء بأسمائهم إلا أن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يأت في القرآن بندائه بمحمد بل يا أيها النبي ،... ولعل فيه تعظيم وتبجيل وخصوصية له عليه الصلاة والسلام .

☆ومن العجيب في هذه الآية أن فيه لطف وعناية وتلطف بموسى وكرر النداء عليه خمس مرات . ولعل في هذا فيه تلطف ومؤانسة وإزالة للوحشة .

☆ولا شك أن موسى عليه السلام وهو يسمع هذا النداء من ربه ، فسيجد فيه من الأنس والقرب والعناية والرعاية من ربه ما لم يجده من نداء غيره .

إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى (١٢)

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى أخبره أنه ربه، وأمره أن يستعد ويتهيأ لمناجاته، ويهتم لذلك، وإنما أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بخلع النعلين استعدادا وأن يعلم أنه قادم إلى لقاء عظيم ،لأنه بالوادي المقدس المطهر المعظم، ولو لم يكن من تقديسه، إلا أن الله اختاره لمناجاته كليمه موسى لكفى، وقد قال كثير من المفسرين: " إن الله أمره أن يلقي نعليه، لأنهما من جلد حمار " فالله أعلم بذلك.

وهذه الآية لا يؤخذ منها مشروعية ترك النعل في الصلاة ، وإنما يؤخذ منها الإستعداد للقاء الله تعالى ، لأنه جاء في شرع نبينا صلى الله عليه وسلم أنه صلى عليه الصلاة والسلام بنعليه.

الفوائد والهدايات :

☆أولا عرف عزوجل بنفسه ثم أمر موسى عليه السلام بقوله أقم الصلاة لذكري . ومن هنا نعلم أن أعظم ما يتعلمه الإنسان معرفة ربه .ولهذا أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم إقرأ باسم ربك ، فأول إسم تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من ربه هو اسم الرب وهذا دليل على فضل اسم الربوبية وأن ما يتعلمه الإنسان وتلقنه من والديه هو معرفة ربه .

☆في قوله إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ فيه كمال العناية وحسن التدبير له كانه يقول أنا ربك الذي أعتني بك وأحسن تدبيرك ففيه من معاني اللطف والرحمة والعناية ما فيه .

☆وفي هذه الآية دليل على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة وهذا الذي خص به موسى عليه السلام من بين سائر الأنبياء عند بداية بعثته وتكليفه بالرسالة. فحميع الأنبياء أول ما كلفوا بالرسالة هو بالوحي ، ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،أما موسى عليه السلام فخصه الله بأنه كليمه وكلمه الله مباشرة .

☆إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ إن إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه السلام فيه تمام الرعاية والعناية الربانية وعظيم اللطف من الله لموسى عليه السلام .

☆في قوله فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ، تهيئة النفس قبل الدخول الى الأماكن الفاضلة ليكون على استعداد ، وفيها أيضا أن الافتقار والتذلل والإنكسار بين يدي الله هو الحال الذي يجب أن يستشعره العبد عند لقاء ربه ولهذا وقف موسى عليه السلام حافيا أمام ربه في ليلة باردة في واد مظلم ، فالله يحب عبده أن يكون على مظهر من الافتقار والتذلل والخضوع والخشوع .

☆وفيها منهج من مناهج التربية أن التربية قبل التعليم فهذا أول أمر إلهي لموسى عليه السلام قوله فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ . فتعليم الأدب من قضايا الوحي الكبرى والأدب ينبغي أن

يكون قبل العلم ، بأن يكون الإنسان معظما لله وأن يكون مهتما ومهيئا ولهذا قال الله تعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام يا أيها المدثر...وثيابك فطهر...

☆وفيها أيضا أن يكون أول أمر إلهي لموسى عليه السلام أنه لا ينبغي للإنسان تهوين بعض أوامر الشرع على أنه أمر بسيط ويسير .فأول أمر تلقاه موسى متعلق بنعليه.فينبغي للإنسان أن يعظم جميع أوامر الله تعالى ولو كانت من الأشياء التي لا يأبه لها فينبغي أن يكون الشرع عندك عظيما حتى ولو كان في أمر يسير .فالله يربي نبيه موسى حتى في قضية النعل .فانظروا كيف يصنع الله شخصية موسى عليه السلام فيصنعه بالآداب والتعليم والتهيئة .

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣)

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ أي تخيرتك واصطفيتك من الناس،وهذه الكلمة العظيمة التي توحي بالخصوصية التامة والعناية التامة والرحمة التامة ، وهذه أكبر نعمة ومنة أنعم الله بها عليه، تقتضي من الشكر ما يليق بها، ولهذا قال فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى أي ألق سمعك للذي أوحي إليك، فإنه حقيق بذلك، لأنه أصل الدين ومبدأه، وعماد الدعوة الإسلامية. وهذا يدل على فضيلة الاستماع إلى الوحي وتلاوته ، ونحن في شهر رمضان شهر القرآن ينبغي أن يكون لنا شأن في سماعه وتلاوته.

إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ (١٤)

ثم بين الذي يوحيه إليه بقوله: إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أي الله المستحق الألوهية المتصف بها، لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المنفرد بأفعاله، الذي لا شريك له ولا مثيل ولا كفو ولا سمي. وتأملوا كيف أن الله سبحانه وتعالى أول ما كان من لقائه بموسى وتكليمه أنه عرف بنفسه سبحانه وتعالى وبألوهيته ، فدل على ان أعظم تعريف لله تعالى وأكمل تعريف

هو التعريف بالألوهية والربوبية . إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وهذه الكلمة قبلها(انا ربك)هي التي جاءت في سورة الفاتحة (إياك نعبد وإياك نستعين). فكان نصيب نبينا صلى الله عليه وسلم من التعريف سورة الفاتحة التي بشر بها عليه الصلاة والسلام، وسورة الفاتحة هي السورة الرابعة .وأما موسى عليه السلام كان نصيبه من هذا التعريف هو قوله تعالى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا.

فَاعْبُدْنِي بجميع أنواع العبادة، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادة، لفضلها وشرفها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح، فاللسان ينطق والجوارح تتحرك والقلب هو المستحضر للقاء الله عزوجل بالخضوع له..

وقوله: لِذِكْرِي اللام للتعليل أي أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة. وإن أعظم ما يؤنس القلب ويسعده هو الصلاة لله فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

قال الله تعالى: اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ أي ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ (١٥)

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أي: لا بد من وقوعها أَكَادُ أُخْفِيهَا أي عن نفسي كما في بعض القراءات، كقوله تعالى: يَسْأَلَكَ الناس عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ الله وقال: وَعِنْدَهُ

عِلْمُ السَّاعَةِ فعلمها قد أخفاه عن الخلائق كلهم، فلا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والحكمة في إتيان الساعة لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى من الخير والشر، فهي الباب لدار الجزاء لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. فالعبرة من يوم القيامة هي كي تجزى كل نفس بما تسعى .

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦)

أي: فلا يصدك ويشغلك عن الإيمان بالساعة، والجزاء، والعمل لذلك، من كان كافرا بها، غير معتقد لوقوعها.

يسعى في الشك فيها والتشكيك، ويجادل فيها بالباطل، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعا في ذلك هواه، ليس قصده الوصول إلى الحق، وإنما قصاراه اتباع هواه، فإياك أن تصغي إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئا من أقواله وأعماله الصادرة عن الإيمان بها والسعي لها سعيها، وإنما حذر الله تعالى عمن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله وكون النفوس مجبولة على التشبه، والاقتداء بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك، وذكر في هذا الإيمان به، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، لأن هذه الأمور الثلاثة أصول الإيمان، وركن الدين، وإذا تمت تم أمر الدين، ونقصه أو فقده بنقصها، أو نقص شيء منها.

وهذه نظير قوله تعالى في الإخبار عن ميزان سعادة الفرق، الذين أوتوا الكتاب وشقاوتهم: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

وقوله فَتَرْدَى أي تهلك وتشقى، إن اتبعت طريق من يصد عنها .

الورد الثالث

الآيات (١٧-٢٣)

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّة تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ (٢١) وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى (٢٣)

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧)

لما بين الله لموسى أصل الإيمان، أراد أن يبين له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه، وتقر به عينه، ويقوي إيمانه، بتأييد الله له على عدوه فقال وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ، بمعنى أن الله تعالى لما عرفه بنفسه بالإيمان والتوحيد أراد أن يريه آية أمام عينه يرى فيها قدرة الله في نصرته وتأييده فيطمئن قلبه وهو ذاهب إلى طاغية الأرض فرعون فإذا علم ورأى من آيات الله التي تتحول بقدرة الله تعالى قرة عينه وقوة إيمانه ويقينه وتوكله ، وقال وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى هذا مع علمه تعالى بما في يمينه وأنها عصا ولكن لزيادة الاهتمام في هذا الموضع، أخرج الكلام بطريق الاستفهام وليكون توطأة لما بعده من تحويلها إلى حية.

الفوائد والهدايات :

☆هنا استهلال اللقاء والدرس بالسؤال هو أسلوب من أساليب التعليم ويحفز المتعلم ويستدعي ذهنه وفكره واهتمامه ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يطرح التساؤلات

على أصحابه . فمثلا مرة كان جالسا بين أصحابه فقال عليه الصلاة والسلام : إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها...الحديث.

☆وفي هذه الآية أيضا مشروعية حمل العصا ، فهذا موسى عليه السلام عمره بالأربعين لم يشيب وليس بحاجة إلى العصا للاتكاء لكن حمل العصا فيه وقار وفيه أيضا منافع أخرى كما قال موسى عليه السلام .

☆وفيه أيضا الأخذ باليمين وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ، وأن استعمال اليمين في الأمور الشريفة والكريمة ،.وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيمن في شأنه كله أي في الأشياء الشريفة .

☆وفي هذه الآية أيضا استحباب تهيئة الخواطر قبل إلقاء الأوامر حتى في خطابنا البشري ينبغي قبل أن نوجه الأوامر أن نمهد لذلك بتهيئة وتطييب الخواطر. وأي تطييب للخواطر من أن يسأل الله تعالى موسى عن عصاه فيؤانسه بها قبل أن يكلفه .

☆وفيها أيضا أن الله عزوجل كان يعلم أن في يده عصى لكنه أراد أن يقرر عنده أنها عصا لا حية ليري له منها آية فيعلم ذلك . بمعنى هو أراد أن يؤكد له أن ما في يمينه عصا فلا يصيبه شك حينما يأمره الله تعالى بإلقائها أنها حية في الأصل فأكد له بنظره أن هذه عصاك.

☆وفيها من الفوائد أيضا منهج الحوار الهادف وهو أسلوب تربوي يصل به الداعي إلى القلوب ، والحوار أسلوب من أساليب التعليم والتوجيه والتهيئة والتدريب .

☆ومن أصول تربية تعليم النشئ السؤال والحوار والمؤانسة ونحو ذلك .

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨)

هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ذكر فيها هاتين المنفعتين، منفعة لجنس الآدمي، وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه، فيحصل فيها معونة، ومنفعة للبهائم، وهو أنه كان يرعى الغنم، وما من نبي الا ورعى الغنم فإذا رعاها في شجر الخبط ونحوه، هش بها، أي ضرب الشجر، ليتساقط ورقه، فيرعاه الغنم.

هذا الخلق الحسن من موسى عليه السلام، الذي من آثاره، حسن رعاية الحيوان البهيم، والإحسان إليه دل على عناية من الله له واصطفاء، وتخصيص تقتضيه رحمة الله وحكمته ، فإذا كان هذا النبي قد عنى بشأن الحيوان يهش بها فكيف بمن يعتني بالإنسان ورعايته وخدمته وخاصة الأقربين . فموسى عليه السلام قد اهتم بغنمه فاعتنى به الله عزوجل.

وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أي مقاصد أُخْرَى غير هذين الأمرين.

ومن أدب موسى عليه السلام، أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال محتملا عن السؤال عن عينها، أو منفعتها أجابه بعينها، ومنفعتها وهذا من كمال الفهم وهي أن الإنسان يجيب إجابة تحيط بسؤال السائل حتى لا يكلف السائل بسؤال آخر .

الفوائد والهدايات :

☆نلاحظ هذا اللطف من موسى عليه السلام في نسبة العصا له ، فلم يقل هي عصا بل قال هي عصاي بمعنى إفراد ضمير الشأن لعصا وإضافته إلى نفسه ، وعصاي تفيد أن لهذه العصا صحبة طويلة معه فهو لم ينس فضلها عليه وهي جماد فكيف بمن ينسى فضل البشر عليه فضلا لنسيانه فضل ربه عليه وعدم شكره .وأن لهذه العصا شأنا معنويا يشعر به موسى عليه السلام ، فالعصا مؤنسة وكأنها كائن حي .فموسى عليه السلام يبدي حقيقة علاقته بهذه العصا وقد أشار إلى ذلك ابن عاشور رحمه الله تعالى.

☆أيضا في قوله عَصَايَ، وسؤال الله عزوجل موسى العصا ، الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة في حياتنا ، يجعلها كبيرة وذلك شأن في حياتنا المستقبلية ، فها هو ربنا عزوجل يسأل

موسى عن أمور بسيطة في حياته ، فالاهتمام بصغائر الأمور وتفاصيلها واعتبارها وتذكر نعمة الله عزوجل فيها يجعل لها شأن. ولعل موسى عليه السلام أطال في ذكر تعداد العصا من باب شكر نعمة الله عزوجل عليه. فهذه العصا التي هي من نعم الله قال هي عصاي أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ، وكل هذا من تعداد النعم .فعدد نعم الله عزوجل عليك في أصغر الأشياء ،أما الذين يحتقرون نعم الله الكبيرة فأولئك ليسوا من الشاكرين . فكيف بمن يعرف نعمة الله تعالى في أدق تفاصيلها أولئك هم الشاكرون لله حقا .

☆فهناك أمور بسيطة جدا حين نجعل لها اهتمام يكون لها شأن وأثر ، لذلك كبار السن يعرفون هذا ويعظمون الأشياء الصغيرة ويهتمون بها وليس هذا من قلة علمهم أو قلة ما في يدهم وإنما الإنسان عليه أن يقدر ما في يده ولو كان شيئا يسيرا .

☆في قوله عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ، أول منافع العصا الشخصية الإستناد والاعتماد عليها وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون عليها في صلاة التراويح ، ذلك أن صلاتهم ليست كصلاتنا نحن اليوم ، والله المستعان. كما جاء في الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أبي بن كعب وتميم الداري أن يقوم للناس بإحدى عشرة ركعة ، قال وقد كان القارئ يقرأ قرابة نصف البقرة حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام وما كنا ننصرف إلا مع طلوع الفجر ، هذا قيامهم والله المستعان .

☆وهذه الآية تدل على أن موسى عليه السلام طويل الرحلة واحتاج إلى هذه العصا ، ويدل على ما لقاه موسى من الجهد والعناء والتعب وليس من الكبر، فهو نبي الله ومن أولي العزم بل إن الله اصطفاه واختاره. بمعنى ما كان هذا النبي الذي هو يعتبر ثالث أفضل رجل في البشرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم وابراهيم ، ما كان يعيش في الترف والعيش وأن الله تعالى هيأ له أسباب العيش. فقد كان يمشي بتعب وجهد وهو من أعظم وأشرف وأفضل خلق الله تعالى من البشر .

☆فلا ينبغي للإنسان حينما يفقد نعمة من النعم يصبح يقول أن والله أعيش في كدر بل إنه ينبغي أن يتطبع على طبيعته ويتعايش مع واقعه الذي بين يه حتى ولو ضاق به العيش.

☆ذكر بعض السلف منافع للعصا ، قال الحسن فيها ست خصال : سنة للأنبياء وزينة الصلحاء ، سلاح على الأعداء وعون للضعفاء وزيادة في الطاعات ...وسئل أعرابي عن عصاه فقال : أركزها لصلاتي وأعدها لعداتي وأسوق بها دابتي وأقوى بها على سفري وأعتمد بها في مشيتي ، وألقي عليها كسائي فيقيني الحر .....فهذا تعداد فوائد العصا ، فكل شيء في حياتنا له مآرب .

☆فمن أفضل ما يمكن أن يستفاد من هذه الآية أن الإنسان ينبغي أن يستثمر الوسيلة التي بين يديه في أفضل ما يمكن ....دائما الإنسان يحاول أن يجعل في الوسيلة عشر وسائل وأكثر فإن هذا من استثمار الوسائل ، أما الذي يكون عنده شيء واحد لا يستثمره إلا في شيء واحد ، فهو الآن عطل مصالحه وهي بين يديه ،فعلينا استخدامها في خدمة دينه وفي مصالحنا الشخصية وفي خدمة الآخرين ونفعهم .

☆في قوله وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ، فيه دلالة على أن موسى عليه السلام لينا مع غنمه ورحيما بها ومهتما بها وهكذا أنبياء الله أرحم الخلق ، فقال وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وليس ضربا وأيضا ينتقي لها ما طاب لها ، لأن الهش أنه يضرب الشجر ليتساقط من الشجر ما يناسب الغنم . فالإنسان ينبغي أن يكون معتنيا بما يصاحبه حتى لو كان بهيمة ، ومهتم بمن حوله حتى ولو كان قطة . فالإنسان الرحيم بأدنى الخلق حتى ولو كانت قطة تطعمها.

☆في هذه الآية أشرف لقاء تشرف به بشر على وجه الأرض وهو موسى عليه السلام في لقائه مع ربه وتكليمه مباشرة ، فتحدث موسى عن رعي الغنم وسأل الله نبيه عن العصا ، فانظر إلى موسى عليه السلام لم ينس الغنم ، فكان بإمكانه أن يقول هي عصاي أتوكؤ عليها لكنه تذكر هذه الغنمة التي تصاحبه وهي معه . فالإنسان ينبغي أن لا يفكر بنفسه فقط ينبغي أن يفكر بكل من حوله حتى ولو كان حيوانا .

☆ينبغي للمسلم أن يستشعر قيمة الأشياء سواء كانت صغيرة أو كبيرة . ففي هذه الآيات دليل على أن الرعي من سنة الأنبياء ، وأن رعي الغنم فيه تربية وتنشئة وفيه تدريب على الخدمة والعمل الشاق وتدريب للنفس على الخضوع والتواضع ،فإن الغنم أثرها على الإنسان بالتواضع كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الكبر والخيلاء في أصحاب الإبل بخلاف الغنم ففيها السكينة والطمأنينة .

☆وفيها أن الله تعالى إذا أراد شيئا هيئ أسبابه ولو كانت بسيطة جدا، ففي هذه العصا إنقلبت من هداية الطريق إلى هداية العالم ، فانظروا كيف أن الأسباب الصغيرة قد تكون عظيمة جدا ببركة الله تعالى لها ، فالله تعالى يرى ما في نفسك بل الأشياء اليسيرة في منافع الناس فإن الله تعالى يجد لها أثرا كبيرا .

☆في هذه الآية أشار بعض المفسرين على ضرورة البدء بالأولويات وأنه من هدي الأنبياء ، فبدأ بنفسه فقال أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ثم أخذنا بمصالح رعيته وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ، فهذه من ترتيب الأولويات ومن تنويع المصالح .

☆في هذه الآية أيضا يشعرنا قول وَلِيَ فِيهَا مَأَرِبُ أُخْرَىٰ ربما لا تشعر بقيمة ما معك حتى تتفطن لمآربه ومنافعه ، لذلك ينبغي على الإنسان أن يحرك ذهنه في كل شيء معه وحوله ومن معه في معرفة منافعه ومصالحه .

☆ومن فوائد العصا وحملها أنها تذكر بالسفر إلى الآخرة والانتقال من هذه الدار إلى دار القرار لأنها هي صاحبة السفر والترحال. فكل شيء يذكرك بالآخرة هو أمر محمود حتى ولو كان عصا .

☆فحينما نتأمل أن أول حديث بين الله وبين نبيه موسى عن العصا يؤكد لنا أشياء كثيرة جدا منها أن الله عزوجل يجعل من الأمور الطبيعية التي نعيشها آثارا عظيمة ، ومنها أن لهذه العصا في تاريخ الإنسان لها تاريخ ولها أثر وحياة ومصاحبة في سفر ورعي وغير ذلك.

☆ذكر بعض المفسرين كلام في أنه أطال موسى في الجواب ولم يقول هي عصا ، وذلك أن موسى أراد أن يطيل الجواب مع ربه في تعداد النعم التي بين يديه وليكشف لربه أنه يعلم أنه بمنحه بهذه العصا اليسيرة أشياء كثيرة وأنه أراد أن يستأنس بالكلام مع الله وأراد أن يطيل الكلام معه وحُق له ذلك أنه يطيل الكلام مع ربه بأسلوب بليغ جدا وهو أسلوب شكر النعم . فمن أجمل ما تطيل الحديث فيه مع ربك ومناجاته ودعائه أن تطيل في تعداد النعم وليكن ذكرك للنعم طول الدعاء فهذا أرجى لجوابك . فالثناء على الله والاستغاثة بأسمائه وذكر منة الله عزوجل عليه وضعفه إلى الله أطول من دعائه ، فهنيئا لمن كان ثناؤه على ربه وتذكره لنعم ربه واظهار ضعفه وحاجته أكثر من دعائه .

قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّة تَسۡعَىٰ (٢٠)

انقلبت بإذن الله ثعبانا عظيما، فولى موسى هاربا خائفا، ولم يعقب، وفي وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم، فهي تسعى حقيقة لا خيال ولا سحرا.

فوائد وهدايات :

☆في هذه الآية دليل على مشروعية التدريب قبل الخوض في أي مواجهة ، هنا الآن الله سبحانه وتعالى يدرب موسى على المشهد الأول الذي سيكرر أمام فرعون حينما يلقي عصاه أمامه وأمام السحرة فتكون حية ، فالتدريب قبل خوض المعركة وقبل المواجهة مهم جدا وهذه نأخذها في كل حياتنا أن الإنسان عليه أن يطبق الشيء قبل أن ينزل في الميدان سواء كان خطيبا أو معلما . فالتدريب مهم جدا في حياة الإنسان وبه يتمكن الإنسان من أداته التي بين يديه .

☆وفي هذه الآيات عناية الله تعالى بموسى (.عناية خاصة) أعاد إسم موسى فقال ألقها يا موسى ، وما تلك بيمينك يا موسى ....فذكر اسمه عدة مرات تأنيس له وعناية به . وفي هذه الآية أيضا دليل على الأدب العظيم الذي كان من موسى عليه السلام في سرعة امتثال أمر ربه دون تردد ولا نقاش لذلك فألقاها ، الفاء للتعقيب والمباشرة ، وهذا حال العبد المؤمن مع ربه لا يناقش ولا يجادل ولا يتلكأ ، ....

☆فكل ما يأمرك الله بإلقائه فألقه حتى ولو كان عزيزا لديك وكن ممن قالوا سمعنا وأطعنا ولا تؤثر شيئا على أمر ربك .

☆هذه الآيات تفيد أن العلم نظري وعملي . فالعلم العملي أفضل الطرق المؤدية لاكتساب العلم حقيقة والتمرس عليه وضبطه ونحو ذلك ولم يقل الله تعالى لموسى إن معك عصاك خذها معم وألقها على فرعون وستكون كذا ، بل باشرها معه مباشرة قال ألقها ، وقال خذها ولا تخف . فالتعليم التطبيقي أفضل طريقة ووسيلة ، فأول معجزات موسى هي العصا بانقلابها إلى حية وهي أكبر المعجزات واليد .

☆فقال الله تعالى ألقها ولم يقل ارمها او انبذها لأن المقصود التدريب وليس إلقاء ترك . وتلاحظون في قضية موسى عليه السلام جاء وصف العصا ، أولا عصا ووصفها في موضع آخر جان ووصفها بثعبان عظيم ، ما السر وراء ذلك ؟

☆المفسرون تأملوا ذلك فقالوا هي في بدايتها كالجان وهو صغير الحيات بمعنى هي حية ابتداء كانت صغيرة في بداية تحول عصا موسى بين يديه ، فلما ألقى موسى عند فرعون كانت ثعبان عظيم ، فهذا تأويل . والتأويل الآخر أنها ثعبان وهي سريعة في حركتها كالجان ، ولعل الأول أولى.

☆فتأملوا كيف أن كل سورة يأتي بها فيما يناسب السياق . فسورة طه سورة الأمن والطمأنينة والأنس (طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) فيها تأنيس للنبي عليه الصلاة

والسلام وتأنيس لموسى ، ...كلها فيها جو الأمن والطمأنينة ...فهذه السورة سورة الأمن النفسي فمن أراد الامن النفسي فليقرأ هذه السورة فآنها باستحضار معانيها ودلالاتها في مخاطبة الله لأنبيائه محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام فيها ما يدل على الأمن والطمأنينة.

☆وهذا اللقاء لقاء عظيم بين الخالق عزوجل ونبي الله موسى عليه السلام الذي لم يتكرر هذا المشهد بعد موسى عليه السلام إلا لنبينا عليه الصلاة والسلام في الإسراء والمعراج . لذلك هو مشهد عظيم وكل كلمة وكل حرف فيه هدايات عظيمة ، ففي هذا الموقف مبدأ الإحسان والعطف والرحمة والأمان وإزالة الخوف والطمأنينة وهذا الذي ينبغي أن يكون في مواطن التعليم ، فإذا أمن الطالب استقر العلم في نفسه واذا خاف طارت المعلومات .

☆هنا لفتة جميلة أنه لما قال موسى عن عصاه هي عصاي قيل له ألقها ولما خاف منها قيل له خذها ولا تخف، فأوامر الله عزوجل لا تأتي على هوانا ولذلك حفت الجنة بالمكاره ، فليس الدين أن يكون حسب راحتك ، فالدين عظيم جدا فينبغي أن نعظمه ونسير فيه متجردين عن أهوائنا ، ...

☆في هذه الآية وفي آيات كثيرة عن موسى عليه السلام هناك شيء عجيب ، وهو أنها كثير من الآيات في قصة موسى فيها تأمين الله تعالى لموسى بعدم الخوف، ولأمه .فهذا التأكيد بعدم الخوف هو من عظيم عناية الله تعالى بموسى وأمه وتطمينهم وتأنيسهم وبث الأمن في نفوسهما ، وأن صاحب المهمة العظيمة يحتاج إلى ذلك ، أو أن موسى عليه السلام ربما أنه تلقف هذا الخوف من أمه فأمه كانت خائفة عليه منذ حملته ....والله أعلم....

☆فالله قد عنى بموسى عناية عجيبة في تطمينه وحق له ذلك لانه سيواجه أطغى طاغية في الأرض ، فيحتاج إلى الأمن والتطمين من الله عزوجل . فكل إنسان يحتاج إلى التطمين والأمن النفسي.

فإن إشاعة الطمأنينة والأمن منهج قرآني ورباني ، ...

قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ (٢١)

فقال الله لموسى: خُذْهَا وَلَا تَخَفْ أي ليس عليك منها بأس. سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى أي هيئتها وصفتها، إذ كانت عصا، فامتثل موسى أمر الله إيمانا به وتسليما، فأخذها، فعادت عصاه التي كان يعرفها.

الفوائد والهدايات :

☆هنا دليل على سرعة الاستجابة لأوامر الله تعالى ، وفي رجوع العصا إلى ما كانت عليه إلى طبيعتها الاولى ، الغرض من ذلك أن يعرف موسى أن العصا تطبعت بالانقلاب حية فيتذكر ذلك عند مناظرة السحرة بأن لا يحتاج حينها إلى وحي ، فهنا يتدرب ويأخذ السورة ثم يطبقها بعد ذلك.

☆هنا نتأمل القدرة الإلهية العظيمة مما يجعلنا نلجأ إلى الله في كل حوائجنا ونعلم انه قادر على كل شيء وأنه يدبر الأمور ،فتأملوا كيف جعل العصا التي كانت نبات ثم صارت جماد ثم انقلبت الى حيوان والى شيء مبهر وعظيم فتعالى الله الخالق العظيم ، فهو يصرف الأمور بكل حكمة واقتدار . فالجمادات يمكن اتصافها بالحياة ، فالله قادر على أن يخلق من الجمادات حياة كما جعل من عصا موسى حية تسعى تبلغ الجبال .

☆وفي هذه الآيات أيضا دليل على الأدب القرآني في استخدام الألفاظ والتكنية بذلك ، فهو كنى عن البرص بالسوء ...فيعبر القرآن كثير عن الأشياء المستقدرة أو المكروهة التي تنفر متها النفوس إلى أشياء معبر عنها بطريقة أكثر وألطف وأحسن وأوجز.

وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ (٢٢)

وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ أي أدخل يدك في جيبك أي من وراء الثوب فتلتصق بجسده تطمينا وأنسا ، وضم عليك عضدك، الذي هو جناح الإنسان بمعنى ضم اليد على جسدك تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أي بياضا ساطعا، من غير عيب ولا برص آيَةً أُخْرَى .قال الله: فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ.

الفوائد والهدايات :ذكر بعض المفسرين أن من طرق تخفيف الخوف والرهبة وضع اليد على الصدر خصوصا إذا كان اقتداء بموسى عليه السلام، فإن ذلك يشعر الإنسان بالأمان والطمأنينة .

وقال ابن عباس : ليس من أحد يدخله رعب بعد موسى ثم يدخل يده فيضعها على صدرها إلا ذهب عنه الروع .

وقال ابن كثير : ربما استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فإنه يزول عنه ما يخاف .

لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى (٢٣)

لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى أي فعلنا ما ذكرنا، من انقلاب العصا حية تسعى، ومن خروج اليد بيضاء للناظرين، لأجل أن نريك من آياتنا الكبرى ولنؤيدك بهذه الآيات العظمى إذ انه سيرسل الى أكبر طاغية على وجن الأرض فناسب أن يمنحه هاتين الآيتين الكبيرتين اللتين يواجه بهما فرعون وسحرته لتدل على صحة رسالته وحقيقة ما جاء به، فيطمئن قلبه ويزداد علمه، ويثق بوعد الله له بالحفظ والنصرة، ولتكون حجة وبرهانا لمن أرسل إليه.

الورد الرابع

الآيات (٢٤-٣٦)

ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي (٢٥) وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي (٢٦) وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي (٢٨) وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي (٣١) وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي (٣٢) كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا (٣٣) وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إنك كُنتَ بِنَا بَصِيرا (٣٥) قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦)

ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي (٢٥)

لما أوحى الله إلى موسى، ونبأه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى أي تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية –قبحه الله– أي وطغيانه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحدا، إلا بعد قيام الحجة بالرسل، فحينئذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملا عظيما، حيث أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه، وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي [هي] من تمام الدعوة، فقال: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي أي وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. يعني موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يشرح صدره لأنه ربما فرعون تكلم عليه أو تلفظ عليه أو سبّه أو سبّ إلهه وهو الله عزوجل فلا يستطيع أن يطيق موسى عليه السلام ، فسأل ربه أن يشرح صدره

ليتعامل مع هذا الطاغية بتحمل وحكمة . وقد علم من نفسه أنه لا يتحمل طغيان ذلك الرجل وربما شركه أو كفره أو نحو ذلك .

قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشراحه عليهم. إذ الناس لا يتحملون الغلظة فلذلك ألان الله قلب محمد صلى الله عليه وسلم وشرح صدره ليتعامل مع قومه بهذه الرحمة ، وهذا يؤكد أن الإنسان خاصة الداعية ينبغي أن يكون على قدر كاف من الحلم والأناة ولين الجانب والرحمة التي يتسع له صدره في مقابلة الناس وأذاهم.

الفوائد والهدايات:

☆ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ، فيه أنه ينبغي للداعية أن يكون أشرح الناس صدرا وأحلمهم وأصبرهم وألينهم لأجل أن يراه الناس على أكمل ما يكون من السرور حتى يسري هذا الانشراح إلى صدور المدعويين فتتحقق بذلك السعادة التي هي أعظم مقاصد الدعوة ، بمعنى أن الإنسان الداعية كلما كان في دعوته منشرح ويلاين الناس ويتحدث معهم بطبيعتهم فهو أقرب إلى تأثير الناس ، ونحن نرى كيف أن كلمة بعض العلماء تدخل إلى القلوب بسهولة لما في أسلوبه من اليسر وقلبه من الانشراح والانبساط.

☆فالداعية إلى الله ينبغي أن لا يكون رسميا وإنما يكون منبسط الصدر ويتحدث بأريحية. وهذا يؤكد بمفهوم المخالفة أن ضيق الصدر لا يستطيع أن يقوم بمهام عمله على الوجه المطلوب خصوصا الداعي إلى الله ، فضيق الصدر تجده يتكدر ويتنكد وينكد غيره في عمله . فهذة يؤكد أثر انشراح صدر الإنسان في عمله على نتائج عمله .

☆فإذا شرح الله صدرك ، احتارت الشياطين في أمرك فليس لهم سبيل لسلب سعادتك التي أسكنها الله قلبك وشرح صدرك .وبالتالي كان هذا أدعى إلى بعد الشياطين عنك .

وذلك لأن انشراح الصدر فيه تفاؤل وفيه أمل وثقة وإقبال ، فالشيطان بهذه الثقة لا يستطيع أن يدخل إلى صدر الإنسان أو يوسوس له .

☆وفي هذه الآية أيضا أن من نتائج ضيق الصدر أن صاحبه لا يصلح لهداية الخلق ودعوتهم لأنه لن يتحملهم ، ولهذا قال الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم : فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .

☆وهذا يؤكد لنا أن الإنسان ينبغي أن يتهم نفسه في أسلوبه وطريقته حينما لا يجد قبولا أو ربما يجد نفرة من الناس والهداية من الله .

☆وأيضا في هذه الآية دليل على قضية مهمة جدا نحتاجها في عبادتنا أننا إذا أتينا إلى العبادة بانشراح صدر ورغبة وشوق وانتظار فإننا نؤديها على أكمل وجه وسيعينه الله على الخشوع فيها وعلى إكمالها . وجميع العبادات حتى في قراءة القرآن ، فالذي يقرأه وهو مكره لأجل فقط أن ينهي حزبه لا يجد من التدبر والانفتاح كما يجد الإنسان الذي يأتي إلى القرآن وهو مشتاق إليه ومعظم له و فرح به فأسعد الناس بالقرآن هم الذين يفرحون به وبقراءته فهؤلاء يجدون من الأثر ما لا يجده غيرهم .

☆ونحن في شهر القرآن ينبغي أن نأتي للقرآن بانشراح ونأتي إليه بسرور ورغبة وبإقبال وتعظيم ، ذلك ينعكس على أنفسنا بأن نتعايش مع الآيات وأن نتدبرها ونتأثر فيها.

☆قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ، ما فائدة الجار والمجرور ؟؟

هذه فيها شدة حاجته إلى ذلك وافتقاره إلى الله واضطراره إليه . فالإنسان ينبغي أن يكون في دعائه مظهرا للاضطرار والحاجة والافتقار . وإذا شرح الله صدرك فلن يكون هناك عوائق وعقبات داخلية من همّ وغمّ وضيق ، وإذا يسر الله أمرك لن يكون هناك عواقب وعقبات خارجية في طريق دعوتك وهدفك وجميع أمورك .

☆من علامات شرح الصدور زوال الخوف من مواجهة المجرمين ، فقال ابن عباس رضي الله عنه : يريد حتى لا يخاف غير الله عزوجل ، فيدخل على فرعون بغير خوف ،وهذه طبيعة الإنسان إذا دخل بخوف تلعثم لسانه وضعفت حجته،أما إذا دخل بيقين وإيمان وتوكل فإنه يدخل مطمئنا بقوة ولسان وحجة وبيان . وهذا يؤكد حاجة الإنسان لهذه الآية ولهذه الدعوة العظيمة لنبي الله موسى عليه السلام .

☆وفيها أن سرعة الغضب تضر بسمعة الدعاة إلى الله تعالى ،فالدعاة يجب أن يكونوا على انشراح فإذا كانوا سريعي الغضب فإن هذا يضر سمعتهم ولا يزال المؤمن منتصر ثابت قوي ما دام أنه منشرح بالحق الذي معه وواثق فيه ،فمن داخل صدورنا تحسم المعركة المهمة في نفسك ، أما في الخارج فلا عليك ،لكن يجب أن يكون في داخلك من الثقة والانشراح والثبات واليقين وبذلك أنت الذي يحسم المعركة . فالإنسان المتسع الصدر ، يصبر على أذى الناس وخير الناس هو الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم .

☆من معاني شرح الصدر أن ينشرح صدره لقبول الحق ولو كان مرّا. فبعض الناس لا يقبل الحق وإنما يضيق صدره وينصرف إلى أمر من الأمور فإذا كان منشرح الصدر للحق فإنه يقبله من أي إنسان كان فهذه من دلائل انشراح الصدر.

☆نلاحظ في هذه الآية أن موسى عليه السلام دعا ربه لتحقيق رسالته ولم يدعه إلى تحقيق مصالحه الخاصة ، فهو طلب انشراح صدره ليقابل هذا الطاغية ويدعو الناس ولم يسأل ربه ليصلح دنياه أو نحو ذلك .

☆ونلاحظ أنه قدم انشراح الصدر على تيسير الأمور لأنه بقدر انشراح الصدر تتيسر الأمور فأول تعسر الأمور في طريقك هو ضيق صدرك ، فالمسألة متعلقة بك أنت ابتداءا وليست متعلقة بالناس ، فإذا ضاق صدرك تعسر أمرك ، وإذا انشرح صدرك تيسر أمرك فلتكن على انشراح وراحة بال وفأل ولين جانب .

☆ومهما اشتدت المخاطر فمفتاح الحل يكمن في صدرك وفي داخلك من اليقين والثبات وحسن الظن وقوة اليقين بما معك من الحق ، فالمهم جدا أن تكون قويا في داخلك ، ومستعد لهذا الموقف أو للتعامل معه بطريقة تؤدي واجبك فيها .

☆قال ابن جريج في قوله رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وسع لي صدري لأعي عنك ما تودعه من وحيك ، وقال غيره : وسع قلبي وليّنه لفهم خطابك وأداء رسالتك...ربي اشرح لي صدري لأفهم كلامك ولتأمل هذا القرآن الكريم.

☆في هذه الآية دليل على عظيم مقام النبي صلى الله عليه وسلم ، فموسى دعا ربه وتضرع أن يشرح صدره ، أما نبينا صلى الله عليه وسلم شرح الله صدره من غير طلب بقوله : ألم نشرح لك صدرك .

☆مهما كان معك من أسباب واستعملت دهاءك وتملكت من الأدوات فليست هذه كلها سبيل لتحقيق الأمر وإنما لا بد له من تيسير الأمر من الله ولا غنى لك عن عون الله وتوفيق الله فمعية الله تيسر العمل ،فلا تعتمد على نفسك أو على قدرتك أو على إمكاناتك .

وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي (٢٦)

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي أي سهل علي كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك، وهون علي ما أمامي من الشدائد، ومن تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، يعني يقصد بذلك أن من صفات تيسير الأمر أن الأمر يأتيك بسهولة فتأتي الأمور من أبوابها ولا تحتاج إلى مشقة ولا إلى طول طريق وبحث عن سبل طويلة ، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله.

الفوائد والهدايات:

☆ تأملوا أدب موسى مع ربه ، فلم يسأله تخفيف الرسالة ،ولم يشتكي من عظم الطاغية ولم يبين لربه أنه لا يستطيع بل سأله التيسير والإستعانة على التبليغ والقيام بها .

☆فإن الإنسان إذا أخذ الأمور بيسر تيسرت له وإذا أخذها بتكلف تكلفت عليه ، .. فينبغي للإنسان في عمله وفي بيته وفي تعلمه أن ييسر الأمور في نفسه ويحسن الظن بالله.

☆هذه الآية دليل على الدعاء لمناسبة الحال والبدء بالترتيب الأهم فالأهم ، قال رب اشرح لي صدري في نفسه ثم يسر لي أمري في الخارج ،فمن أهم الدعوات التي تدعو الله تعالى بها هو الذي يتعلق بنفسك في داخلك لأن المشكلة هنا تكمن فيجب أن تكثر من الدعوات التي فيها تقوية لقلبك وانشراح لصدرك وثقة بربك.

☆في هذه الدعوات لموسى فيها أدب من آداب الدعاء مهم جدا ينبغي أن نسلكه وهو ذكر الهدف ، وذكر ما يؤدي إلى المصالح .فالله يحب من عبده أن يظهر الاستضعاف ويظهر الحاجة وإلا فالله سبحانه وتعالى يعلم ما في نفوسنا ، لكنه تعالى يحب من عبده أن يظهر الافتقار وضعف حاله وحاجته.

☆وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ، فمنذ أن كلفه الله شعر بالمسؤولية وأنها أصبحت وظيفته وتلبس بها وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي الذي هو أمر الرسالة والدعوة . فالإنسان إذا استشعر أنه متلبس لوظيفته يتعايش معها ويستشعر مسؤوليته فإنه بذلك سيقوم بحقها. كذلك الإنسان الداعي إلى الله إذا لم يستشعر أن وظيفة الدعوة إلى الله هي وظيفته ومهمته فما قام بها وما انشغل بها ، فلا يمكن أن تنشغل بالشيء حتى تتبناه وتشعر أنك فيه مسؤول .

☆فينبغي لنا أن نحمل هم الدعوة وأن تكون الدعوة قضيتنا الأولى ،وأن يكون هم الدين هو همنا الأول وأن ننتسب له كما ننتسب لآبائنا وعوائلنا .

وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي (٢٨)

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام، وذلك أنه حين ولد عليه السلام وعلم به فرعون والتقطه آل فرعون وأراد أن يقتله ، وقالت امرأة فرعون قرة عين لي لا تقتلوه ، فأراد أن يختبره فإذا كان نبي فسيقتله فخيره بين جمرة وتمرة فأخذ الجمرة ولو أخذ التمرة لقتله فكان ذلك سببا في عقدة لسانه والله أعلم كما قال الله عنه أنه قال: وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فسأل الله أن يحل منه عقدة لسانه، كي يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني،وهذا يؤكد أهمية البيان والكلام للداعية بأن يكون لديه لغة يتحدث بها بأسلوب مقبول مؤثر.

الفوائد والهدايات :

☆ وهذه الآية تدل على أن ضيق الصدر من أسباب عقدة الكلام وعدم انطلاقه ، فلا تضيق صدرك بكثرة الهم والانشغال به فإذا ضاق صدرك سينعقد لسانك ولا ينطلق كما تريد. فخذ الأمور بانشراح فتجد أنك تستطيع أن تتحدث عن قضيتك بوضوح.

☆في هذه الآيات ينبغي المحافظة على أدعية الأنبياء والقول بها ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه استخدم هذا الدعاء (دعاء موسى عليه السلام) . وهذا يؤكد أن هذا الدعاء من الدعوات العظيمة التي ينبغي أن تكون على ألسنتنا .

☆يَفْقَهُواْ قَوْلِي ، طلب موسى حل عقدة لسانه ليفقهوا قوله في الدعوة ، إذا القضية الأساسية تظهر حتى في دعواتك ، حتى الدعوات تتأثر بما تشعر أنت في داخلك . وهذا يؤكد أن الفصاحة والبيان مما يعين على التعليم وإقامة الدعوة ، فلذلك كون الإنسان ينمي قدرته البيانية ويقرأ في الأدب والكتب التي تنمي قدرته أمر مطلوب يحسن لسانه وبيانه ويعينه على الإفصاح.

☆وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَة مِّن لِّسَانِي ، فالدعوة فيها دقة متناهية من التعبير بألفاظ تدل على كمال هذه الدعوة ، وتأكيد لهذه الدعوة . بينما في جانب المرض قال عقدة ولم يقل عقد .

☆في هذه الدعوة دليل على جواز الدعاء بإزالة العيوب الحسية ، خصوصا إذا كان هذا الأمر مما يعينه على بذل نفسه في الدعوة إلى الله تعالى.

وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرا مِّنۡ أَهۡلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي (٣١)

وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي أي معينا يعاونني، ويؤازرني، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب البر، وأحق بر الإنسان قرابته، وأيضا لعلمه بأن أصدق الناس في مساندته ومعاونته ونصحه هم الأقربون وخص بذلك أخاه هارون عليه السلام. ثم عينه بسؤاله فقال: هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي أي قوني به، وشد به ظهري، وهذا يؤكد أن الإنسان مهما كان يحتاج إلى من يسنده ومن يعينه ومن يسليه ومن يقويه ولهذا اختار الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أصحابه اختار له أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فكانا صاحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم سندين له في رأيه ومؤانسته. قال الله: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلطانا.

الفوائد والهدايات:

☆ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرا مِّنۡ أَهۡلِي هنا بدأ بالأمور الخاصة به ثم ذهب إلى المطالب الخارجية ، ومن أهمها الإعانة على الأخ الناصح الوزير المصاحب المساند فسأل الله تعالى أن يكون معه وزيرا يشد من عضده ويثبته على ما هو عليه .وهذا يؤكد أن الإنسان مهما كان فلا يستطيع عمل شيء بمفرده فيجب أن يستعين بعد الله عزوجل بأخ يؤازره ويثبته ويصبره ويعينه .

☆مِّنۡ أَهۡلِي لأن أهله هم أصدق الناس له ، الوالدين ، الزوجين ، الأولاد ، الاخوان هؤلاء أصدق الناس لك فهم لن يحسدونك في الغالب ، نعم قد يقع الحسد بين الأخوة

لكن من أصدق الناس لك هؤلاء فاستعن بهم في الشورى وأخذ الرأي والمساندة وهم أحرص الناس على نجاحك لأن نجاحك هو نجاح لهم ...

☆وتعتبر خديجة رضي الله عنها لأعظم امرأة في التاريخ في موقفها العظيم التي أصبحت نموذج في معاونة الزوج ابتداء في مشاركته في التجارة قبل النبوة ثم في مؤازرته والصبر معه وأول من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم . حقيقة ، مؤازرة الأقربين بالكلمات المقوية المشجعة المثبتة هي من أعظم ما يعين الإنسان ....

☆فأعظم شفاعة في التاريخ هي شفاعة موسى لهارون فإنه شفع له وسأل الله أن يمنحه النبوة فأجاب الله دعوته ، فما أعظم أن يسعى الإنسان لمصالح اخوانه وأن يكون نجاحه يقترن بنجاح الآخرين معه فيشارك الناس فرحته ونجاحه ويجعلهم معه في هذا النجاح. ولكن ينبغي أن يكون الإنسان يضع الرجل المناسب في المكان المناسب . فموسى عليه السلام حينما اختار هارون قال هو أفصح مني لسانا فهو لم يختاره عبثا وإنما اختاره في قضية يحتاجها هو ، ولذلك هناك شي مهم هو أن الإنسان عنده جوانب نقص، فيحتاج الإنسان إلى سد هذه الثغرة بأحد لديه هذه القوة .

☆وفي شفاعة موسى لأخيه بالنبوة تدل على أن من أعظم الناس من تقدم له الشفاعة والمصلحة وتعينه في حياته هو الأخ . فليكن لإخوانك لك أثر فيهم في نجاحاتهم ومساندتهم ليذكرها لك في التاريخ فلا ينساها .

☆وفي هذه الآية دليل على الاستعانة بالأكفاء وذوي الخبرة في أمر الدعوة مهم جدا ، ولا تظن أنك وحدك تؤدي ولذلك إن الناس حينما يتعاونون تكون الأمور في نجاح .

☆يقول سفيان الثوري رحمه الله :ما بقي لي من نعيم الدنيا إلا ثلاث : أخ ثقة في الله أكتسب في صحبته خيرا إن رآني زائغا قومني أو مستقيما رغبني.

☆هَٰرُونَ أَخِي ، هو لا يريد أن يخبر الله عزوجل أنه أخاه ، ولكن لشدة احتياجه ومعرفته بأصالة رأيه وحبه له خرجت منه هذه الكلمة . فالإنسان إذا كان بينه وبين شخص قرب ومودة ومحبة تجده ينطق بصفات معينة بغير شعور نابعة من قلب صادق يكمن المحبة والمودة (أبي ، أمي ، ولدي...).

☆في هذه الآية دليل على العناية بالأخوة والاهتمام بهم ، ولهذا أخت موسى عليه السلام كان لها دور كبير مع موسى عليه السلام وقد سبق دورها دور أخيها فهي التي قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه وهي سبب في نجاته ،ولما كبر احتاج إلى هارون . ولا شك أن الصغير حاجته أعظم من حاجته في الكبر فسبق فضل أخته على فضل أخيه .

☆هنا دليل على أن عائلة الإنسان الأقربين هم مصدر أمان له ، فلتكن في عائلتك مؤتلف وقريب لأنك ستحتاجهم يوما ما . ولعائلة موسى عليه السلام دور كبير في تنشئته (أمه وأخته وأخيه) . فلا غنى للفاضل عن المفضول ، فموسى محتاج لهارون ، وموسى أفضل من هارون وعلى الداعية أن لا يكابر ، ويظن أنه كامل.

وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي (٣٢)

وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي أي في النبوة، بأن تجعله نبيا رسولا، كما جعلتني، والله أعلم حيث يجعل رسالته ولكنه سبحانه وتعالى قبل من موسى هذه الشفاعة لمحبته له ولإتمام أمره في مواجهة هذا الطاغية الكبير الذي يحتاج إلى قوة في مدافعته.

الفوائد والهدايات:

☆قالت عائشة رضي الله عنها ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من ولي منكم عملا فأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا إن نسي ذكر وإن ذكر أعانه.

☆هنا دليل على أن الصاحب الناجح هو الذي يشرك من حوله في نجاحاته ، بمعنى أشرك من حولك من أهلك وأصحابك في حفظك لكتاب الله ليفرحوا معك فكل عمل ربما تستطيع أن تدخل فيه أحد يشاركك في النجاح . فالأخوة حينما يتعادون عاقبتهم سيئة جدا وحينما يتآلفون فإنهم رابحون ربحا عظيما .

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤)

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا علم عليه الصلاة والسلام، أن مدار العبادات كلها والدين قائم على ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل والصلاة فالله تعالى قال : وأقم الصلاة لذكري ، فمن أنواع العبادات التي يذكر فيها الله كثيرا الصلاة. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا المقصود بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن هذا من ذكر الله تعالى .

الفوائد والهدايات:

☆هنا لفتة مهمة ذكرها ابن عاشور رحمه الله : كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ،أن هذه الآية نسبحك بالذكر (سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر) ، بينما المفسرون ذكروا معنى آخر وأوسع ، وهو نبلغ أمرك ونهيك وشريعتك ، فدل على أن الذي ينشغل بالدعوة وبالتعليم وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو قائم بذكر الله، فالصلاة ذكر والدعوة ذكر والكلمة الطيبة ذكر وما دام الأمر متعلق بالله فهو ذكر .

☆ثم ينبغي أن تكون دعواتك كلها تؤدي الى مرضاة الله وتبليغ رسالته ودينه . فهنا ليست القصضية أن يكون أخوه نبي وإنما ليكون مساعدا له في هذه الرسالة التي حمل إياها.

☆والصاحب الصالح هو الذي يعينك ويذكرك بالله ، فإن التعاون أعون على تزايد العبادة ، بمعنى الدخول في حلقة أحسن من جلوسك لوحدك ، فالتعاون دائما أدعى للإنسان في مزيد من العطاء والاستمرار.

إنك كُنتَ بِنَا بَصِيرا (٣٥)

إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا أي تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور، وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم، فمُنّ علينا بما سألناك، وأجب لنا فيما دعوناك، وكأنه يقول أنت بنا بصيرا ونحن ضعفاء وسنقدم على رجل طاغية جبار فكن معنا بعونك وتأييدك.

الفوائد والهدايات:

☆هنا دليل على التوسل إلى الله بعلمه بحالنا ،فكنت بصيرا بنا ضعفاء ونحتاج إلى قوة ونحن سنقدم إلى هذا الطاغية فهو الآن يستدعي التوسل بعلم الله وبصره واطلاعه.

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦)

فقال الله: قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى أي أعطيت جميع ما طلبت، فسنشرح صدرك، ونيسر أمرك، ونحل عقدة من لسانك، يفقهوا قولك، ونشد عضدك بأخيك هارون، ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون.

وهذا السؤال من موسى عليه السلام، يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور، وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصا إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يصيبه من الأذى، ولسان فصيح، يتمكن من التعبير به عن ما يريده ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة

لصاحب هذا المقام، من ألزم ما يكون، لكثرة المراجعات والمراوضات، ولحاجته لتحسين الحق، وتزيينه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى تقبيح الباطل وتهجينه، لينفر عنه، ويحتاج مع ذلك أيضا، أن يتيسر له أمره، فيأتي البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يعامل الناس كلا بحسب حاله، وتمام ذلك، أن يكون لمن هذه صفته، أعوان ووزراء، يساعدونه على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت، لا بد أن تؤثر، فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيها.

وإذا نظرت إلى حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق، رأيتهم بهذه الحال، بحسب أحوالهم خصوصا، خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه في الذروة العليا من كل صفة كمال، وله من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وفصاحة اللسان، وحسن التعبير والبيان، والأعوان على الحق من الصحابة، فمن بعدهم، ما ليس لغيره.

الورد الخامس

الآيات (٣٧-٤١)

وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ (٣٧) إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (٣٨) أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ (٣٩) إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ (٤٠) وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي (٤١)

هذه الآيات تأتي في سياق العناية الربانية بموسى عليه السلام ، ولا زالت السورة تبين لنا ما أولاه الله لموسى من الرعاية والعناية والحفظ والإصطناع وذلك كله إشعارا لنبينا صلى الله عليه وسلم بأن الله يرعاك ويحفظك ،وما أنت فيه من خير ونعمة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) كأن الله تعالى يقول أعتني بك عنايتي بموسى عليه السلام .

إذا السورة سورة العناية والأمن النفسي .، سورة السعادة والإنشراح ، وخاصة من كان على هم وشغل ومشقة في عمله أو مهمته .

وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ (٣٧)

لما ذكر منته على عبده ورسوله، موسى بن عمران، في الدين، والوحي، والرسالة، وإجابة سؤاله، ذكر نعمته عليه في أول حياته ، وقت التربية، والتنقلات في أطواره فقال: وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ، أي سابقا ، فذكره الله بمننه وهو صغير.

فوائد وهدايات :

☆ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ، فالله سبحانه وتعالى يذكر موسى عليه السلام بتلك السيرة التي عاشها في صغره ، الحياة السابقة ، وذلك ليعظم اجتهاده عليه السلام وتقوى بصيرته وتوجهه لربه . وليعلم فضل ربه عليه كما ذكر الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، حينما قال (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى...)فالله يذكر بذلك لكي يتذكر الإنسان تلك الحياة .

☆فإن أعظم ما يصلك بالله أن تذكر نعم الله عليك السابقة منذ الصغر ، فتذكر نفسك وأنت صغير كيف منّ الله عليك بأبوين مسلمين صالحين يعينانك على الخير ، وكيف أن الله هيأ لك الظروف كي تكون على طاعة واستقامة منذ صغرك ، وكيف الله عزوجل أراد بك خيرا حينما سلك بك طريق العلم الشرعي ....وكيف وكيف من تلك السيرة الحسنة التي هيأها الله لك ، فينبغي أن تتذكر ذلك عند قوله وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ. فإنك إذا تذكرتها تجدد عهدك بربك ونعمه .

☆فالمنة من الخلق أذية ومن الخالق تبارك وتعالى تفضل وإحسان وتنبيه على النعم وإيقاظ من الغفلة حتى يتلقى العبد النعمة بالشكر والطاعة .

☆إن تعداد النعم من أساليب شكرها فحينما يجلس الناس في مجلس يتذكرون سيرتهم القديمة وكيف أن الله يسر لهم الأسباب وكيف كانوا كذلك ، فالاصل أن هذه مجالس أهل الجنة ، فإذا التقوا في الجنة فإنهم يتساءلون ما فعلوا في حياتهم الدنيوية من أعمال صالحة واجتماعاتهم ومجالسهم وقيامهم لله وتلاوتهم للقرآن ، فيتذكرون تلك الأعمال الصالحة التي اجتمعوا عليها .

☆فحينما يغلبك اليأس وتصيبك المصائب ويبلغ فيك الهم مبلغه تذكر نعم الله السابقة عليك فيزول الهم والغم بإذن الله.وإن النبي صلى الله عليه وسلم أصابه الغم (سورة

الضحى) بقول المشركين ما نرى ربك إلا قد قلاك ، وأصابه الغم بانقطاع الوحي ، فذكره الله بماضيه ، فأنت إذا أصابتك الظروف القاسية أحيانا تذكر ما مضى من نعم الله تعالى عليك لئلا تزدري نعمة الله عليك ، واللحظة الحاضرة تنسيك ما مضى . فينبغي ألا تنسى ما مضى من خير .

إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (٣٨) أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّ لِّي وَعَدُوّ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّة مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ (٣٩)

حيث ألهمنا أمك أن تقذفك في التابوت وقت الرضاع، خوفا من فرعون، لأنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، فأخفته أمه، وخافت عليه خوفا شديدا فقذفته في التابوت، ثم قذفته في اليم، أي: شط نيل مصر، فأمر الله اليم، أن يلقيه في الساحل، و أن يأخذه أعد الأعداء لله ولموسى، ويتربى في بيته، ويكون قرة عين لمن رآه، ولهذا قال: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي فكل من رآه أحبه.

وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ولتتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجلّ وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبّر ذلك لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع في يد عدوه، قلقت أمه قلقا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا. فانظروا كيف إذا أراد الله أن يقر عينك فعل وأجرى الأسباب كلها من أجلك .

فوائد وهدايات :

☆إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ، الوحي هنا هو وحي جاء من الله وقذف في قلبها وليس وحي نبوة ، وإنما قذف الله في روعها هذا الأمر وشعرت به وأحست بأنه إلهام من الله وإلا لولا ذلك لما جزمت وألقت ابنها في اليم لكنه ليس وحي نبوة ، فليس من الأنبياء امرأة.

☆وفي هذا نأخذ أيضا أنه سبحان الله يشعر الإنسان أحيانا بطمأنينة تامة وسكينة قلب في فعل شيء من الأمور أو سلوك طريق من الطرق ، يطمئن قلبه وخصوصا إذا استخار فإن الله تعالى يلهمه ويهيء في نفسه الأمر ويشرح صدره له ، وما هو إلا أن شرح الله صدر أبا بكر لذلك .فالأمر يأتي بانشراح الصدر ، وهذا نوع من الإلهام والوحي الذي يوحيه ويقذفه الله في قلب العبد ، فانظر ما يقذفه الله في قلبك في أمورك بعد استخارتك ودعائك وينشرح صدرك فإذا انشرح صدرك فلا تلتفت إلى أحد بعد ذلك . وقد يكون الإلهام رؤية تراها فيشرح الله صدرك لهذا الأمر الذي تريده ....

☆لماذا جاء التعبير بالوحي في قوله إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ؟ لأن الواقعة عظيمة متعلقة بنجاة هذا الغلام العظيم الذي سيكون نبيا عظيما فجاء بصيغة الوحي ليظهر أمره ولتكون آية لمن بعده فالأمر ليس بالطبيعي .

☆فالإلهامات والرؤى والخواطر لها وجود في حياة الأمهات والصالحين والصالحات وهي مع وجودها ليست من أدلة الأحكام المستقلة لأن الظن يتطرق إليها والأوهام تختلط بها كثيرا وما هي إلا للاستئناس بها عند عدم معارضتها الكتاب والسنة . بمعنى الإنسان لا ينبغي أن يعتمد عليها ولكن هي مما يستأنس به ، وغالبا الأم حينما تفكر في شيء وفي أبنائها فإن حدسها يصدق غالبا لأنه من صفّى صُفّي له ، فأي قلب أصفى من قلب الأم ، وكذلك الداعي إلى الله حينما يصفي أمره لله فإن الله تعالى يجري في روعه من الخواطر

الطيبة والرؤى السديدة والإلهامات المشرقة له في مستقبله ،ما يعينه على نجاحات عظيمة في المستقبل .

☆فالله غالب على أمره ولا راد لحكمه ، ففرعون يترصد بموسى ليقتله وها هو يتربى بعزه وفي بيته وفي كرمه .

☆وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ، فموسى طفل مولود لم يصدر منه ما يوجب محبته لكن المحبة إذا امتن الله بها على أحد فلن تحتاج إلى سبب ، ولذلك قد ترى بعض الناس تحبهم ولا تعرفهم بمجرد رؤيتهم وهذا فضل الله .

☆أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ ، هنا عناية ربانية بموسى عليه السلام في إجراء الأمور لحمايته ، بل إجراء الأسباب من أجله ولأولياء الله عزوجل الذين أخلصوا أمرهم لله وجعلوا حياتهم لله فإن الله يجري من أجلهم الأسباب .

☆إنك لتعجب كيف إمرأة استطاعت أن تقذف إبنها في البحر ولولا أن ربط الله على قلبها وشرح صدرها وهيأ لها أسباب النجاة له والتفاؤل بنجاته ،والعجيب أن التعبير اقذفيه تلحظون فيه كأن شيئا يدفعها دفعا إلى قذفه مثل الإنسان إذا أراد أن يلح على أحد (افعل افعل..) فيدفعه دفعا ، كأن هناك شيئا تشعر به أم موسى بالإلحاح على قذفه وتذكيرها بأن وضعه نجاة له وبقاؤه معك سيدركه عدوه ،لأنها شعرت وكأن هذه السورة أو هذه الكلمة تشعرنا بالحدث وكأننا نعيش معها في وحدتها في بيتها على النهر ، فكأننا نشعر بأصوات المتتبعين للبيوت لتفتيشها وأخذ الأبناء منها فكأنها سمعت قرع نعالهم او أصواتهم كأن داع يدعوها أن تقذفه بسرعة ،ولهذا جاء الأمر أن اقذفيه في التابوت ، واقذفيه في اليم ،(اقذفيه جاءت مرتين) فتصوير المشهد كأن هناك عجلة في الأمر خوفا من عدوه ومسارعة إلى انجائه ، فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ولم يقل ألقيه في اليم ،....وكأن هذه الصورة توحي لنا بجو عجيب من الحدث ومسارعة الأمر .

☆إن رمي موسى في اليم وهو صغير منظر تكرهه الأم وتقلق فيه قلقا شديدا ، ولكن إرادة الله خير لها وله ، وكذلك رمي يوسف في الجب مع أنه أحزن أباه إلا أنه كان خيرا له ولمصر جميعا. وكذلك الحوادث كثيرا تحدث في حياتنا اليومية ظاهرها شيء نكرهه ولكن خيرها يظهر بعد ذلك ولو بسنين .

☆فينبغي للإنسان أن ينظر من وراء الأحداث السيئة إلى الإشراقات المستقبلية لأن الله عزوجل لا يقدر شرا محضا أبدا على وجه الأرض إنما يقدر الأمور وفي طياتها منح لمن صبر واحتسب وظن بالله خيرا . فظُن بالله خيرا مهما حصل لك ، ومهما آذاك الناس فانظر إلى المستقبل فالله معك.

☆انظر إلى عظيم قدرة الله فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ، هنا أمر ، فالله يأمر اليم (النهر) الماء فليلقه اليم بالساحل ، انظروا كيف الله يجري الأسباب ويحرك البحار والريح بإذنه لأجل هذا الطفل الصغير ، إنها العناية الربانية . لهذا أسند الإلقاء إلى اليم هنا وهو لا يعقل ومع ذلك أسند الأمر إليه إنما ذلك لأنه يسير بأمر الله تعالى فهو مخلوق له .

☆النبي الكريم كليم الله موسى عليه السلام من أعظم أولي العزم بعد نبينا وبعد ابراهيم عليهما السلام ، هذا النبي الكريم كان يوما ما ملقى في صندوق خشبي على الساحل ،فلا تغرك البدايات فإن هناك نهايات مشرقة . فكل بداية محرقة تؤول إلى نهاية مشرقة بإذن الله .فالإنسان الصغير قد يعيش في بيئة فقيرة لا يُأبه له ولا يظن أحد ممن حوله أنه سيصبح له شأن يوما ما ثم يصبح عالما مثل قصة الطفل الذي تلقاه الشيخ عبد الرحمن سميط رحمه الله ، يوم جاء إلى بلد وكان يكفل أيتام ...فانتهى التقسيم الذي معه والمبلغ الذي معه وبقي طفل واحد ربما لا يأبه له ،فالشاهد أن الشيخ تلقاه واعتنى به واحتضنه وأعطاه شيئا مما معه ثم كفله بنفسه ثم أصبح هذا الصغير زعيما في قومه. فلا تنظر إلى حقارة الصغير وضعفه ، فكم من ناس عاشوا في بيئة فقيرة وأصبحوا أئمة وعلماء . فإن الضعيف يرعاه الله ويهيئ له الظروف.

☆إذا اراد الله سعادتك وتمكينك فلا تنشغل بالتفاصيل ،أترك الأمر لله فهو يسخر الأسباب والناس . والله تعالى هنا يذكر لنا كيف أجرى التفاصيل الصغيرة لموسى عليه السلام ، هذا يعني أن الله يجري التفاصيل الدقيقة لا يستطيع الإنسان أن يفكر فيها أصلا ، فتوكل على الله وأسند الأمر إلى ربك ولا تشغل نفسك بالتفاصيل .

☆فالله يغير الأسباب ويجري الأمور من غير أن تشعروا فاتركوا الأمر لله وتيقن به وأحسن الظن بالله سبحانه وتعالى . فالأسباب لا تجري إلا بأمر الله مهما فعلنا . فهذا البحر الذي نجا الله به موسى وهو رضيع لا يملك شيء ولا يملك قوة ولا أحد يدافع عنه، هذا البحر نفسه أغرق فيه فرعون وهو جبار عنيد مع جنوده كلهم .

☆فمنذ الصغر يتلقى العداوة ، عجيب لكن إعلم إذا كان عدوك هو عدو الله فاعلم أن الله معك وأنك منصور.

☆يَأۡخُذۡهُ عَدُوّ لِّي وَعَدُوّ لَّهُۥ يأخذه مغتبطا به وهو في الحقيقة عدو، فيترصد فرعون بأطفال بني إسرائل لقتلهم، فها هو موسى الذي كان يحذره يتربى على عين الله في قصره ، فغذاؤه غذاء الملك وملبسه ملبس الملوك .فإذا أدركتك عناية الله سخر الله لك كل شيء حتى عدوك .

☆وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّة مِّنِّي، هنا إلتفات بذكر المحبة بعد العداوة ، نلاحظ متضادين ، فجعل المحبة في قلب العدو ، ارأيتم العجب في قدرة الله أن الله يجعل في قلب العدو محبتك بطريق أو بآخر ، رغم أنفه يحبك لأن الله ألقى هذه المحبة ، فكل ذلك يخبر الله تعالى به موسى بعد أن كبر ليطمئنه على ما هو مقبل عليه ، فيقول الله كما قلبت الموازين في عداوته لك في صغرك فسأقلب الموازين في سلامتك منه في كبرك .

☆وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّة مِّنِّي بمعنى أصبحت حياته كلها في محبة من الله ، ثم انظروا الى تنكير محبة كأنها محبة تعلو على الحب المتعارف المتبادل بين المخلوقين ففيها محبة عظيمة مني

زرعها الله في قلوب عباده وركزها في سرائرهم وضمائرهم . يعني إلقاءً حتى في قلب عدوه. فقال ابن زيد جعلت من رآك أحبك حتى أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك آسية فتبنتك وكنت قرة عين لها. فقلوبنا ليسوا ملكا لنا بل هي بين أصبعين من أصابع الرحمن يجريها حيث يشاء ، فالمحبة من الله يلقيها الله على من يشاء من خلقه،فتنجذب إليه القلوب وتنقاد إليه النفوس دون سبب ظاهر .

☆فنجد بعض الناس ، تُجمع الناس على محبتهم ،فلا تفسير لهذا إلا هذه الآية . فعجبا لهذا الطفل ، فإن موسى عليه السلام لم يكن جميلا في وجهه حتى تقبل الناس على محبة جماله ،فلا يتصور أن المحبة بجمال الوجه وإنما جمال الباطن وأمر يلقيه الله تعالى على هذا الطفل الصغير . ثم تأملوا كيف النبي صلى الله عليه وسلم أحب أسامة بن زيد ، فأسامة أحبه الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله ألقى محبته في قلبه. فالله قسم بين العباد أخلاقهم كما قسم بينهم أرزاقهم ، فالإنسان عليه أن يرضى تمام الرضى بما قسم الله له ويكن مؤمنا فالحياة تجمل برضاك عن الله في حالك التي أعطاها الله لك. فالجمال هو جمال الأخلاق وليس جمال الوجوه .

☆فالمحبة التي تكون لك من الناس هي منحة إلهية سامية تحمد الله عليها وهي رزق من الأرزاق فإذا كان ذاك قد رزق مالا فأنت رزقت أشياء كثيرة أنظر إليها منها قد يكون ان الله أجرى محبة الناس لك او غير ذلك من الأرزاق ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن خديجة إني رزقت حبها .

☆وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ، فمن صنع على عين الله سيرتفع في أعين الناس لا محالة ، والمقصود بها تربى على عين الله . فأي كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية الربانية ، فكيف بمن يصنع صنعا على عين الله. فكل أمور موسى عليه السلام كانت تجري برعاية الله وعينه وحفظه وتدبيره .

☆عَلَىٰ عَيۡنِيٓ تدل على التمكن والاستعلاء والحفظ له ، فهو أمر لا بد منه ولا يمكن أن يحول دونه حائل لو اجتمعوا أهل الأرض كلهم ، فقضي ذلك بأمر الله .

إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ (٤٠)

فجاءت أخت موسى،فتأملوا موقف الأخت الكريمة ودورها في نجاة موسى ،ويأبى الله إلا أن يجعل للأخت دورا عظيما في نجاة هذا النبي العظيم فقالت لهم: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، إنه الرأي السديد والفكرة الإبداعية التي ألمحت من خلالها إلى ما تريد من غير تصريح ، فإن التصريح سيضره ويضر أهله .فهي حين علمت أنهم يبحثون عن مرضعة هنا دخلت من هذه المفتاح ولكل أمر مفتاح وطريق يدخل إليه. فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ، أي عناية ربانية فالله سبحانه وتعالى يجري ذلك كله لأجل أن تقر عين امرأة ولا تحزن ،أرأيتم كيف الرب الرحيم يجري الأسباب لكي تقر عين هذه المرأة ولا تحزن ، فما أعظم أن نسعى لقرار عيون أمهاتنا وأخواتنا ومن حولنا وألا نحزن ذلك أن المرأة ضعيفة لا تستطيع أن تقاوم فهنيئا لمن أدخل السرور على امرأة من نسائه (أم أو أخت أو بنت أو نحوها) . وَقَتَلْتَ نَفْسًا وهو القبطي لما دخل المدينة وقت غفلة من أهلها، وجد رجلين يقتتلان، واحد من شيعة موسى، والآخر من عدوه قبطي فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه فدعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر هاربا لما سمع أن الملأ طلبوه، يريدون قتله.

فنجاه الله من الغم من عقوبة الذنب ، فلم يعاقبه الله ، فالغم هنا خوفه من عقوبة الله وخوفه من فرعون ، ومن القتل،فأنجاه الله من هذا كله وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا وهذه كلمة عظيمة أي اختبرناك، وبلوناك، فوجدناك مستقيما في أحوالك هنا نعلم أن الله تعالى يختبرك ليراك

هل أنت مستقيم ،هل أنت صادق وهل أنت على سيرتك الحسنة على طاعتك لله وفي تجردك له سبحانه وتعالى وفي تركك السوء والحالة التي قد تحصل منك من خطأ أو زلل أو كما قال السعدي أو نقلناك في أحوالك، وأطوارك، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، هنا فائدة عظيمة أن الإنسان إذا أخطأ مرة ثم جربناه في الحياة فوجدناه استقام واعتدل وترك ما كان عليه في السابق فينبغي ألا نذكره بالسوء في السابق وإنما نعينه على طريقه المستقيم . والمعنى الثاني وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا أي نقلناك في أحوالك من مرحلة إلى مرحلة بخروجك إلى مدين ثم عملك عند شعيب وخدمتك ورعيك الغنم إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه من اصطفاء الله لك.

فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ حين فر هاربا من فرعون وملئه، حين أرادوا قتله، فتوجه إلى مدين، ووصل إليها، وتزوج هناك، ومكث عشر سنين، أو ثمان سنين،معنى عشر سنين تقتطع من حياة موسى وكلها لأجل أن يختبر ويهيأ ويصنع وليست عبثا هذه السنين ، فإنه خرج من بلده وترك أمه وأهله وتغرب عن بلده ، فأراد الله ذلك كي يتهيأ لرسالة عظمى ، إذا لا تحسب السنين التي تضيع عليك بسبب ما ابتلاك الله به أو بسبب الظروف التي تحصل لك ، فلا تعتبرها خسارة لأن الله تعالى يريد بك خيرا . ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ، أي جئت مجيئا قد مضى به القدر، فكل مرحلة تنتهي يريد الله أن تنتقل إلى مرحلة أخرى وهذا لطف الله وهذه صناعة الله لعبده ووليه ، وعلمه الله وأراده في هذا الوقت وهذا الزمان وهذا المكان، ليس مجيئك اتفاقا من غير قصد ولا تدبير منا، وهذا يدل على كمال اعتناء الله بكليمه موسى عليه السلام.

هذا يدل على كمال اعتناء الله بكليمه موسى عليه السلام ، أنه سبحانه وتعالى يجريه على قدر وعلى صناعة وتهيئة وتربية .

الفوائد والهدايات :

☆إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ ، يخلد الله تعالى خطوات تلك الأخت المباركة التي سارت فيها لأجل خدمة أخيها ، فما أجمل تلك الخطوات التي تخطى في خدمة الأخوة والأخوات .فتلك المرأة الصالحة الجميلة الطيبة ، الأخت التي كانت سببا في نجاته لم ينسها القرآن ، فالله لا ينس خطوة خطوتها لأجل خدمة إنسان لوجه الله ونجاة إنسان وإسعافه وبذل المعروف له.

☆إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ ، هنا إذ الفجائية ، فمن اللطائف الجميلة ، إِذۡ تَمۡشِيٓ بمعنى استئناف مشيها فهي ليست من عادتها المشي ، فما كانت تخرج ولكنها خرجت لأجل أخيها، فهي خرجت لحاجة وهذا يدل على أن المرأة لا تخرج إلا لحاجة . فهي الآن في هول وفي فزع وفي قلق وفي حالة مضطربة تدعوها إلى أن تمشي بسرعة ومع ذلك لا تسرع بل تمشي ففي حال الإضطرار لم تسرع المشي .

☆أُخۡتُكَ ، فالأخت هي جسد تحمل قلب الأم ، الأخت وأي أخت ، فالأخت لن تجد أعظم نصحا منها بعد أمك ،فلن تجد كأختك رقة وعذوبة ونصحا وخدمة .، فالله تعالى ذكر لهذه الأخت شأنها ، فانظر موسى عليه السلام النبي العظيم ذكر الله تعالى في سيرته أناس ونساء كن سبب في معونته ورعايته وصناعته وتربيته ، هذه الأخت والأم قبلها والإمرأتان في مدين كن سببا في الإحسان إليه . فالمرأة لها دور في التاريخ في صناعة العظماء ، وما هم هؤلاء الرجال الذين قاموا إلا بتربية وتهيئة وصناعة من النساء أمهات وأخوات.

وتصنع المرأة بلطفها وهدوئها ورقتها ما لا يصنعه الرجل بقوته . فما استطاع أحد أن يذهب إلى فرعون ليرد الطفل إلى أمه إلا هذه الأخت بلكفها ورقتها وحنانها ونصحها وطريقتها وأسلوبها .

☆فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥ ، هذه الآية مما يستدل بها في الحضانة ، ففيها مشروعية كفالة الصغير .

☆وكذلك فالطريقة والأسلوب مهم جدا في حل المشكلات . فأحيانا الصراحة تضر ولا تنفع فيجب أن نتخذ الأساليب التي تساعد في حل المشكلات .وفي هذا ما بدل على أن

المرأة لها دور كبير في حل المشكلات ولديها أساليب مهمة جدا في الإصلاح وفي ربط البيوت وتكاتفها والاسر. فالنبي صلى الله عليه وسلم بيّن قدرة المرأة في الجذب فقال : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب بلب الرجل العاقل من إحداكن .بمعنى تستطيع أن تستجلب الأمر ، فكيف إذا كانت صالحة وتستجلب العلاقات الجميلة في الأسرة وتربط الأسر .

☆فكم للأخت من دور في روابط أسرية واجتماعات أسرية صالحة وإصلاح للبيوت وإصلاح للمشكلات...

☆وكم للأخت من دور في تنشئة أخيها الصغير ، والله إن الأخوات لهن دور كبير في تنشئة الإبن الصغير ، فمن أعطاه الله أخوات رعينه واهتممن به وربينه بعطفهن وحنانهن فوالله إنه لمن أعظم التربية حقيقة . فإذا كان للإنسان اخوات يرعينه فهذه والله نعمة.

☆كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَّ ، أنظر كيف الله يجري الأسباب كي تقر الام عينها ولا تحزن . فمن أولويات حياتنا ان نسعى إلى إسعاد من حولنا من أمهات وأخوات وبنات وزوجات ومن حولنا من أقارب . ومن أعظم من يكون سبب في قرار العين هو الإبن . فالإبن حينما يكون صالحا وقريبا من أمه في برها وإحسانها فهذا من أعظم ما تقربه عين الأم . وقرار العين هو استقرارها ورضاها وأنسها وأمنها النفسي .

☆فما السر في قوله وَلَا تَحْزَنَّ ؟ إن قرار العين لا يتبعه حزن وستقر عينها.فصار موسى سببا لقرار عينها. فهذا من أجمل أنواع البر بأن تكون سببا لقرار عين أمك على الدوام .

فقرار العين هو ثباتها واستقرارها لأن التطلعات إما أن تكون معنوية أو حسية . فالإنسان لديه آمال يتطلع إلى تحقيقها فإذا تحققت لم يعد يتطلع إلى الشيء .والإنسان لا يتحول عن الجميل إلا إذا رأى ما هو أجمل منه فإذا تحقق له ذلك قرت عينه وهو الشيء الحسن الذي تستقر عنده العين .

☆فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ، غم الخوف والبعد .

☆وَفَتَنَّٰكَ فُتُوناً بمعنى اختبرناك اختبارا وابتليناك ابتلاء ، فهذا من مراحل صنع الله . فالإنسان تمر عليه صعوبات في حياته لا يعلم أنها من صنع الله ، فكل مرحلة من حياتك الصعبة هي من صنع الله لك إن كنت مؤمنا . فظاهر الابتلاء شر لكن حقيقته خير. فالإنسان كلما ترقى في منازل العبودية كان أكثر عرضة للبلاء والتمحيص .

وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١)

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي أي أجريت عليك صنائعي ونعمي، وحسن عوائدي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيبا مختصا، وتبلغ في ذلك مبلغا لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم،بأن تكون حياتك كلها لله وأن يكون شأنك لما يرضي الله ، فهنيئا لمن اختاره الله واصطنعه لنفسه بأن جعل همه كله لله تعالى، حتى سعيه الشديد أن يرضى الله عزوجل عنه بمبادرته لأمره ، فاجعل رضى الله هو همك الأول وسعيك كله من أجلك ويتحقق لك بذلك مرضاة ربك عنك ومرضاة الناس جميعا عنك . أما الذي يرضي الناس بسخط الله فوالله إنه قد خاب وخسر .

وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك،كحال الأب مع ابنه حين يربيه ويهيؤه لأمر عظيم، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أراده لنفسه، واصطفاه من خلقه؟"

الورد السادس

الآيات (٤٢-٥٥)

ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي (٤٢) ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلا لَّيِّنا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ (٤٧) إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجا مِّن نَّبَات شَتَّىٰ (٥٣) كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰت لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ (٥٤) ۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ (٥٥)

هذا المقطع فيه تمهيد وتهيئة لموسى وهارون ثم فيه أسلوب مقنع من موسى لفرعون وفيه فهم كيف يكون التعامل معه .

ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي (٤٢)

لما امتن الله على موسى بما امتن به، من النعم الدينية والدنيوية، إذا المرحلة الأولى التي سبقت هذه المرحلة هي مرحلة الإعداد والتهيئة والامتنان والتقوية ، وهذا يؤكد على أن الإنسان يحتاج قبل التكليف التهيئة والتدريب . ولهذا نوصي بتعليم أبنائنا الصلاة بسبع

وهم غير مكلفين بذلك ، فدائما الأمور تحتاج إلى تهيئة وإلى إعداد وتحضير . فالله تعالى هيأ موسى قبل ذلك ولهذا ولتصنع على عيني.

وما تلك السيرة الحسنة التي كان عليها من خروجه إلى مدين وعيشه غريبا وعمله في الرعي والإجارة وخدمة الناس والنظر إلى حوائجهم كل ذلك تدريب . ولذلك فإن من أعظم ما يهيئ الإنسان هو أن يعمل في مهن يخالط الناس فيها في أعمالهم ومعاشهم فيكسب من خبراتهم وطرق التعامل معهم ...فهذا أشد عودا لأن إذا أراد أن يكلف مهمة رسمية أو عليا فيكون قد خبرهم وعرف كيفية التعامل معهم . ولهذا أي مسؤول في أي مجال ، إذا كانت سيرته الأولى بدأت في مهنة إجتماعية فيها خلطة وخبرات وصعوبات ومر على مراحل ، فإنه أقوى وأفضل من غيره.

قال الله: اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ هارون هنا تكليف بدعوة فرعون ، بِآيَاتِي أي الآيات التي مني، الدالة على الحق وحسنه، وقبح الباطل، كاليد، والعصا ونحوها، في تسع آيات إلى فرعون وملئه، وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي أي لا تفترا، ولا تكسلا، عن مداومة ذكري بل استمرَّا عليه، والزماه كما وعدتما بذلك كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا فإن ذكر الله فيه معونة على جميع الأمور، يسهلها، ويخفف حملها.دائما الإنسان إذا واجهته الصعاب فليستعن بالتسبيح والذكر الكثير . فالذكر من أعظم الأمور التي تبعث في النفس قوة ويقين وثبات واستقرار وزوال وساوس الشيطان ، ذلك أن الشيطان لا يقرب من قلب يذكر الله .

فوائد وهدايات :

☆الله تعالى يصطنع ويختار ويصطفي ويعتني ويربي ويهيئ أولياءه لحمل رسالته ،فهنيئا لمن اختاره الله وهيأه لحمل رسالته وتبليغها . ولتعلم أن إذا الله عزوجل مكنك من العلن ورفعك وهيأ لك الظروف فلتعلم أن هذا حجة لك أو عليك ، وسبيل لك بأن تبلغ رسالة الله

.وأن الإنسان لا ينبغي أن يأخذ من العلم نصيبا ثم لا يكون له شأن في تبليغ هذا الدين ونشره في الأرض .

☆فأعظم نعمة هي العلم ، وإذا علمك الله فليكن لك شأن في تعليم الناس ولو الأقربين.

☆وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي هنا دليل على عظم شأن الذكر باللسان والجوارح ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله . فالحديث عن الله ذكر وحينما تتحدث عن ربك فإنك تذكره بالتعريف به سبحانه وتعالى ، والتوصية بالذكر دليل على المحبة ، فحينما الله يوصي موسى بالذكر فدليل على محبته له ، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد معاذ وقال له : يا معاذ إني أحبك ، ...وأوصيك يا معاذ ألا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

☆فلا شك أن الله تعالى يحب من عبده الذي يحبه أن يذكره كثيرا ،فإن الله اختاره ،واختاره أن يكون ذاكرا له كثيرا . فالذكر من أعظم أسلحة الحق في مواجهة الباطل ، ...

☆بِآيَاتِي هنا تفيد المصاحبة ، فالإنسان الذي معه حجة ومعه علم ومعه فهم ومعرفة ، يعتبر قد صاحب قوة فهو مطمئن بها بأن يكون على قوة وثبات ومعه آيات الله ، أما الذي ليس عنده حجة فيتخبط . وهنا ليس لنا من آيات الله إلا القرآن فليكن لك سلاح من القرآن والسنة تبينه في توجيهك للناس . والرسول صلى الله عليه وسلم أوصى علي وفاطمة بالحمد والتسبيح والتكبير ٣٣ قبل النوم حينما طلبت منه فاطمة خادمة ، دل ذلك على أن هذا الذكر يعين على تحقيق ما تريد .

☆ومفهوم المخالفة في قوله وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي يفيد أن يثبت على ذكر الله ولا يضعف .

☆ومن شرّفه الله بالذكر فينبغي أن يضمن دعوته التذكير بالله والتعريف به. ومن عادات القرآن ذكر الألفاظ التي تحتمل وجوها ، فهنا تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشمل الدعوة الى الله .....

اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣)

اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى أي جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه وكفره ..

فوائد وهدايات :

☆حينما قال الله إلى موسى وهارون اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، والله يعلم أنه لن يؤمن ، فلماذا أرسلهما ؟؟ فقال المفسرون إلزاما للحجة وقطع للمعذرة وإظهار ما قد يحدث وليحيى من حيا عن بينة وليتبين للناس الحق .

☆إذا لا يلزم في دعوتك أن الناس تستجيب يكفي أن تقيم الحجة .

☆إِنَّهُ طَغَى ، هذه الكلمة وردت ثلاث مرات عن فرعون في الآيات وهذا يدل على أنه تجاوز مراحل الطغيان كلها وبلغ القمة . ومع ذلك أرسل إليه موسى ليدعوه .

فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)

نلاحظ هنا الرحمة الإلهية العظيمة يأمر الله تعالى بمقابلة هذا الطغيان العنيف بالقول اللين . إذا ليس من الحكمة مقابلة الشدة بالشدة .فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا أي سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال،لأن القول اللين يلين القلوب لَعَلَّهُ بسبب هذا القول يَتَذَكَّرُ ما ينفعه من

الحق والتوحيد فيأتيه، أَوْ يَخْشَى ما يضره من الشرك والطغيان فيتركه،إذا الإنسان يحتاج إلى التذكر وإلى الخشية ، فيتذكر الأمور الحسنة ويخشى الأمور السيئة وعواقبها وهذا هو معنى التحليه والتخلية . فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى* وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (سورة النازعات) .فإن في هذا الكلام، من لطف القول وسهولته، وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل، فإنه أتى بـ " هل " الدالة على العرض والمشاورة، التي لا يشمئز منها أحد،ولذلك لو أن الإنسان استخدم (هل) التي فيها عرض فإنه يستطيع أن يستجلب بها قلوب الناس . ثم دعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس، التي أصلها، التطهر من الشرك، الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل " أزكيك " بل قال: " تزكى " أنت بنفسك، ثم دعاه إلى سبيل ربه، الذي رباه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، التي ينبغي مقابلتها بشكرها، وذكرها فقال: وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب، علم أنه لا ينجع فيه تذكير، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

فوائد وهدايات :

☆ لماذا أمر الله أن يقول له قولا لينا مع أنه طاغية ومجرم ؟؟

الامر الأول أنه رباه ،ولن يقبل منه أن يرفع صوته عليه ، الأمر الثاني أن هذا الطغيان كالنار فكان من المناسب أن يقابل بالقول اللين ، ...فاللين واللطف هما سمة الحكماء مع الجهلاء ،...وهما سمة الأطباء مع المرضى ..فالكلام الودود اللطيف أقوى سلاح لغزو القلوب .

☆فسر بعض السلف قَوْلا لَّيِّنا كما قال الحسن ، قولا له إن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنة ونار ، والقول اللين هو التعريف بالله .فمن أعظم ما يلين القلوب الحديث عن

الله . وحقا الدعوة إلى الله يجب أن تكون مصحوبة بالرجاء مهما كانت الظروف لا بالتشاؤم واليأس ، بحيث يكون الداعي قوي الثقة بالله .

☆في موضع آخر ، قال موسى لفرعون ، وإني لأظنك يا فرعون مثبورا ، فهذا قول ليس لينا،.مبعدا عن رحمة الله والصلة به ،...

فما الجمع بين الآيتين ؟؟

الجمع ، هو إن كانت الدعوة قبل أن تبين له الحجج والآيات هنا قولا له قولا لينا ، لكن لما استكبر وتجاوز الحدود وتجبر واتهم موسى بالسحر ، فما نفع معه بعد ذلك إلا أن يسلط عليه القوة .

☆ونلحظ أن الله عزوجل في القرآن الكريم ذكر عن بني اسرائيل (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت....) لكن بعد ذلك شدد الله عزوجل عليهم .

فاللين يكون في الأسلوب والطريقة ، ولذلك فحينما ترى الكافر وترق له لأجل أن يسلم لا إشكال في ذلك ، فما كان لأجل الإسلام فألِن الكلام.

☆فهناك ثلاث وصايا للدعاة ، المداومة على الذكر والتفاؤل وعدم اليأس والرفق في الدعوة واللين .

☆فقوله لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ فهل تذكر ، فقال السلف نعم تذكر ، وإنه تذكر وخشي لما أدركه الغرق ، بمعنى عرف ربه وتذكر وخشي حينما أدركه الغرق .

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ (٤٥)

قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أي يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا ويفتك بنا أو يقتلنا(والله أمّن موسى من ذلك) قبل أن تبلغه رسالاتك لبطشه وطغيانه ونقيم عليه الحجة أَوْ أَنْ يَطْغَى أي يتمرد عن الحق، ويطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعوانه أي يستكبر.

فوائد وهدايات :

☆ فإذا خالج الخوف قلبك وزلزل الرعب روحك فاعرض ضعفك لمن قربه أمان لنفسك وسكينة لفزعك .

قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦)

قَالَ لَا تَخَافَا أن يفرط عليكما إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى أي أنتما بحفظي ورعايتي، أسمع أقوالكما، وأرى جميع أحوالكما، فلا تخافا منه، فزال الخوف عنهما، واطمأنت قلوبهما بوعد ربهما.

وذلك دليل على أن الإنسان ما دامت كلمته لله ويذكر بالله ويبين الحق ، فإن الله معه ويحفظه ويسمع كلامه ، وقدم السمع لأن الإنسان لا يسمع إلا إذا كان قريب ، وهذا دليل على كمال قربه سبحانه وتعالى .

فوائد وهدايات :

☆هنا دليل على معية الله لأوليائه الصادقين الحاملين لواء الدين . فالقرآن يربينا على عدم الخوف من أحد .

فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (٤٧)

أي فأتياه بهذين الأمرين، دعوته إلى الإسلام، وتخليص هذا الشعب الشريف بني إسرائيل من قيده وتعبيده لهم، ليتحرروا ويملكوا أمرهم، ويقيم فيهم موسى شرع الله ودينه.

قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ تدل على صدقنا فَأَلْقَى موسى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ إلى آخر ما ذكر الله عنهما.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أي من اتبع الصراط المستقيم، واهتدى بالشرع المبين، حصلت له السلامة في الدنيا والآخرة.

فوائد وهدايات :

☆ إن إضافة إسم الرب إليه ، إستدعاء لسمعه ،ويحببه إلى الله سبحانه وتعالى .لأن في الإضافة صلة تقرب القلوب وتبعث في النفس السكينة .

☆وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ، إن مخاطبة فرعون بلفظ السلام ترغيب وعدم مواجهته بالخطاب لئلا يستفز فيستكبر .وبهذا الأسلوب اللين جمع له بين الترغيب والترهيب ، وهنا نأخذ استحباب قول وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى عند دعوة القوم الكافرين .

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨)

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أي خبر من عند الله، لا من عند أنفسنا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أي كذب بأخبار الله، وأخبار رسله، وتولى عن الانقياد لهم واتباعهم، وهذا فيه الترغيب لفرعون بالإيمان والتصديق واتباعهما، والترهيب من ضد ذلك، ولكن لم يفد فيه هذا الوعظ والتذكير، فأنكر ربه، وكفر، وجادل في ذلك ظلما وعنادا.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢)

أي: قال فرعون لموسى على وجه الإنكار: فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ، ذكر موسى وليس هارون لأنه هو الناطق الأصلي الذي يكلم فرعون ابتداء وهارون وزير له يعاونه في الحجة.

فأجاب موسى بجواب شاف كاف واضح، فقال: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى أي ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، ثُمَّ هَدَى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك.

فانظروا كيف وصف الله تعالى الخيل التي خلقت لأجل أن تكون مركوبا للجهاد ، فذكر الله تعالى حالها العجيب في سيرها إلى الجهاد ، فالعاديات ضبحا...بمعنى تسير وتغير على العدو في الصباح ..وكل ذلك مما خلقت له.

وهذا كقوله تعالى: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودا، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور المعلومة ما أنكر، كان إنكاره لرب العالمين أكبر من ذلك، ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا الدليل القاطع، عدل إلى المشاغبة، وحاد عن المقصود.

وهكذا الإنسان يُبهَت وليس معه حجة فإنه يحيد ويصرف الموضوع ، وكل إنسان مبطل سيحيد عن الحق وسيأتي بطرق أخرى ويفتح أبواب أخرى غير الكلام الصحيح أو الموضوع الأصلي .

فقال لموسى: فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى أي ما شأنهم، وما خبرهم؟ وكيف وصلت بهم الحال، وقد سبقونا إلى الإنكار والكفر، والظلم، والعناد، ولنا فيهم أسوة؟ فهو يريد أن يدخل موسى في قصص وأحاديث عن السابقين وهذه مما يتحدث فيها الناس ولهم مجالس يقصونها ، عندها يقول تاريخ وأساطير الأولين ....يبحث عن مدخل ليضيع عليه حجته ويحاول أن يشاغب عليه .ففرعون أراد أن يخرج موسى عن سياق الحديث عن الله عزوجل لأن الحديث عنه هو الأساس وأتى ليعرف فرعون بربه ، فأراد فرعون أن يخرجه إلى الأساطير والسير .

فقال موسى: عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى أي قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علما وخبرا، فلا يضل عن شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها.فانظروا كيف أجاب موسى عليه السلام بما يرجعه إلى سياقه الأول فقال علمها عند ربي ، فرجع إلى التوحيد من حيث أن الله بعلم كل شيء.فهذا أسلوب عظيم في التنبه لحيل الماكرين الحائدين عن الحق أننا لا نعطيهم الفرصة لإضاعة الحديث عما لا فائدة فيه .

ومضمون ذلك، أنهم قدموا إلى ما قدموا، ولاقوا أعمالهم، وسيجازون عليها، فلا معنى لسؤالك واستفهامك يا فرعون عنهم، فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت،ولكم ما كسبتم، فإن كان الدليل الذي أوردناه عليك، والآيات التي أريناكها، قد تحققت صدقها ويقينها، وهو الواقع، فانقد إلى الحق، ودع عنك الكفر والظلم، وكثرة الجدال بالباطل، وإن كنت قد شككت فيها أو رأيتها غير مستقيمة، فالطريق مفتوح وباب البحث غير مغلق، فرد الدليل بالدليل، والبرهان بالبرهان، ولن تجد لذلك سبيلا، ما دام الملوان.

كيف وقد أخبر الله عنه، أنه جحدها مع استيقانها، كما قال تعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا موسى: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ فعلم أنه ظالم في جداله، قصده العلو في الأرض.

ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجا مِّن نَّبَات شَتَّىٰ (٥٣)

هنا استطرد في هذا الدليل القاطع بذكر كثير من نعمه وإحسانه ، وهكذا ينبغي علينا أن نستطرد في الحديث عن الله لأنه هو أقوى حجة وبيان وأعظم برهان .فقال: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا أي فراشا بحالة تتمكنون من السكون فيها، والقرار، والبناء، والغراس، وإثارتها للازدراع وغيره، وذللها لذلك، ولم يجعلها ممتنعة عن مصلحة من مصالحكم.

وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا أي نفذ لكم الطرق الموصلة، من أرض إلى أرض، ومن قطر إلى قطر، حتى كان الآدميون يتمكنون من الوصول إلى جميع الأرض بأسهل ما يكون، وينتفعون بأسفارهم، أكثر مما ينتفعون بإقامتهم. فهذا من تسهيل الله عزوجل .فهذه الآية لتدلنا على معجزة وآية وإخبار عن الله عزوجل عن السبل والوسائل التي تخترع وتستجد في زماننا هذا وفي كل زمان .

وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى أي أنزل المطر فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وأنبت بذلك جميع أصناف النوابت على اختلاف أنواعها، وتشتت أشكالها، وتباين أحوالها، فساقه، وقدره، ويسره، رزقا لنا ولأنعامنا، ولولا ذلك لهلك من عليها من آدمي وحيوان. أراد موسى عليه السلام أن يأتي بالدليل الذي لا يمكن لفرعون أن ينكره ولا يمكن أن يدعيه . فهل يستطيع فرعون أن يقول أنا أنزل المطر ؟؟ أو هل يستطيع أن يقول أنا أخرج النبات ؟؟ فموسى عليه السلام أتى له بالحجة الدامغة .

كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ (٥٤)

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ وسياقها على وجه الامتنان، ليدل ذلك على أن الأصل في جميع النوابت الإباحة، فلا يحرم منهم إلا ما كان مضرا، كالسموم ونحوه.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى أي لذوي العقول الرزينة، والأفكار المستقيمة على فضل الله وإحسانه، ورحمته، وسعة جوده، وتمام عنايته، وعلى أنه الرب المعبود، المالك المحمود، الذي لا يستحق العبادة سواه، ولا الحمد والمدح والثناء، إلا من امتن بهذه النعم، وعلى أنه على كل شيء قدير، فكما أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى.

وخص الله أولي النهى بذلك، لأنهم المنتفعون بها، الناظرون إليها نظر اعتبار، وأما من عداهم، فإنهم بمنزلة البهائم السارحة، والأنعام السائمة، لا ينظرون إليها نظر اعتبار، ولا تنفذ بصائرهم إلى المقصود منها، بل حظهم، حظ البهائم، يأكلون ويشربون، وقلوبهم لاهية، وأجسامهم معرضة.

وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ .

۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ (٥٥)

ولما ذكر كرم الأرض، وحسن شكرها لما ينزله الله عليها من المطر، وأنها بإذن ربها، تخرج النبات المختلف الأنواع، أخبر أنه خلقنا منها، وفيها يعيدنا إذا متنا فدفنا فيها، ومنها يخرجنا تارة أخرى، فكما أوجدنا منها من العدم، وقد علمنا ذلك وتحققناه، فسيعيدنا بالبعث منها بعد موتنا، ليجازينا بأعمالنا التي عملناها عليها.

وهذان دليلان على الإعادة عقليان واضحان: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم.

الورد السابع

الآيات (٥٦-٦٤)

وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى (٥٨) قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ (٦١) فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ (٦٢) قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ (٦٣) فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ (٦٤)

هذه الآيات هي نهاية المحاجة بين موسى وفرعون والمباهلة والمناظرة بعد الحوار والنقاش.

وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦)

يخبر تعالى، أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع، جميع أنواعها العيانية، والأفقية والنفسية، فما استقام ولا ارعوى، وإنما كذب وتولى،فالطاغية لا تزيده الآيات إلا طغيانا، كذب الخبر، وتولى عن الأمر والنهي، وجعل الحق باطلا، والباطل حقا، وجادل بالباطل ليضل الناس.

فوائد وهدايات :

☆ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ، هنا أجملت الآيات وعممت فلم تفصل لأن المقصود بيان شدة تصلب فرعون وعناده في كفره . ومن رأى آية فكأنما رأى جميع الآيات ، ومن كذب بآية فكأنما كذب بجميع الآيات .وهو لم ير جميع الآيات كلها بقي آية فلق البحر لم يراها وإنما الله يريد أن يبين أنه تبين له الحق تماما .

☆هنا استخدم الأسلوب الذي استخدمه قبل وهو الحيلة والإلتواء والتخوين ، فلما عجز عن الإتيان بالحجة والبرهان لجأ إلى أسلوب الإتهام وهكذا صاحب الباطل إذا انتهت حجته ليس عنده إلا الاتهام.

قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧)

أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ زعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى، سحر وتمويه، المقصود منها إخراجهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، ليكون كلامه مؤثرا في قلوب قومه،وليثير الناس عليه. فإن الطباع تميل إلى أوطانها، ويصعب عليها الخروج منها ومفارقتها. فأخبرهم أن موسى هذا قصده، ليبغضوه، ويسعوا في محاربته.

فوائد وهدايات :

☆ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ، هنا أراد فرعون أن يقلب الحقائق فيوهم للناس بأنه سحر وأنه ليس وحي . أهل الباطل لا ينفكون يدافعون عن بعضهم بأي شيء .

☆خلاصة الامر في النهاية أنها إذا انقطعت حجتهم اتهموا الدعاة المخلصين بتهم مختلقة لصرف الناس عنهم .

☆وهنا نعلم أن تسمية الأشياء بغير مسمياتها الشرعية طريقة فرعونية لصرف الناس عن الحق. ولذلك سمى المعجزة الباهرة التي رآها سحر، ليظهر للناس أنها ليست حق . وها نحن نرى اليوم كيف يوصف الإسلام بالإرهاب ليصرفوا الناس عن الحق.

☆إن حرب الإشاعات وتشويه السمعات لأهل الحق هي طريقة فرعونية سابقة ونحن نراها اليوم ، كيف أتى الغرب كله بوسائله وإمكاناته لتشويه الإسلام بأي سبيل فلما رأوا الإسلام يدخل بيوتهم وخافوا منه فقاموا بتشويه صورته.

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨)

فلنأتينك بسحر مثل سحرك فأمهلنا، والعجيب أنه استمد القوة من غيره وليس من نفسه .واجعل لنا مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى أي مستو علمنا وعلمك به، أو مكانا مستويا معتدلا ليتمكن من رؤية ما فيه.

فوائد وهدايات :

☆هنا فرعون مُصِر ويريد أن يبين للناس أن موسى ليس على الحق ، فهذا جهل مركب ، فكيف يعرف أن موسى على الحق ثم يجمع الناس له . وهنا يشترط على موسى ضع موعد ولا نخلفه لا أنت ولا نحن ومكان مستوي ، فموسى موافق وصاحب الحق ليس عنده مشكلة . فإذا كان الحق معك فدع خصمك يشترط ما يريد، فسيخرج الله من تلك الاشتراطات النصر والفتوحات . وها هو جمعه الذي جمعه صار سببا في ظهور الحق.

☆انظروا كيف الله عزوجل يقلب الأمور ويمكرون ويمكر الله . ها هو قد مكر وجمع الناس كلهم لأجل أن ينهي أمر موسى فانقلب السحر على الساحر وليس هو بسحر من الله ، وإنما هو حقيقة ناصعة بينة .

☆فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ يدل على أن السحر منتشر في عهد فرعون حتى أصبح ثقافة عامة لا ينازع فيها . ولهذا جاءت معجزة موسى مناسبة لحال هذا السحر .

☆فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر بمعنى من جنس ما يتعاملون الناس معه ، ...

☆إذا طلبك خصمك إلى المبارزة وأنت على الحق فلا تخف .

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحى (٥٩)

أنظروا صاحب الحق لا يتراجع بل يستغل الفرصة فهو يريد الناس أن يجتمعون ليرون الحق فكما أن موسى تربى عند فرعون ورباه هنا أتى بالناس كلهم ليروا الحق . فقال موسى: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وهو عيدهم الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم، ويعتبر يوم الزينة يوم بشر عند الناس ويوم فرح، فالإنسان الفرح المستبشر يرى الشيء على حقيقته ، فحتى يرون الحق على حقيقته. وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى أي يجمعون كلهم في وقت الضحى، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى فيه يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره. فالآن موسى يأمر فرعون ويقول له اجمعهم لي ، ويجمعون كلهم في وقت الضحى لأنه وقت إشراق ونور وصفاء والناس كلهم جاهزين، ووقت يتجلى فيه النظر ووقت التعلم والتعليم ، ولذلك الوقت المناسب للمناظرات هو هذا الوقت.

فوائد وهدايات :

☆هنا موسى استغل الفرصة ، قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ، اليوم الذي فيه إجازة ولا أحد يعمل والناس مستعدين ومتزينين وجاهزين واشترط أن يحشر الناس ضحى ، بأن يأتي بالناس كلهم حشرا ، بمعنى أرسل جنودك ليأتوا بالناس جميعا من جميع الأقطار.

☆هنا فرعون جاء بثلاث شروط وقابلها موسى بثلاث شروط ، وذلك من قوة الحق .

☆هنا في هذه الآية نأخذ منها دروس منها: حسن الإختيار في أمور الدعوة في الأماكن وفي الوسائل والأيام فهذا من الحكمة والعقل .

☆وأيضا نأخذ من هذه الآيات أن دين الله ليس سرا وإنما هو جهر وأن الله هو الحق .

☆وهنا ينبغي على الدعاة أن يغشوا الأماكن العامة والمناسبات التي يكثر فيها الناس ليبينوا الحق ما استطاعوا إلى ذلك .

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠)

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ، هنا نكّر الكيد لكونه يشمل ، أي جميع ما يقدر عليه، مما يكيد به موسى، فأرسل في مدائنه من يحشر السحرة الماهرين في سحرهم، وكان السحر إذ ذاك، متوفرا، وعلمه علما مرغوبا فيه، فجمع خلقا كثيرا من السحرة، ثم أتى كل منهما للموعد، واجتمع الناس للموعد.

فكان الجمع حافلا، حضره الرجال والنساء، والملأ، والوجهاء وكبار القوم والأشراف، والعوام، والصغار، والكبار، وحضوا الناس على الاجتماع، وقالوا للناس: هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ* لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِين.

فقيل للناس هناك مناظرة واجتمعوا حتى نرى من هو الفائز ، والناس يريدون مثل هذا ، والوقت هو وقت عيد وفرصة للفرجة واجتمعوا من جميع البلدان ، فاستغل موسى الفرصة ووجد الناس أمامه .

فوائد وهدايات :

☆فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ، ماذا تتصورون من الجهد الذي فعله فرعون والمكائد وحشر الناس وكل الأسباب الداعية وتخطيط ومكر وخبث وجمع للحيل والسحرة وإظهار للأساليب فجمعهم الله في كلمتين فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ. أرأيتم بلاغة القرآن ، فإنه عظيم في اختصار القصة ، قصة لا تقل عن شهر من الكيد جمعها الله في كلمتين فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ..

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَاب وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ (٦١)

فحين اجتمعوا من جميع البلدان، وعظهم موسى عليه السلام، وأقام عليهم الحجة، وقال لهم: وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ أي لا تنصروا ما أنتم عليه من الباطل بسحركم وتغالبون الحق، وتفترون على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب من عنده، ويخيب سعيكم وافتراؤكم، فلا تدركون ما تطلبون من النصر والجاه عند فرعون وملائه، ولا تسلمون من عذاب الله، وكلام الحق لا بد أن يؤثر في القلوب.هذه خلاصة ، فالله تعالى أعطانا ما الذي قدمه موسى فلا شك أنه بيّن للناس .وهنا الكلام الحق لا بد أن يؤثر في القلوب خصوصا إذا جاء في لحظة حاسمة وصاحب الحق قد محّض النصح له والإخلاص واستدعى كل ما عنده .

فوائد وهدايات :

☆ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبا هنا دليل على قوة الحق، دلائل قوية متماسكة ثابتة راسخة ليس فيها خوف تؤثر في الناس ولذلك صاحب الحق يجب أن يكون قويا في أسلوبه وكلمته ثابتة وراسخة وواضح أنه على يقين وعلى علم ، والخائف المرتبك الناس لا يصدقونه يضعف في نفوسهم وأعينهم .

☆وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ، كلمة عظيمة تزلزل الجبال ،فهنا قنبلة إيمانية من كلمة الحق ، جعلو السحرة يتنازعون فيما بينهم ، هنا أسلوب موسى الذي سمعوه أول مرة يسمعونه فليس هو أسلوب كيد وسحر بل أسلوب حق وتهديد برب العالمين وعذاب . هنا تهديد فرعون بالسجن ونحوه ، لكن موسى يهددهم بالعذاب . فموسى يتحدث عن الله عزوجل وعن العذاب ، فهنا تنازعوا ، فكلمة الحق إذا صدرت بقوة ومن قلب مخلص وبكلمات واضحة وقوية فإنها تؤثر بإذن الله.

☆فالسحر افتراء على الله ، لأنه يستمد من باطل لتحصيل باطل وتشويه حقائق .

☆فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ، إن كلمة الحق لها هيبة وقوة تربك الباطل وتشتته ، والله إن لها هيبة يصنعها الله في نفوس الناس ولا تتردد في قولها في وقتها ، فإذا رأيت الباطل قد ظهر ، فأعطي كلمة الحق فقط من غير أن تدخل في شجار بأن هناك إله وهناك عقاب وهناك جنة وهناك نار .

فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ (٦٢)

لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة لما سمعوا كلام موسى، وارتبكوا، ولعل من جملة نزاعهم، الاشتباه في موسى، هل هو على الحق أم لا؟ ولكن هم إلى الآن، ما تم أمرهم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، لِيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ فحينئذ أسروا فيما بينهم النجوى، وأنهم يتفقون على مقالة واحدة، لينجحوا في مقالهم وفعالهم، وليتمسك الناس بدينهم.

قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ (٦٣)

والنجوى التي أسروها فسرها بقوله: قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى كمقالة فرعون السابقة، فإما أن يكون ذلك توافقا من فرعون والسحرة على هذه المقالة من غير قصد، وإما أن يكون تلقينا منه لهم مقالته، التي صمم عليها وأظهرها للناس، وزادوا على قول فرعون أن قالوا: وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى أي طريقة السحر حسدكم عليها، وأراد أن يظهر عليكم، ليكون له الفخر والصيت والشهرة، ويكون هو المقصود بهذا العلم، الذي أشغلتم زمانكم فيه، ويذهب عنكم ما كنتم تأكلون بسببه،فالناس أهم شيء عملهم وما يتبع ذلك من الرياسة، وهذا حض من بعضهم على بعض على الاجتهاد في مغالبته، بمعنى دفع بعضهم بعضا .

فوائد وهدايات :

☆ هؤلاء السحرة كانوا يرون أنهم يملكون الطريقة المثلى ، وعلى شيء بديع وعلى صراط مستقيم،وعلى أمر لا يأتي به أحد غيرهم وظنوا أن موسى يريد أمور مادية وأن يحل هو وأخوه مكان فرعون .

☆إن أشد ما يخافه أهل الباطل ، هو خوفهم على مناصبهم ومكانتهم التي حصلوا عليها ،فيخشون أن يفقدوا أرزاقهم ومعيشتهم فهم يتعيشون من وراء هذا السحر عند فرعون.

فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ (٦٤)

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ أي أظهروه دفعة واحدة متظاهرين متساعدين فيه، متناصرين، متفقا رأيكم وكلمتكم، وهذا يؤكد أن الإنسان لا ينتصر إذا كان مشتت ومفرق مع غيره فلا بد أن يجمع أمره ، فإذا الباطل يجتمع فكيف أهل الحق. ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ليكون أمكن لعملكم، وأهيب لكم في القلوب، ولئلا يترك بعضكم بعض مقدوره من العمل،بمعنى كل واحد

يستدعي كل ما عنده من السحر واعلموا أن من أفلح اليوم ونجح وغلب غيره، فإنه المفلح الفائز، فهذا يوم له ما بعده من الأيام.

فلما تمت مكيدتهم وانحصر مقصدهم ولم يبق إلا العمل قالوا يا موسى إما أن تلقي عصاك وإما أن نكون أول من ألقى ، خيروه ، وهم واهمين على أنهم هم الغالبين .

فوائد وهدايات :

☆فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ، علموا أن فلاحهم منوط بتنظيم صفوفهم وتوحيد كلمتهم وإحكام أمرهم فهؤلاء أهل الباطل. فأين أهل الحق فهم أولى بأن تجتمع كلمتهم ولا يتفرقوا ولا يتنازعوا. فالباطل المتحد يهزم الحق المتفرق .فالإجتماع قوة ومن سنن الله عزوجل فإذا اجتمع أهل الباطل على أهل الحق وكانوا متفرقين هزم أهل الحق. لكن إذا اجتمع اهل الباطل كلهم في الأرض كلها على أهل الحق وهم على كلمة واحدة يستحيل في سنة الله أن يهزموا كما كان في يوم الأحزاب .

☆إن طلب العلا ممدوح ، لكنه مذموم إذا كان يقصد به مناصرة الباطل وانتشاره .

☆أهل الباطل يظنون بأنهم بقربهم من أصحاب القرار والتمكن أنهم سيفلحون . هؤلاء السحرة ظنوا أن فلاحهم بقربهم من فرعون فكان فلاحهم بسجودهم لله ، فالفلاح بالقرب من الله والسجود له .

الورد الثامن

الآيات (٦٥-٧٦)

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ (٦٦) فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ (٦٧) قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٦٨) وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ (٧١) قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ (٧٢) إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ (٧٣) إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ (٧٥) جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦)

هذه الآيات واردة في المناظرة التي كانت بين موسى عليه السلام وبين السحرة في اليوم الذي تواعدوا فيه وهو يوم الزينة وحشر الناس لهذه المناظرة .وهذه المناظرة هي أعظم مناظرة في التاريخ ذكرها القرآن وبيّن فيها أن الحق غلب الباطل وأن الله قذف الحق على الباطل فدمغه .

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ (٦٥)

فلما تمت مكيدتهم، وانحصر مقصدهم، ولم يبق إلا العمل قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عصاك وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى خيروه، موهمين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي حالة كانت. وهذا التخيير يحتمل أمران : إما ضعف وإما قوة . فالضعف ناتج من أنه قال عنهم قبل ذلك ، فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى بمعنى صار عندهم تردد وخوف بعد أن وعظهم موسى ولهذا عرضوا عليه من باب العرض وليس من باب الجزم .أما المعنى الثاني الذي ذكره المفسرون أن هذا منهم على جزم لظهورهم وقوتهم واستعراضهم كأنهم يقولون لك الخيار افعل ما تشاء إما أن تلقي أنت وإما أن نلقي، فهم واثقون بأنفسهم ، وعلى كل حال السياق في نهايته يدل على أن هذا منهم في تردد وأنهم في نهاية الأمر آمنوا والله أعلم.

فوائد وهدايات:

☆ في هذه الآية ، إن قصد موسى بإلقائهم أولا قصد حسن يستوجبه المقام لأن إلقاءهم قبله يستلزم إبراز ما معهم من مكائد السحر واستنفاذ أقصى طرقهم ومجهودهم فإذا فعلوا ذلك كان في إلقائه هو بعد ذلك وابتلاعها لجميع ما ألقوا من إظهار الحق وإبطال الباطل . ومنهنا يؤخذ أن الإنسان ينبغي أن لا يقيم حجته أول الأمر بل يحاول أن يكون آخر من يبدي كلمته.

☆هذه الآية هي أسلوب من أساليب الجدال ، والمناوشة في الكلام بداية المعركة ، ومحاولة زعزعته وإخافته وأن السحرة هم على قوة .

☆في هذه الآية أنه ليس من المهم أن تكون أول من يقول بل المهم أن تكون أصدق من يقول .

قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦)

فقال لهم موسى بقوة وثبات ويقين واعتزاز بما آتاه الله تعالى من الآية العظمى الظاهرة قال: بَلْ أَلْقُوا، هذا يعني أن صاحب الحق عليه أن يتريث فيما عنده حتى يرى الحجج لدى الآخرين فيظهر حجته فتكون دامغة لها. ولا تستعجل في إلقاء رأيك وملاحظاتك وإبداء قرارك ، ومن الحكمة أن تكون آخر المتحدثين حتى تأتي بكل ما أتوا به وتفصل بالكلمة الفاصلة. فألقوا حبالهم وعصيهم، يظنون أنها ستكون مبهرة له ولمن حضر فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أي إلى موسى مِنْ سِحْرِهِمْ البليغ أَنَّهَا تَسْعَى أي أنها حيات تسعى فلما خيل إلى موسى ذلك أوجس في نفسه خيفة.

فوائد وهدايات :

☆يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أن السحر لا يؤثر في قلب الأعيان حقيقة فلا يجعل الحديد خشبا ، ومن زعم أن السحرة يقدرون على تغيير الصورة تماما وتحويلها عما خلقها الله إلى غيرها فإن هذا كفر وهذه الأفعال أفعال رب العالمين وإنما يوقعون ذلك من حيث التخييل في أعين الناس لا حقيقة .

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧)

أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره. لكن هذا أمر وقع في قلب موسى في روعه فأظهره الله فالله يعلم ما في النفوس والخواطر ويعلم ما يكون منك من خوف ووجل وعزيمة وصدق وإيمان أو ضعف وتردد أو كذب ونفاق وقد يظهره الله في موضع.

فوائد وهدايات:

☆فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً ، إن ألاعيب أهل الباطل قد تخيف وقد لا يثبت معها الناس بل قد تصيب أصحاب البصيرة فما الظن بغيرهم ، فهذا موسى عليه السلام يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن

سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً ، فكيف بغيره . فبهذا ينبغي للإنسان وهو يرى مظاهر الباطل وألاعيبهم وفنونهم واستعراضاتهم لا يبهر بل ينبغي أن يثبت ويعلم أنه على الحق .

☆وفي هذه الآيات تدل على أن السحر حقيقة موجود لا كما ينكره من ينكره ، وهذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة .

☆ الخوف من نوازع البشر لا يؤاخذ الله عزوجل عليه ، ولذلك وقع على موسى ولم يلومه الله ولكن قال له لا تخف تثبيتا له ولا يقدح في صحة الإيمان إذا لم يستمر ويتبعه اتخاذ قرارت.فالإنسان مهما كان يخاف فخوفه في نفسه لا بأس لكن لا يتكلم ولا يفعل ولا يتراجع ولا يتخلى عن مبادئه ولا يتكلم في شيء يقدح في صحة إيمانه.ولهذا موسى لم ينطق بخوفه وإنما أوجس في نفسه خيفة فالمخالفة في النطق والفعل بأن يتراجع وأن يتخلى عن مبادئه.

☆على المسلم أن يعلم أن الله يطلع على ما في نفسه ، فينبغي على الإنسان أن يراجع قلبه وما فيه من نوايا ووساوس ومخاوف لئلا يطلع الله على ما لا يرضيه أو تكون سببا في توهيمه و ضعفه.

☆فكل إنسان يخاف ،لكن الإيمان والثقة بالله يقلل من مساحة الخوف ، فكلما كان الإيمان قوي كان الخوف بسيط جدا ، فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً ، ليس خوف شديد بل خيفة بسيطة . فكلما كان الإيمان قوي والثقة موجودة بالله فيكون هناك عارض بسيط جدا أما إذا ضعف الإيمان فإن الخوف يعظم في النفس ويتبعه تراجع وتسخط.

قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٦٨)

قُلْنَا أي الله عزوجل (نون العظمة) له تثبيتا وتطمينا له: لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى عليهم، أي ستعلو عليهم وتقهرهم، ويذلوا لك ويخضعوا. وهذا يؤكد أن صاحب الحق يحتاج إلى عزيمة وإلى من يدعمه ويقويه ويدفعه ويثبته مهما كان إيمانه ومهما كانت حجته فيحتاج من يسانده . كما قال الله تعالى لصحابة رسول الله: ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون. فالمؤمن يضعف ويحتاج إلى قوة،فإذا رأيت إنسانا قد ضعفت حجته فأسنده إذا كان صاحب حق.

فوائد وهدايات :

☆ أكثر ما يحتاج المؤمن لعبارات التثبيت والعزة والقوة قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ، ترتفع الهمم بمثل هذا التأييد والتقوية مثل ما قالت خديجة للرسول صلى الله عليه وسلم ، كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، هذه الكلمة من خديجة في هذا الموقف الشديد الذي ثبتت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وآزرته ليست بالسهلة فكلمات ينبغي أن نقولها دائما حينما نرى من حولنا يقع في الخوف أو الريب أو الشك إنما ينبغي أن نبعثه على القوة والعزة والثبات لا على الخوف ،فصاحب الحق هو الأعلى وحجته هي الأعلى لأنه قائم بأمر الله مستمد حجته من مولاه ،فالله معك ما دمت صادقا ،وما دمت على الحق لا تخف ،مهما كانت الظروف .

وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)

وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ، فهذه اليمين المباركة تيمنا ،وكل يمين مبارك ، فيمينك أيها المسلم لا تشير إلا للخير ولا تكون إلا مع الخير دائما وأبدا ، فيمينك هي دليلك فلتكن دائما فيها على خير وبر وإحسان في العطاء والخير . أي عصاك تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى أي كيدهم ومكرهم، ليس بمثمر لهم ولا ناجح،

فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، فهذا يعني أن السحرة لا يمكن أن يقلبوا الامور بحقيقتها بل كل ذلك تخييل ويلبسون الباطل، ويخيلون أنهم على الحق،والذي يظن أن السحرة يقلبون الحقائق فقد كفر ، لأنه أعطاهم ما هو من خاصية الله تعالى فلا يمكن أن يقلبوا الشيء عن حقيقته التي خلقه الله عليها إلى شيء آخر فليس قادر على ذلك إلا الله عزوجل وإنما يفعلون تخيلات وتلبيس، فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا كله وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع، فعلم حينها السحرة الذين قد أتوا بكل ما عندهم من وسيلة للسحر وهم أخبر الناس بالسحر علموا يقينا بأن ما عند موسى ليس بسحر وأنه من الله ومن هنا اعترفوا فبادروا بالإيمان فألقي السحرة ساجدين.

فوائد وهدايات :

☆هنا أفرد لفظ الساحر ، وذلك لأنه ضعيف وشغل واحد ولم يأتوا بما يستحق الخوف والرعب . وإذا قرأتم الكلمة في رسم المصحف تجدون حذف الألف رسما ووضع فوق السين ألف قصيرة فوقها أي ليس فيها كلمة ألف (ساحر). فما دلالة هذا الرسم؟ ذكر بعض المفسرين أن هذه الألف المحذوفة تدل على صغر وحقارة وقصر سحرهم.

☆وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ هذه الكلمة العظيمة التي تدل على أن السحر والسحرة لا يفلحون.وهذه الكلمة بإذن الله تفعل الافاعيل في المسحور في فك السحر فهي كلمة عظيمة من الله وهي مما تستخدم في الرقية ولها أثر عظيم بإذن الله.

☆إن كلمة تلفف وردت فيها ثلاث قراءات: :تلقَفُ إشارة إلى أنك أنت يا موسى ، وهذا فيه إزالة الخوف من قلب موسى . تلقفْ هي العصا ما صنعوا وهي في بداية أمر العصا ، وقراءة تلقّف بالتشديد في نهاية الأمر وأنها جاءت على جميع حبالهم .

☆في قوله إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ إن تنكير كيد يدل على ضعف السحرة وكيدهم، فكيد السحرة ضعيف.

☆وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ فيه تحريم السحر بكل أنواعه في كل الشرائع ومن أين أتى السحر فهو محرم ولهذا السحر من السبع الموبقات .

فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠)

فوقع الحق وظهر وسطع، وبطل السحر والمكر والكيد، في ذلك المجتمع العظيم.فصارت بينة ورحمة للمؤمنين وحجة للمعارضين .

فوائد وهدايات:

☆ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدا ولم يقل فسجدوا ، ودل على أنهم اعترفوا مباشرة واستسلموا مباشرة ولم يستطيعوا تمالك الأمر بهذا الاعتراف إلا أن يقعوا سجدا لله تعالى تمام الاعتراف.ويدل على سرعة استسلامهم واعترافهم وخضوعهم لله عزوجل.

☆وهذا مما ينبغي على المسلم الصادق أنه إذا رأى الحق مباشرة يستسلم ومباشرة يخضع له ولا يكون في قلبه قبل وإعراض عياذا بالله .

☆عجبا لأمر السحرة ، أولا انهم أمام الملأ وهم في ساحة مجادلة وحوار وإظهار للمنتصر وأيضا تحت سلطة فرعون الطاغية ثم بهذه السرعة يستجيبون ويلقون بأنفسهم سجدا لله. والعجب أن هذه السجدة سجدة واحدة قرت فيها عيونهم فثبت واستقر الإيمان في قلوبهم.

☆لذلك يعظم عند الله العمل الصالح ومنه الصلاة والسجود إذا كان الإنسان يستحضر فيه هذه العظمة لله وهذا التذلل وهذا الإنقياد لله . مهما كان الماضي سيئا فالهداية ممكنة فهؤلاء كانوا سحرة جنودا لفرعون فأصبحوا مهتدين . فلا نستبعد لأحد أن يؤمن بالله .

☆هنا دليل على أن البارع في حرفة الشيء الذي وصل الى غاية المعرفة فيه هو أقرب الناس إلى الإيمان لأنه قد بلغ المنتهى في المعرفة ويظن أنه لا يوجد شيء آخر ، فإذا تكشف له فوق ما عنده اعترف واستسلم ولهذا نجد في هذا الزمن ، كم من أناس من الكفار الذين يكتشفون في الكون فيتبين لهم قدرة الله الباهرة فيسلمون، لأنه تبين لهم البرهان الحقيقي ولذلك العلم هو دافع للإنسان على الإيمان والهداية وقبول الحق .

☆قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ، هنا جمعوا بين الألوهية والربوبية والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر ، فهم جاءوا بأصول الإيمان هنا ، فيدل على أنهم سمعوا من موسى موعظة كاملة وأن القرآن أتى لنا بإشارات من هذه المقابلة ، والذي يظهر والله أعلم أن موسى عليه السلام كان بينه وبينهم لقاء طويل في التعريف بالله تعالى .

فالإيمان متى خالطت بشاشته القلب تحول الإنسان من حال إلى حال.

☆وقد تقدم ذكر هارون على موسى في هذه السورة بخلاف سورة الأعراف ، ليدل على أن السورة لها جو معين وألفاظها تراعى من أجل هذا الجو الذي فيه والغرض والمقصد .وقد ذكر أهل العلم ومنهم ابن عاشور رحمه الله أن القرآن يقدم ما له العناية وذلك أن هذه السورة هي السورة الوحيدة التي اعتنت بهارون وظهرت شخصيته فيها أكثر من السور الأخرى ولعل السر في هذا والله أعلم أن هارون كان سببا في تثبيت موسى وسببا في إزالة ما يخافه من عدم البيان ،فهو إنما سأل موسى ربه أن يجعله نبيا لأنه قال هو أفصح مني لسانا فكان أثر هارون على موسى تطمين وتثبيت . وهذه السورة كلها جاءت للتطمين والتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهذه سورة الأمن النفسي ، فجاءت ألفاظها دالة على التطمين والأمن فلهذا قدم هارون على موسى ليظهر أنها دلالة على أنهم قد استقر الإيمان في قلوبهم وثبتوا عليه ، فكما أن هارون كان سببا في تطمين موسى فكذلك هم اطمأنوا بالإيمان بعد أن سمعوا حجة هارون وموسى عليه السلام .

☆لماذا هنا أفرد السجود؟؟ فالسجود أعظم أعمال الصلاة فلذلك يشرع السجود منفرد عن الصلاة لكن لا يشرع الركوع ، فليس هناك ركوع بلا صلاة ،بل السجود يجوز منفردا كسجود التلاوة وسجود الشكر والسجود عند الآيات العظام . ولهذا قال في سورة العلق: كلا لا تطعه واسجد واقترب .فالسجود له خاصية من بين أعمال الصلاة .

☆وهنا قدم السجود على القول فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ وهذا يدل على أن الصادقين أفعالهم تسبق أقوالهم.

☆فإذا رأيت الصامت فاعلم أنه أقرب إلى الصدق ،فالذي تراه قليل الكلام فهو أكثر صدقا من غيره لأنه لا يتكلم إلا في الشيء المهم .فينبغي أن تكون أفعالنا أكثر من أقوالنا.

قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ (٧١)

ف قَالَ فرعون للسحرة متعجبا مستكبرا: آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ أي كيف أقدمتم على الإيمان من دون مراجعة مني ولا إذن؟ فهو اعتاد أنهم لا يفعلون شيء إلا بإذنه ، وأن الناس كلهم لا يفعلون شيء إلا بإذنه .

استغرب ذلك منهم، لأدبهم معه، وذلهم، وانقيادهم له في كل أمر من أمورهم، وجعل هذا من ذاك.

ثم استلج فرعون في كفره وطغيانه بعد هذا البرهان، واستخف عقول قومه، وأظهر لهم أن هذه الغلبة من موسى للسحرة، ليس لأن الذي معه الحق، بل لأنه تمالأ هو والسحرة، ومكروا، ودبروا أن يخرجوا فرعون وقومه من بلادهم، فقبل قومه هذا المكر منه، وظنوه صدقا فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . مع أن هذه المقالة التي قالها، لا تدخل عقل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة بالواقع، فإن موسى أتى من مدين وحيدا،

وحين أتى لم يجتمع بأحد من السحرة ولا غيرهم، بل بادر إلى دعوة فرعون وقومه، وأراهم الآيات، فأراد فرعون أن يعارض ما جاء به موسى فسعى ما أمكنه، وأرسل في مدائنه من يجمع له كل ساحر عليم.

فجاءوا إليه، ووعدهم الأجر والمنزلة عند الغلبة، وهم حرصوا غاية الحرص، وكادوا أشد الكيد، على غلبتهم لموسى، وكان منهم ما كان، فهل يمكن أن يتصور مع هذا أن يكونوا دبروا هم وموسى واتفقوا على ما صدر؟ هذا من أمحل المحال، ثم توعد فرعون السحرة فقال: فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ كما يفعل بالمحارب الساعي بالفساد، يقطع يده اليمنى، ورجله اليسرى،يريد أن ينكل بهم حتى لا يؤمن الناس إذا رأوا ذلك المشهد الفظيع لا يمكن أن يؤمن أحد . وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ أي لأجل أن تشتهروا وتختزوا، وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى يعني بزعمه هو أو الله، أشد عذابا وهو في ظنه أنه أشد عذابا من الله وأبقى، قلبا للحقائق، وترهيبا لمن لا عقل له.فالناس استسلموا وأخذوا بكلامه ولم يؤمن إلا السحرة ، فكاد أن يؤمن الناس كلهم لولا طغيانه وفجوره.

فوائد وهدايات :

☆فالمهزوم مباشرة يحاول أن يوجد له مستمسك بأي سبيل ،ولهذا قال كيف تؤمنون بدون إذني ترهيبا لهم ، ومباشرة اتهمهم بعد أن كان معهم . فالمجرمون يصطنعون أعذارا واهية لتسويغ فشلهم ولا يعترفون بالحق بل ينسبون فشلهم لخصومهم.

☆إن فرعون جمع السحرة بنفسه وكافأهم إن غلبوا موسى ، فلما آمنوا بموسى وتركوه قال إنه لكبيركم الذي علمكم السحر .

☆هنا فائدة مهمة وهي لا أحد يستطيع أن يمتلك عواطف الناس ومشاعرهم وقلوبهم على كل حال لأن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء . فلم يستطع فرعون أن يستميل السحرة وهم أتباعه إنما أرهب الناس إرهابا حتى الناس اتبعوه كرها .فهذا دليل على أنه مهما بذلت الأسباب في جذب الناس للباطل لن يستطيع أحد إلا

بزخرف من القول ، لكن الصادقين المؤمنين لن يستميلهم أحد بإذن الله ما داموا ثابتين على الحق . وهذا يؤكد لنا أن تكون قلوبنا لله فإذا كانت لله صادقة كانت عواطفنا ومشاعرنا لله وحده لا يؤثر فينا أي تأثير .

قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ (٧٢)

ولهذا لما عرف السحرة الحق، ورزقهم الله من العقل ما يدركون به الحقائق، أجابوه بقولهم:

لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ أي لن نختارك وما وعدتنا به من الأجر والتقريب، على ما أرانا الله من الآيات البينات الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده، المعظم المبجل وحده، وأن ما سواه باطل، ونؤثرك على الذي فطرنا وخلقنا، هذا لا يكون فالإنسان إذا عرف الله حق معرفته فلا يمكن أن يتراجع.فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ من القتل والعذاب والصلب ، افعل ما تشاء .

إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أي إنما توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا، ينقضي ويزول ولا يضرنا، بخلاف عذاب الله، لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظيم.

وهذا كأنه جواب منهم لقوله: وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى وفي هذا الكلام، من السحرة، دليل على أنه ينبغي للعاقل، أن يوازن بين لذات الدنيا، ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة.

إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ (٧٣)

إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا أي كفرنا ومعاصينا، فإن الإيمان مكفر للسيئات، والتوبة تجب ما قبلها، وقولهم، وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ،هذا يدل على أنهم مكرهون وعلى أنهم غير مختارين في عملهم المتقدم، وإنما أكرههم فرعون إكراها.

والظاهر –والله أعلم– أن موسى لما وعظهم كما تقدم في قوله: وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ أثر ذلك فيهم لأنهم عندهم علم ، ووقع منهم موقعا كبيرا ، ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام والموعظة ، فلو لم يتنازعوا لدل على أنهم ما زالوا مستمسكين بما هم عليه فتنازعهم يدل على أنه دخل في قلوبهم وأثر فيهم كلام موسى عليه السلام ، ثم إن فرعون لما رأى تنازعم واختلافهم ألزمهم بالقوة ، وأكرههم على المكر الذي أجروه، ولهذا تكلموا بكلامه السابق قبل إتيانهم، حيث قالوا: إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا فجروا على ما سنه لهم، وأكرههم عليه، ولعل هذه النكتة، التي قامت بقلوبهم من كراهتهم لمعارضة الحق بالباطل وفعلهم، ما فعلوا على وجه الإغماض، هي التي أثرت معهم، ورحمهم الله بسببها، ووفقهم للإيمان والتوبة،فالإنسان إذا أكره على شيء فإن الله يرحمه وهو أقبل للحق من غيره فالله لا يؤاخذ بالإكراه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان. لكن هؤلاء إنما قاموا لإظهار حجة على الباطل فكان موقفهم مناصرة لفرعون . والله خير ، هذه كلمة عظيمة يجب أن نحفظها حينما نهدد في دنيانا أو مصالحنا أو أي شيء من حياتنا ، نقول والله خير بمعنى أن ما عند الله من الأجر والمنزلة والجاه خير من كل شيء ولهذا النكرة هنا تعم والله خير في كل شيء ، ولهذا قال وأبقى بمعنى ثوابا وإحسانا لا ما يقول فرعون: وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى يريد أنه أشد عذابا وأبقى.

وجميع ما أتى من قصص موسى مع فرعون، يذكر الله فيه أنه أتى على قصة السحرة، أن فرعون توعدهم بالقطع والصلب، ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأت في ذلك حديث صحيح، والجزم بوقوعه، أو عدمه، يتوقف على الدليل، والله أعلم بذلك وغيره، ولكن

توعده إياهم بذلك مع اقتداره، دليل على وقوعه، ولأنه لو لم يقع لذكره الله، ولاتفاق الناقلين على ذلك.

إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ (٧٤)

يخبر تعالى أن من أتاه، وقدم عليه يوم القيامة مجرما –أي: وصفه الجرم من كل وجه، وذلك يستلزم الكفر– واستمر على ذلك حتى مات، فإن له نار جهنم، الشديد نكالها، العظيمة أغلالها، البعيد قعرها، الأليم حرها وقرها، التي فيها من العقاب ما يذيب الأكباد والقلوب، ومن شدة ذلك أن المعذب فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها، وإنما حياته محشوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر قدره، ولا يفتر عنه ساعة، يستغيث فلا يغاث، ويدعو فلا يستجاب له.

نعم إذا استغاث، أغيث بماء كالمهل يشوي الوجوه، وإذا دعا، أجيب بـ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ

وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ (٧٥)

ومن يأت ربه مؤمنا به مصدقا لرسله، متبعا لكتبه قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ الواجبة والمستحبة، فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا أي: المنازل العاليات، و الغرف المزخرفات، واللذات المتواصلات، والأنهار السارحات، والخلود الدائم، والسرور العظيم، فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦)

وَذَلِكَ الثواب، جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى أي تطهر من الشرك والكفر والفسوق والعصيان، إما أن لا يفعلها بالكلية، أو يتوب مما فعله منها، وزكى أيضا نفسه، ونماها بالإيمان والعمل الصالح، فإن للتزكية معنيين، التنقية، وإزالة الخبث، والزيادة بحصول الخير، وسميت الزكاة زكاة، لهذين الأمرين.

الورد التاسع

الآيات (٧٧-٧٩)

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ (٧٧) فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ (٧٩)

هذه الآيات واردة بعد أن انتهت المناظرة بين موسى وفرعون ونصر الله الحق فيها ، كان أمر موسى وبني إسرائيل بعد ذلك عبودية السر والخفاء فإن فرعون ازداد طغيانه وغضبه ، وقد أمر الله تعالى موسى أن يتخذ من بيوتهم مسجدا وقبلة خفاء ، ثم أذن الله بعد ذلك بالخروج من مصر .

وقال الله تعالى وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا، وكأن في هذه الآية إشارة للنبي عليه الصلاة والسلام ،.وللصحابة الذين يلاقون الأذى والضيق من المشركين بالهجرة إلى الحبشة (إذ أن هذه السورة نازلة في السنة الخامسة).

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ (٧٧) فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ (٧٩)

لما ظهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام، ويسعى في تخليص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني

إسرائيل ويريه الله من الآيات والعبر، ما قصه الله علينا في القرآن،وإنك لتعجب من حلم الله تعالى الذي لم يعاجل فرعون بعد أن أراه الآية بإيمان السحرة وانتصار موسى عليه . وبنو إسرائيل لا يقدرون أن يظهروا إيمانهم ويعلنوه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهرا، ويقيموا أمره.

فأوحى إلى نبيه موسى أن سر أو سيروا أول الليل، لئلا يطلع عليهم فرعون فيسارعهم ، وأخبر الله تعالى موسى أن فرعون وقومه سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، ولكن الله غالب على أمره.

فتكاملت جنود فرعون فسار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من ورائهم، قد امتلأ عليهم غيظا وحنقا، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعد ربه، فقال: كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فأوحى الله إليه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه، فانفرق اثني عشر طريقا(على عدد أسباط بني إسرائيل) ، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأيبس الله طرقهم التي انفرق عنها الماء مباشرة ، فتصوروا هذا المشهد العظيم الذي يدلنا على قدرة الله ووجوده ونصر الأولياء، بأن جمد لهم البحر فأصبح كالجبال ويبس الأرض مباشرة فليس فيها بللا أبدا في لحظة واحدة ، وأمرهم الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الغرق في البحر، فسلكوا في تلك الطرق، وهنا لاحظوا الجمع بين الخوف والخشية .

فجاء فرعون وجنوده، فوجدوا الطرق مهيأة فسلكوا وراءهم، وقد ورد في بعض الآثار أن فرعون قد تلكأ ولكن جبريل قد أخذ بزمامه وزمام فرسه واقتحم به البحر ، ولكن الله

قدر عليه هلاكه. وإن هذا لمن السفاهة العجيبة لفرعون ، فهو يرى موسى عليه السلام ويرى آيات الله أمام عينه ويرى العصا واليد ويرى السحرة يؤمنون وها هو يرى آية عظمى على وجه الأرض حصلت لنبي من الأنبياء وهي فلق البحر . ولا شك أن فرعون يرى أن هذا أمر خارق وعجيب ، فأين عقله أن يستحضر المشهد ويرى أن هذه الآية كافية للدلالة على قدرة الله وأن الله رب العالمين وأن موسى عليه السلام نبي الله ولكن الكبر يعمي عينيه، فالمستكبر لا يرى الحق صم بكم عمي فهم لا يعقلون .

حتى إذا تكامل قوم موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيهم من اليم ما غشيهم ، فغشيهم الماء والغم والكرب والغرق وغرقوا جميعا ولم ينج منهم أحد ، وبنو إسرائيل ينظرون إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم بهلاكهم وهلاك هذا الطاغية .فلو كان في بني اسرائيل من المعرفة والصدق لكانت هذه الآية كافية لهم في الاستسلام التام لأمر الله والطاعة لأنبيائه ولكنهم تلكؤوا وغيروا.

وهذا عاقبة الكفر والضلال لفرعون وقومه ، وعدم الاهتداء بهدي الله، ولهذا قال تعالى: وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ بما زين لهم من الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هداهم في وقت من الأوقات، فأوردهم موارد الغي والضلال، ثم أوردهم مورد العذاب والنكال.

عجبا كيف يضلهم وهم يرون الحق أمامهم والآيات ، فهذا يدل على هذا الطغيان العجيب الذي وصل بفرعون وهذا الغباء الذي كان في قومه، فاستخف قومه فأطاعوه وما هدى في أي طريق من الطرق ولا أي وقت من الأوقات وأموره كلها ضلال فأوردهم موارد الغي والضلال ...

فإن كلمة (وما هدى) تدل على أنه ما هداهم في أي لحظة من اللحظات ، يعني ليس في كل أمره هداية وإنما كل أمره ضلال . وهذا حال المستكبرين فإن أمرهم كله ضلال في ضلال.

فهذا المشهد العظيم كاف للمؤمن وهو يقرأه أن يستحضر عظمة الله وقدرته على الطغاة المستكبرين . وأن المؤمن حينما يقرأ هذه الآيات فقط فإنها تكفيه للدلالة على تصغير قوى الأرض كلها لأنها لا تعادل عند الله شيئا لأنه لو أراد أغرقها بلحظة .

فوائد وهدايات:

☆قال الله تعالى وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ ولم يقل (وأوحينا) كأن في هذه القصة اهتمام خاص ليلقي السامعون إليها أذهانهم وينتبهوا لها لأن قد للتحقيق والتنبيه . وإن تغيير الأسلوب في القرآن فهو للفت الانتباه وللدلالة على أن ما بين القصة الأولى والثانية وقت طويل وهو أن موسى بقي مع قومه وقت يدعو وقد بيّن الله تعالى لنا في كتابه حال دعوته ثم بعد ذلك أمره أن يسري بعباده ، وليس مباشرة بعد أن انتهت المناظرة خرج .

☆في هذه الآية دليل على أن أهل الحق منذ القدم وهم مطاردون وغرباء . ولذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام لما أوحي إليه وجاء إلى خديجة رضي الله عنها وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل فقال له كلمة تعجب منها النبي صلى الله عليه وسلم ،قال :فكيف بك إذا أخرجك قومك ، قال: أومخرجي هم؟ قال :نعم ، فما من نبي جاء بمثل ما جئت به إلا وقد أخرج من بلده. فهي سنة إلهية من سنن الابتلاء. وها نحن نرى اليوم بعض المسلمين يهجرون من بلادهم ويعادى ويؤذى ويستضعف في الأرض ،والله غالب على أمره.

☆نلاحظ أيها الأخوة في قصة موسى شيء عجيب ودرس عظيم ينبغي أن نأخذه درس في حياتنا. فموسى سلم الأمر كله لله فإدارة المشهد كله لله ولا يظهر في سياق الآيات أن موسى يتصرف إلا بإذن ربه ،فترك وفوض الأمر كله لله حتى في خروجه ومجادلته ،ولا شك في هذا لأنه معه وحي من الله ، ولكن الدرس الذي نستفيده من هنا ، أنه ينبغي للمؤمن العبد الصادق أن يترك إدارة الأمر وتفويضه لله ، فالله يوصلك إلى أمانك . فإذا وجدت من يعاديك فلا تعاديه ، فانظر ماذا يأمرك الله تعالى في القرآن الكريم ، فإنك ستجد من وحي ربك القرآن إشارات وتوجيهات وكأن الله تعالى يوجهك مباشرة فلا تتخذ قرارتك

من فهمك أو من هواك او من توجيه الناس لك فإياك أن تأخذ طريقك من توجيه الناس ، خاصة من الناس الذين ليس لهم علاقة قوية بالله تعالى ، أما الذي تجد ان له صلة بالله خاصة فإنه لن يعطيك توجيها إلا هو قد أخذه من كتاب الله . المهم أنك ثق ثقة تامة أنه إذا سلمت أمرك الله وفعلت ما يريده فإن الله تعالى يوصلك إلى بر الأمان وستجد أمامك عدوك يغرق في مشاكله ومشاكل الدنيا ، تماما كالمشهد الذي رأيناه وشاهدناه في بصائرنا في الآيات التي ذكرها الله في قصة موسى وفرعون. فالمشهد يتكرر لكن ليس بفلق البحر وإنما يتكرر بأن الله تعالى يجعل لأوليائه من الفرج العجيب مخرجا .

☆إن قصة موسى عجيبة ولذلك أوصيكم وأنتم تقرأون كتاب الله تعالى في هذا الشهر الكريم أن تركزوا عليها ،ولها في كل موضع عبرة وقضية ودرس وهداية وتستخلصون منها في كل موضع طريقة في التعامل ، ولذلك كررها الله تعالى كثيرا والله تعالى عنى بموسى عناية خاصة. ولا شك أن الله تعالى اختار وصنع الأنبياء جميعا لكن موسى عليه السلام له خصوصية ولذلك كان كليم الله في وحيه عند بداية رسالته.

☆وإن في قصة موسى إشارات ولطائف لا يفهمها إلا من تعمق في الدراسة وتخصص في ذلك وغاص في أعماق بحارها ، وقد رأيتم سابقا كيف دلت إشارات قول السحرة آمنا برب موسى وهارون ، وأن ظلال هذه السورة يوحي بأمور في ألفاظها يدل على مقصد هذه السورة وأنها تتحدث عن الأمن النفسي لمحمد صلى الله عليه وسلم ابتداء (في قوله تعالى : طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) ولموسى عليه السلام وما صاحبه من الأمن النفسي في هذه المواقع كلها.حقيقة نحتاج إلى أن نتدبر ونتأمل وأن نتدارس هذه القصص.

☆هنا الله تعالى يأمر بفعل الأسباب والحيطة والحذر ، فأخذ الأسباب مهم جدا حتى مع قوة التوكل على الله تعالى .

☆وهنا وقفة جميلة مع قول الله أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ، فأي كلمة هذه ، سماهم بالإسم الشريف (عبادي) . فالعجيب أنك تلحظ أنه قال في موضع آخر (أصحاب موسى) ، ما السر؟

السر أنهم لما كانوا على أمر الله متوكلين عليه واثقين به صادقين في طاعتهم واستسلامهم قال (أسر بعبادي) ، ولما كانوا غير متوكلين وضعف توكلهم على الله سلبهم الله هذا الوصف فقال (أصحاب موسى).

☆تأملوا متى يمنحكم الله وصف العبودية ومتى يسلبها منكم ،فيمنحك الله وصف العبودية إذا كنت صادقا ،وعندك حسن التوكل والعبادة والإخلاص له . ويسلبه منك في ساعة تكون فيها ضعيف التوكل فانتبهوا لتكونوا دائما وأبدا على وصف الصدق والتوكل واليقين.

☆عجبا في قول الله فاضرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسا ، فكان بالإمكان أن يضرب لهم طريقا حتى لو مع بعض البقايا والطين لكن الكريم حين أعطى لم يرض حتى أن تبتل ثيابهم ليسيروا بأمن تام وعدم خوف أبدا وثبات واستقرار. يَبَسا بمعنى ليس فقط أوقف الماء بل أيبس الأرض من كمال عنايته بهم. فإذا أراد الله تعالى بك أمر فإنه يحقق لك العناية التامة والاستقرار التام بما فيه طمأنينة قلبك حتى ينشرح صدرك للحق وترى نعمة ربك تماما لأنه إذا أعطى أدهش .

☆إن أعظم ما في قصة موسى موقفان عجيبان : الموقف الأول :موقف مناجاته لله وهما موقفان وليس موقف واحد . الموقف الأول : عند بداية بعثته كما في أول السورة ، والموقف الثاني هو الذي سنأخذه غدا وهو قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ، وهذا بعد أن الله سبحانه وتعالى واعد موسى بعد فترة من بعثته ، فهذا الموضع يحتاج منا إلى مزيد من التدبر (مواضع مناجاة الله لموسى) ، ....سواء عند بعثته أو بعد ذلك .والموقف الآخر : هو موقف فرق البحر ، فهذه المواقف هي أعظم المواقف التي مرت على موسى وتحتاج إلى مزيد عناية وتأمل ونظر ففيها آيات عظمى . ولذلك أمة الإسلام أمرت بالاقتداء بموسى في شكره لله على نعمة الانجاء وإغراق فرعون في يوم عاشوراء .فهو يوم حتى عند أهل الإسلام له شأن.

فقضية فلق البحر ليست بالسهلة فإنها من أعظم المشاهد التي في القرآن .

☆في هذه الآية أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسا لَّا تَخَٰفُ دَرَكا وَلَا تَخۡشَىٰ ، فإذا أدركتك عناية الله الخاصة بصدقك ومعرفتك التامة بالله تعالى وتعرفك على الله وتوكلك عليه فجميع وسائل الأمان تتحقق عندك مهما كانت ولكن عناية الله تحتاج منك إلى مزيد من العبادة والتوكل والصبر والذكر ونحو ذلك .

☆إن أهل الإيمان لا يريدون مصادمة الباطل مباشرة فهم يريدون الهداية للناس ، لذلك أمر الله موسى بأن يخرج ببني إسرائيل ولم يأمره بمقاتلة فرعون مع أنه سبحانه وتعالى قادر أن يجعل آية موسى في مقاتلة فرعون وقتله .

☆ونبينا صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر التي هي من أعظم مشاهد تاريخ الإسلام وقتل فيها صناديد قريش ، فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يخرج للقتال وإنما خرج للعير التي جاءت من الشام . فجميع معاركه هي ليست للقتل وإنما لظفع الشرك وتطهير الأرض وإقامة التوحيد فليس القصد منها ابتداء قتل الناس أبدا . وانما قتل الناس هو من شأن الطغاة كما هو شأن فرعون حينما أراد أن يستأصل موسى وقومه .

☆إن لطف الله بعباده يأتي في أوقات الشدة ، فلا تخاف من عدوك ولا تخشى الغرق ، فقدم نفي الخوف والله يؤمن عبده في أوقات الشدة .

☆فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ، والله إنك لتعجب كل العجب ، كيف فرعون هذه العقلية التي ملكت مصر وحكمت بهذه القوة ، كيف لها لم تدرك آية الله في فلق البحر والخوف من عقاب الله في أن يغرق ، ثم العجب العجاب كيف جنوده ومن معه أطاعوه فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ.كن على الحق متبعا له فأمامك بصيرة وأمامك آيات الله عزوجل فاتبعه على الحق فإنك منصور . فاليوم نعجب من انقياد الناس للأهواء والمشاهير والإلحاد ، فمال شبابنا اليوم الذين تربوا

على التوحيد بين أبوين مسلمين فكيف ينساقون حول أفكار الإلحاد والنسوية التي فيها التمرد على الشرع ، وذلك إنما هو ضلاك وانسياق وتسليم للعقل لمن يرونه قدواتهم .

☆إننا اليوم بحاجة إلى التمسك بالقرآن وإقامة الصلاة ، فينبغي أن نستمسك بهاتين القوتين : قوة الصلاة وقوة القرآن . فوربي إنهما عمودان عظيمان مستمسكان وعروة وثقى للثبات على الحق .

☆فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ، فتصوروا هذا المشهد ، فقال أبو السعود علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الأمر الهائل الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه. فتصوروا أنهم لما دخلوا البحر بعددهم كلهم بجندهم وقوتهم فأطبق عليهم البحر . إن تكرار الكلمة في القرآن العظيم تدل على التهويل ، فالأمر في هذا فظيع وعظيم .

☆ فإنك لتعجب من أسرار القدرة الإلهية ، فهذا اليم وضع فيه الطفل الصغير الرضيع الضعيف فلم يضره ثم دخلت فيه أعظم قوة فغمره اليم ، فلا تظن أن الضعفاء ليس لهم سلطان بل أن قوتهم أقوى قوة في الأرض لأن الله معهم . فاحذر أن تظلم إنسانا ضعيفا فإن الله معه، لأن الله هو الذي كتب عليهم الضعف فهو الذي يتولاهم .

☆هنا سؤال اليم ورد في القرآن ثماني مرات وكلها في قصة موسى فما السر؟

ذكر بعض المفسرين ملحظ ، جاء بلفظ البحر لكن كلمة اليم جاءت في قصة موسى فقط. ومما قيل في هذا والله أعلم أن هذه الكلمة كان بنو اسرائيل يستعملونها في لغتهم فهي إشارة ودلالة لما كان بنو اسرائيل يستخدمونه والله أعلم.

فاليم والبحر مع موسى له شأن خاص في العناية الربانية وفي اللطف وفي الإعجاز وفي الإغراق وفي الإنجاء ، أسرار عجيبة .

☆وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ، الظالم شؤمه على نفسه ومن معه . فهذا فرعون لم يقع منه شيء من الهداية لا لنفسه ولا لأحد من قومه فإياك ان تكون مع الظالمين أو مؤيدا

لهم ولا تكن للخائنين خصيما . فإذا رأيت إنسان قد ظلم إنسان فاحذر أن تنصره بكلمة أو تكون معه فإنك لن تهدى .

☆وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ، قال الله (وما هدى) لأنه قال قبل ذلك ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد وهو سبيله هو فأضلهم وما هدى.

☆وما أكثر الناس الذين يزعمون الاصلاح وهم مفسدون (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) فهذه لغة فرعون .فأصحاب الفساد والضلال والنفاق يزعمون أنهم يصلحون وأن أهل الإيمان على خطأ ويستخفون بهم . وكان فرعون شؤم على نفسه وعلى قومه فإنه أضلهم عن الرشد وما هداهم إلى الخير .فليس على وجه الأرض أحد أعظم منه سوء على قومه من فرعون لأنه أضلهم بالقوة والجبروت لذلك جعله الله عبرة وآية .

☆ختاما ، فإن قصة موسى وفرعون ليست بالسهلة فكل آية منها فيها عظات وعبر ودروس وهدايات . ورمضان من أعظم ما ينصح فيه التدبر في القصص وخصوصا في صلاة التراويح ففيها تجليات وتدارس القصص مهم جدا خصوصا في رمضان . فإن أسراء القرآن وعجائبه وفتوحه تكون في رمضان أكثر فيصفى الذهن ويخلو وفيه ضعف النفس وافتقار لله والإقبال على الصلاة والتراويح ولذلك تكون الفتوحات.

الورد العاشر

الآيات (٨٠-٨٢)

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كلوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ(٨١) وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)

ما زال الحديث حول تربية الله عزوجل لموسى وقومه وما أراده الله في هذه القصة من أن يكون درسا لهذه الأمة المحمدية.

فهذه الآيات جاءت بعد قصة بعد فرق البحر ونجاة موسى وقومه وإغراق فرعون وقومه ، ويذكر الله تعالى فيها بني إسرائيل بنعمته عليهم . ومن أعظم منن الله تعالى على بني إسرائيل أن الله تعالى أهلك عدوهم أمام أعينهم.

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠)

يذكر تعالى بني إسرائيل منته العظيمة عليهم بإهلاك عدوهم، ومواعدته لموسى عليه السلام بجانب الطور الأيمن، لينزل عليه الكتاب، وهذا يدل على أن التوراة ما نزلت إلا بعد إهلاك فرعون ، وقد كان قبل ذلك كله في التوحيد، والتشريعات تأخرت بعد ذلك.فالكتاب هو الذي فيه الأحكام الجليلة، والأخبار الجميلة، فتتم عليهم النعمة الدينية، بعد النعمة الدنيوية، ويذكر منته أيضا عليهم في التيه، بإنزال المن والسلوى،

والرزق الرغد الهني الذي يحصل لهم بلا مشقة. فالتيه متأخر جدا وهو في آخر فترة موسى عليه السلام ، وموسى وهارون عليهما السلام توفيا في التيه (فترة الأربعين سنة)، فهي آخر فترات بني إسرائيل مع موسى .فالله يذكر بني إسرائيل ما أنزله عليهم بهذا التيه من النعم.

كلوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ(٨١)

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ أي واشكروه على ما أسدى إليكم من النعم وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ أي في رزقه، فتستعملونه في معاصيه، وتبطرون النعمة، فإنكم إن فعلتم ذلك، حل عليكم غضبي أي غضبت عليكم، ثم عذبتكم، وهذا يؤكد أن الإنسان إذا زادت عليه النعمة فهو أدعى إلى طغيانه. فليحذر الإنسان إذا أنعم الله عليه من الطغيان والإسراف والمعاصي. وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى أي ردى وهلك، وخاب وخسر، لأنه عدم الرضا والإحسان، وحل عليه الغضب والخسران. وهذا يدل على أن من يحلل عليه محبة الله فقد ربح ربحا عظيما فإن محبة الله تعالى هي من أعظم غايات العبد في هذه الحياة .

فوائد وهدايات:

☆ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ، من أعظم ما ينبغي أن يهتم له المؤمن أن يتجنب غضب الله ، ومن أعظم ما يوجب غضب الله هو الطغيان بعد النعمة والإسراف فيها واستخدامها في معصية الله . فإن الله تعالى بعد أن ذكر بني إسرائيل بنعمه قال وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ. فنعوذ بالله من كفران النعم ونعوذ بالله من أسباب غضب الله تعالى.

☆ إن جحود النعمة من أسوأ صفات الإنسان وكفران النعم من أعظم صفات الكفار.

☆ لا يجتمع سرف وتواضع لأن السرف معه البطر وليس معه التواضع ، والإقتصاد يصاحبه التواضع والاعتراف بنعمة الله. فمن عاش عيش البسطاء لم يظهر فيه الطغيان ولا الكبر ، فالسرف هو ثمرة الطغيان . فلهذا قال الله كلوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي.فالذي ينعم الله عليه ويوسع له بالمآكل والطيبات، فإن أعظم ما ينبغي أن يتنبه له هو ألا يطغى. ولهذا فإن كثرة النعمة والغنى ليست محمدة لأنها سبب للطغيان وغضب الله ، فالإنسان مهما كان ضعيف تستجره تلك النعمة إلى المعاصي وتسهلها عليه . فإذا ملك الإنسان الأموال فعل بها ما تطيب له نفسه وهواه ، فلا يتمنى الإنسان الغنى وإنما يقول اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك .بمعنى يقرن مع سؤال الله تعالى أن يجنبه الحرام وأن يغنيه عمن سواه فلا يحتاج لغيره. فالعبد لا يسأل الله غنى مجرد وإنما يقرنه بأن يكون عونا له على طاعة الله ويجتنب فيه المحارم وأن يغنيه الله به عن خلقه.إذا حسنت النية فإن الله تعالى يعينه على شكر النعمة .

☆الطغيان في الرزق يشمل عدة أمور منها: كفر النعمة والعدوان والطغيان والظلم وأكل أموال الناس واستخدام النعم في المعاصي والاشتغال بالنعمة عن المنعم وطاعته.

☆قال ابن عباس : الطغيان فيه أن يأخذه بغير محله ،وقال الثعلبي :ولا تكفر النعمة وقيل ولا تحرموا الحلال ولا تنفقوا في المعصية.

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)

ومع هذا، فالتوبة معروضة، ولو عمل العبد ما عمل من المعاصي، فلهذا قال: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ أي كثير المغفرة والرحمة، لمن تاب من الكفر والبدعة والفسوق، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل صالحا من أعمال القلب والبدن، وأقوال اللسان.

ثُمَّ اهْتَدَى أي سلك الصراط المستقيم، وتابع الرسول الكريم، واقتدى بالدين القويم، فهذا يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره، لأنه أتى بالسبب الأكبر، للمغفرة والرحمة، بل الأسباب كلها منحصرة في هذه الأشياء فإن التوبة تجب ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل الصالح الذي هو الحسنات، يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها، من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي به، ودعوة إلى دين الحق، ورد بدعة أو كفر أو ضلالة، وجهاد، وهجرة، وغير ذلك من جزئيات الهداية، كلها مكفرات للذنوب محصلات لغاية المطلوب.

نشير هنا إلى أن أعمالنا الصالحة كلها مكفرات ،وتعلم العلم وما نحن فيه مكفر للذنوب ،وتدبر آية ، وتعلم معنى من معاني والدعوة إلى الله كلها تكفر الذنوب ورد بدعة وهجرة وجهاد يكفر الذنوب ، فكل ذلك من جزئيات الهداية . فما أعظم هذه الأعمال الصالحة التي هي سبب لتكفير سيئاتنا وذنوبنا .

فحري بالإنسان أن يتعرض لنفحات الرب عزوجل وأن يكثر من الأعمال التي هي مكفرات لذنوبه.

فوائد وهدايات:

☆ في قوله تعالى وَإِنِّي لَغَفَّارٌ تدل على عظيم منة الله تعالى بتعرضه لعباده بالتوبة . فالإنسان صاحب توبة وإيمان وعمل صالح وهداية ، لا تجده طاغية ومستكبر ، ولذلك أعظم الناس تواضعا وخلقا واعترافا بنعمة الله هم الذين يتوبون إلى الله كثيرا.فهم أهل الإيمان والعمل الصالح وهم المهتدون على الطريق الحق وتجدهم على السيرة الحسنة . فهؤلاء هم أكثر الناس عرضة لمغفرة الله .

☆ في هذه الآية دليل على أن كمال الهداية لمن أرادها فإن لها طريق وهو التوبة المستمرة لمن تاب والإيمان الصادق والعمل الصالح المستمر ولهذا قال ثُمَّ اهْتَدَىٰ.فهذه من منازل كمال الهداية.

☆كما تلاحظون في سورة البقرة في قوله هدى للمتقين ، الآن هم على هدى ، فكيف ترقوا في هذا الهدى إلى المنازل العالية ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .....أولئك على هدى من ربهم ....بمعنى أن منزلتهم عالية وبعيدة ، وعلى بمعنى أنهم استعلوا وتمكنوا . فالهدى درجات وطريق هذه الدرجات :الإيمان والتوبة المستمرة والعمل الصالح .فهنيئا لمن ترقى في هذا الشهر الكريم بطريق الهداية .

☆ وقد جعل الله تعالى القرآن سبيلا للترقي لأنه قال شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس،نلاحظ أنه هو الآن منزلة أي هدى ، ثم قال وبينات من الهدى بمعنى أعلى وهي الهدايات الخاصة والفرقان وهنا يعرف الإنسان الحق من الباطل ، فلا يشك ولا يرتاب ولا يعتريه أدنى شبهة وذلك بالقرآن إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم .

☆ ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام أجود ما بكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن . فالتدارس هنا عرض القرآن بهداياته وليس فقط بألفاظه لأنه يمكث معه كل ليلة فكان بإمكانه أن يختم في ليلة أو ليلتين لكنه يدارسه ، يعارضه مع الهدايات والبيان . فمن أعظم ما يترقى به الإنسان في باب الهداية أن يبقى مع مجالس القرآن وسماع القرآن في صلاة التراويح وقراءة القرآن بالتدبر في ختمات رمضان .

☆من أجمل ما رأيت في قضية قراءة القرآن في رمضان أن الإنسان يقرأ بتؤدة ويتفاعل مع الآيات ، فإذا مرّ في سؤال سأل وإذا مرّ بدعاء دعا وإذا مرّ بعذاب تعوّذ وإذا مرّ بنعيم سأل الله من فضله ، فيتفاعل بدعاء وسؤال وذكر واعتراف لنعمة الله . فينطق لسانه مع الآية بما يوافقها . فقط حرّك لسانك بالتسبيح والدعاء والإستغفار ....فإذا مرّ بدعاء في قراءته يكرره مرتين ، مرة بالتلاوة ومرة بلسان الدعاء، فهذا هو التفاعل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله في صلاة النافلة وليس في الفريضة. فعلينا أن نترقى في طريق الهدى من هذه الأبواب .

☆ إن أعظم ما نسلم فيه من الطغيان أن نتدارك أنفسنا حينما تطغي بشيء من أموالنا وأن ننشغل بها إلى المغفرة لأن الله تعالى أتبع النهي عن الطغيان بقوله وإِنِّي لَغَفَّارٌ . فينبغي على الإنسان إذا طغت نفسه وإذا انشغلت بالنعمة والتفتت إلى الدنيا أن يرجع إلى المغفرة والإستغفار والإيمان والعمل الصالح.

☆مهما وصل الإنسان إليه من طغيان فإن الله يغفر ذنبه ولهذا قال ولا تطغوا وبعدها وإِنِّي لَغَفَّارٌ. فالله سبحانه وتعالى كثير المغفرة ولهذا عبر بصيغة المبالغة وقال وإِنِّي لَغَفَّارٌ . فالإنسان ينبغي أن لا ييأس من رحمة الله .

☆في قوله ثُمَّ اهْتَدَىٰ تدل على أن الناس مراتب ومراحل في الهداية وليسوا على مرتبة واحدة .

فالهداية الاولى هي الإيمان وهي الهداية الأكمل وكمال الاستسلام والطاعة والتوبة . ولهذا نلاحظ من آخر ما نزل من سورة التوبة قال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم في ساعة العسرة . فالله تعالى يتوب على العصاة وعلى الخلّص من عباده ليرقيهم .

☆الناس إذا أغضبتهم ذكروك بسوءتك ، إلا الله سبحانه وتعالى فإنه إذا أغضبته ثم رجعت فإنه يمسح ذنبك ويغفر لك.

☆التوبة بلا عمل ادعاء بمعنى آخر أن الذي يتوب إلى الله ولا يصاحب هذه التوبة بالعمل الصالح فتوبته ناقصة ، فلا بد أن يكون مع التوبة مرافقة للأعمال الصالحة ، لمن تاب وآمن وعمل صالحا ،..... فإنك إن أخطأت أو تجاوزت أو أذنبت فاستغفر الله وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، بمعنى اتبع السيئة بعمل صالح فوق ما يلهج به لسانك من التوبة ليدل ذلك على أن توبتك صادقة وليس مجرد توبة لسان فالتوبة ليست كلمة تقال وإنما هي عزيمة في القلب يتحقق مدلول هذه العزيمة بالإيمان والعمل الصالح ويتجلى أثرها في السلوك العملي في الواقع. فمن علامات التوبة الصالحة أنها تتبع بعمل صالح .

☆ونأخذ من هذه الآية شروط المغفرة وهي التوبة والإيمان والعمل الصالح والاهتداء والثبات . ولهذا تلحظون أن الله تعالى هنا أخّر الاهتداء مع أن الايمان هداية ، والهداية سابقة فهم لم يؤمنوا إلا بهداية ، فما المراد بهذه الهداية الأخيرة؟؟

الدوام على الهداية وثبت عليها وكملها ، ولهذا من معاني قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فنحن مهتدون بل نقول ثبتنا على الصراط المستقيم وأدمنا عليه وكمّل لنا الهداية .

☆قال وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ولم يقل غفور لأن صيغة فعال تدل على التكرار ، وهذا يدل على محبة الله لتكراره للتوبة وتجددها ،ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية مئة مرة . فالله تعالى غفار يحب استمرار طلب المغفرة .

الورد الحادي عشر

الآيات (٨٣-٨٩)

وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي (٨٦) قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا (٨٩)

هذه الآيات واردة في سياق حال موسى عليه السلام مع أمر ربه ولقائه وكيف أنه تعجل إليه ابتغاء مرضاته ، وما أصاب قومه بعد ذهابه بأنهم فتنوا بعبادة العجل كما سيأتي.

وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (٨٣)

كان الله تعالى، قد واعد موسى أن يأتيه لينزل عليه التوراة ثلاثين ليلة أي شهرا **، فأتمها بعشر، فلما تم الميقات، بادر موسى عليه السلام إلى الحضور للموعد شوقا لربه، وحرصا على موعوده،**ولا شك أن موسى عليه السلام كان ينتظر هذا الموعد العظيم في لقائه بربه وتكليمه وإنزال التوراة عليه . وكان هذا الموعد بعد أن أنجى الله تعالى موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه. بمعنى أن التوراة نزلت بعد إغراق فرعون وقومه وكأنها المرحلة المدنية لنبينا صلى الله عليه وسلم في إنزال التشريعات . **فقال الله له:** وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى **أي ما الذي قدمك عليهم؟ ولم لم تصبر حتى تقدم أنت وهم؟**

فوائد وهدايات :

☆ في قوله تعالى وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ تدل على أن المسارعة إلى مناجاة الله سبيل لمرضاته لأنه قال وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ، بمعنى قصد موسى في التعجل هو تحقيق رضا الله . وفي هذا دليل وإشارة إلى فضيلة المسارعة إلى الصلاة في أول وقتها وكذلك المبادرة إلى أعمال البر وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ. فحينما يعلم ربك منك أنك أتيت مبادرا للعمل الصالح في الصلاة أو في غيرها وأنت تقول وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ فإن هذه الكلمة لها أثر في تحقيق مرضاة الله عزوجل .

☆إن نفوس المؤمنين الصادقين تتشوق لمرضاة الله تعالى ، ويدل على ذلك تعجل موسى عليه السلام للقاء ربه. وكما في الحديث : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. وهذا الحديث يستشهد به في لقاء الله عند الموت ولقاء الله يوم القيامة ولقاء الله في الصلاة . فالذين ينتظرون الصلاة لهم أجر عظيم ،فهم ينتظرون لقاء الله. والذي تراه همه السؤال عن وقت الصلاة ، فهنيئا له انتظاره للصلاة ، حتى ولو كان في بيته ، حتى أن البعض قد يهرم ويذهب عقله إلا همّ الصلاة والسؤال عنها لا ينساه.

☆ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ إن عتاب الله له ليس في عجلته لابتغاء مرضاة ربه ، وإنما على تركه قومه وتعرضهم للفتنة في غيابه . فقد قال أبو السعود: أي وقلنا له عن أي شيء أعجلك منفردا عن قومك ، وهذا كما نرى سؤال عن سبب تقدمه وانفراده عن قومه وليس في رغبته وتعجله للقاء ربه ومرضاته.

قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (٨٤)

قال: هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي أي قريبا مني، وسيصلون في أثري والذي عجلني إليك يا رب طلبا لقربك ومسارعة في رضاك، وشوقا إليك ، بمعنى أن موسى عليه السلام تعجل للقاء الله وكان قد أمره ربه أن يأتي هو وقومه .

فوائد وهدايات :

☆العلم وتعلم شريعة الله وتلقي أوامره هذا من أعظم ما يحمله الإنسان من الهم والهمة والرغبة . فموسى عليه السلام لم يقل لأرتاح أو لآخذ مالا وإنما قضيته الأساسية لقاء ربه ومرضاته وتلقي أوامره وشريعته . فالذي يكون همه العلم ليتزود ويتعرف على ربه ويترقى في سبيل العلم والإيمان فإن هذا هو أكبر وأعظم هم ، أما الذين يسعون لتحقيق رضا أهوائهم وأنفسهم وأجسادهم أو امتلاء أرصدتهم فهؤلاء ليس سعيهم لتحقيق مرضاة ربهم . فهنيئا لمن كان همه العلم وابتغاء مرضاة الله وتعلم أوامر الله وتحقيقها .

☆ من الفوائد أيضا أن هناك فرق بين العجلة في العبادة والعجلة إلى العبادة . فالعجلة إلى العبادة قربة وطاعة ، والعجلة في العبادة مذموم .

☆المؤمن الذي تعلق قلبه بالله تجده همه ما يكون بينه وبين الله ولو ترك الخلق وراء ظهره. بمعنى تجد بعض الناس عند أهله لكن قلبه ليس مع أهله وإنما مع الله ، حتى لو كان في شأن الدنيا وفي خدمة الناس لأن الله ينظر إلى قلوبنا .

☆إن رضى الرب هو في العجلة إلى أوامره .

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ (٨٥)

فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ أي: بعبادتهم للعجل، ابتليناهم، واختبرناهم، فلم يصبروا، وحين وصلت إليهم المحنة، كفروا والمقصود من تلك الفتنة أن الله تعالى أراد أن يعرف صدق توحيد بني إسرائيل قبل أن تنزل عليهم التوراة التي هي التشريعات فلا بد أن يبتلوا

ليروا مدى ثبات التوحيد في قلوبهم وصدقهم . ولهذا قال قَدْ فَتَنَّا ولم يقل قد فتنوا ، فأراد الله أن يختبرهم ويرى صدق إيمانهم وتوحيدهم . وللأسف حينما وصلت إليهم المحنة وقعوا فيها ودل ذلك على ضعف توحيدهم . ولم يذكر لنا القرآن هل الذين عبدوا العجل جميع بني إسرائيل أو بعضهم؟؟ فالذي يظهر من سياقات بني إسرائيل أن الذي وقع بعضهم وليس كلهم .

فمن عادة القرآن أن العمل الشنيع ينسب للجميع إذا كانوا قد رضوا به، ولهذا نسب السبت إلى بني إسرائيل مع أنه كان من قرية من قراهم ،ونسبت كنايات بعضهم إلى مجملهم لرضاهم بها .

وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ، هو منافق أظهر الإيمان وأبطل الكفر وهو على الشرك وكان يترصد الفرصة التي يضل فيها بني إسرائيل . فالسامري كرأس المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم(عبدالله بن أبي بن سلول) .كان يتحين الفرصة لفتنة الناس . فسنحت للسامري الفرصة بغياب موسى عليه السلام ، وعلم تعلق بني إسرائيل بالعجل ، وزين له الشيطان أن يصنع لهم عجلا ثم يخرجه إليهم . بمعنى لم يصنعه أمامهم حتى لا يروه فصنعه على أن يكون له صوت يخرج الريح من دبره والهواء ثم يخرج بصوت من فمه .

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا وصاغه فصار لَهُ خُوَارٌ ، وكأن الله تعالى يذكر لنا اندهاش بني إسرائيل من هذا المخلوق وتسامعوا وتعاملوا بأن هذا قد تجلت فيه أثر كلام الله لموسى في ميقاته .إذ ان موسى عليه السلام قد تأخر عن بني إسرائيل ، فقد كان معاده شهرا ولكنه بقي أربعين يوما . فقد زين السامري لهم أن كلام الله عزوجل لموسى قد تجلى حتى في هذا العجل .فَقَالُوا لهم هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ، فكأنه يقول هذا من أثر تكليم الله لموسى في ميقاته فصدقوه . فنسيه موسى، فافتتن به بنو إسرائيل، فعبدوه، ونهاهم هارون فلم ينتهوا.وهذا يدل دلالة واضحة على أن الناس إذا فتنوا بشيء لا يصرفه عنهم أحد حتى ولو كان من معهم من الصالحين والعلماء ، عياذا بالله من الفتنة.

فوائد وهدايات :

☆ نأخذ من هذه الآية أن غياب القدوات المجتمعية خصوصا عند أوقات الفتن والشبهات خطر على المجتمع ، فتصبح الفرصة سانحة للمنحرفين فكريا لإضلال المجتمع، فلا بد من وجود القدوات ولا بد من وجود الصالحين المصلحين . ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يقول انا همي نفسي وسأترك الناس لأن وجوده بين الناس في دعوته وإصلاحه وتوجيهه حماية له وللمجتمع . فلا بد للإنسان أن يكون له أصل في مجتمعه حماية للمجتمع من الفتن والشهوات بكلمة طيبة وأمر بالمعروف ونهي عن منكر وتوجيه ودعوة . فكلمة يسيرة تقولها لشخص تنفعه وتنفع من حوله.

☆هنا دليل على أن الله تعالى يأذن بوقوع الفتنة ليرى الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق ولهذا قال َ إِنَّا قَدْ فَتَنَّا ، بمعنى أراد الله ذلك ليعلم الصادق من الكاذب .فإن بعض ما يقع من الفتن هو ابتلاء من الله لنا ليرى صدقنا وثباتنا وتمسكنا على ما يرضيه ولا تجرفنا الأهواء والدنيا لنتنازل عن مبادءنا بل ينبغي أن نزداد تمسكا لأن الذهب يصلى بالنار ليصفى ويشتد عوده .فينبغي أن يكون ما يقع لنا من الفتن قوة لنا في ديننا والحق يقوى إذا ظهر الباطل . والفتن تكثر في آخر الزمان ليبق الصادقون ثابتون بيقين فيكون لهم أجر السابقين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي (٨٦)

فلما رجع موسى إلى قومه وهو غضبان أسف، أي ممتلئ غيظا وحنقا وغما، لأن الله تعالى قال له قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، قال لهم موبخا ومقبحا لفعلهم: يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا وذلك بإنزال التوراة، أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أي المدة، فتطاولتم غيبتي وهي مدة قصيرة؟ أربعين يوما هذا قول كثير من المفسرين، ويحتمل أن معناه: أفطال عليكم

عهد النبوة والرسالة، فلم يكن لكم بالنبوة علم ولا أثر، فأين التوحيد الذي علمتكم إياه واندرست آثارها، فلم تقفوا منها على خبر، فامحت آثارها لبعد العهد بها، فعبدتم غير الله، لغلبة الجهل، وعدم العلم بآثار الرسالة؟ أي ليس الأمر كذلك، بل النبوة بين أظهركم، والعلم قائم، والعذر غير مقبول؟فإن هارون بين أظهركم ،أم أردتم بفعلكم، أن يحل عليكم غضب من ربكم؟ أي فتعرضتم لأسبابه واقتحمتم موجب عذابه، وهذا هو الواقع، فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي حين أمرتكم بالاستقامة، ووصيت بكم هارون، فلم ترقبوا غائبا، ولم تحترموا حاضرا.

فوائد وهدايات :

☆الصالحون الصادقون من عباد الله غضبهم وحزنهم وهمهم ليس لمصالحهم الشخصية وإنما حينما تنتهك حرمات الله وحينما يرون البدع والمعاصي أو الشرك . فأشد ما يقلق المؤمن الصادق هو الشرك ، ولذلك أوثق عرى الإيمان الحب في الله والكره في الله. فالغضب والحزن والهم إذا كان من أجل الله ولدينه فنعم هو وهو من العمل الصالح العظيم .

☆الابتعاد عن هدي الأنبياء هو أساس الضلال ،فإن هؤلاء قد عبدوا العجل حينما ابتعدوا عن هدي نبيهم الذي كانوا عليه . فكلما ابتعد الإنسان عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبدأ يهتم بثقافات الغرب ويهتم ببعض الأفكار الجديدة التي هي بعيدة الأصل والعلاقة بالوحي فإنه يوقع نفسه في الضلال. فإياك أن تشغل نفسك بقراءة كتب بعيدة عن الوحي .

☆في هذه الآيات أن فرد واحد ضال يدمر عقيدة آلاف ، فهذا الذي ينشر الشر قد يكون سبب في ضلال كثير من الناس وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ. فقد كان قوم موسى تقريبا اثنا عشر ألفا فالسامري أضل هؤلاء الإثنا عشر الفا وفي أقل من شهر .

☆هنا قابلية البشر للشرك وسرعة وقوعهم فيه لأن الشيطان يجري عليهم بخيله وصوته ورجله من أجل الشرك وإن كان يئس أن يعبد في جزيرة العرب فهو لم ييأس في العالم كله.

فهؤلاء عبدوا غير الله مع وجود أنبياء الله بينهم .فأعظم ما نخاف على أنفسنا وأبنائنا هو الشرك .فدائما نكرر التوحيد على أبنائنا وأهلنا ، فيحتاجون من يذكرهم .

☆إن التوحيد كان تركيزه في المرحلة المكية لكنه لم ينقطع في المرحلة المدنية . فمن أوائل الآيات التي نزلت في المدينة يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم . فينبغي دائما في مساجدنا وبيوتنا أن نذكر بالتوحيد .والعجيب أن ابراهيم عليه السلام وهو على التوحيد وأبناؤه على التوحيد ، وهو يقول اجنبني وبني أن نعبد الأصنام . فالوصية كل الوصية بالتوحيد وذلك حتى إذا مرّ منكرا أنكره ولو كان صغيرا بالفطرة ينكره .

☆قوله أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ طول العهد مظنة الغفلة والنسيان والفترة والضعف ،بمعنى غيابي طال عنكم . ولذلك لا يغيب عنك الصالحون، واحرص على أن يكون لك صحبة صالحة وأن تزور إخوانك في الله. حتى أن مجالس الهدى والصلاح وتدارس القرآن سنتذكرها في الجنة .

قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدا لَّهُۥ خُوَار فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨)

أي: قالوا له: ما فعلنا الذي فعلنا عن تعمد منا، وملك منا لأنفسنا، ولكن السبب الداعي لذلك، أننا تأثمنا من زينة القوم التي عندنا، وزينة القوم يظهر أنها ما كانوا أخذوه من القبط قبل إغراقهم (بعض الحلي الذي استعاروها من قوم فرعون فخشوا أن يأتوا بها إلى ميقات الله لأنها قد تكون ذنبا)وكانوا فيما يذكرون استعاروا حليا كثيرا من القبط، فخرجوا وهو معهم وألقوه، وجمعوه حين ذهب موسى ليراجعوه فيه إذا رجع.

وكان السامري قد بصر يوم الغرق بأثر الرسول، (أو قد بصر بأثر جبريل عليه السلام) فسولت له نفسه أن يأخذ قبضة من أثره، وأنه إذا ألقاها على شيء حيي، فتنة وامتحانا، فألقاها على ذلك العجل الذي صاغه بصورة عجل، فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت، وقالوا: إن موسى ذهب يطلب ربه، وهو هاهنا فنسيه، وهذا من بلادتهم، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار، بعد أن كان جمادا، فظنوه إله الأرض والسماوات حل بينهم وكان هو ميقاته لموسى، فانظروا كيف انطلت عليهم هذه اللعبة الشيطانية التي جاءهم بها السامري .

وهذا يدل على سخافة عقول اليهود ، فكيف يتصورون أن ميقات الله يتجلى في عجل مصنوع.

فوائد وهدايات:

☆ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ،جعلوا المشكلة في السامري فأين عقولكم ، فمن أقبح الأمور أنك تنسب السبب للآخرين وتبرئ نفسك وأنت الذي وقعت في الخطأ بعقلك وإدراكك.فأنت لا تلقي باللوم في تربية أبنائك على غيرك ، فأنت أدي دورك ومسؤوليتك والله تعالى معك.

☆في هذه الآية يظهر لنا الخطر الكبير جدا وهو خطر المنافقين على المجتمع الإسلامي . فالسامري هو منافق. وقال قتادة في شأنه: لكن عدو الله نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل فقد كان يبطن الكفر ويظهر الإيمان ،والله تعالى أذن ببقائه فتنة للناس ليرى الصادق من الكاذب . فهذا المنافق يتفنن لك في إخراج الفتنة وتصويرها وإخراجه بالتحضر ويبذلون من أجل ذلك الأموال الطائلة لصرف الناس عن الدين .

☆لعل السر من وقوع بني إسرائيل في الفتنة أنهم كانوا يسمعون عن موسى عن رؤية الله ولقاءه وأنه معهم فموسى كان يتحدث كثيرا عن الله ورؤيته فلعلهم لما غاب جاؤهم السامري من هذا الباب ، فالفتنة تعمي وتصم .

☆يقال أن السامري كان عنده ثقافات سابقة لذلك استحضرها،فعلى الأمة أن تحذر من أصحاب الثقافات الغربية . فقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه أن السامري كان من قوم يعبدون البقر فكان حب ذلك في نفسه بعد إظهاره الإسلام فأصله ليس من بني إسرائيل ،فما زالت ثقافة الأصنام والبقر باقية في ذهنه.

☆إن قوله فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدا دليل على أنه صنعه بحيلة مستورة عنهم ، حتى أتمها ثم خرج . فأصحاب الفتنة تجدهم يفعلون فتنتهم بالخفاء ثم يظهرونها ، ييدون ويمترون .

☆ومن علامات زيغ القلب أن صاحبه يتشبث بالمتشابهات والشبه ويتتبع الشبه ويكثر التساؤلات في هذا وأمامه المحكمات ، فالحق واضح ، فلا نقبل أي شيء فيه شك وريب.

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّا وَلَا نَفْعا (٨٩)

أَفَلَا يَرَوْنَ أن العجل لَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا أي: لا يتكلم ويراجعهم ويراجعونه، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا، فلو كان هو الله كما يزعمون وأنه حل في هذا المكان فيكلمهم ويكلمونه ، فالعادم للكمال والكلام والفعال لا يستحق أن يعبد وهو أنقص من عابديه، فإنهم يتكلمون ويقدرون على بعض الأشياء، من النفع والدفع، بإقدار الله لهم.

فكيف فعل هؤلاء هذه الفعلة الشنيعة بعبادة العجل وبينهم نبي وهو هارون ، وكيف فعلوا ذلك وموسى عليه السلام قريب العهد بهم ولم يتم شهر على غيبته ،ومع ذلك اجترءوا على هذه الفعلة . وهذا يدل على أن الشرك سريع في الناس وتتابعه ، كيف وقد كان فيهم السامري وزين لهم الأمر .

فوائد وهدايات:

☆إن التوحيد سهل جدا ، ونعرفه بكل بساطة ، فيكفي أنه لا يملك لهم نفعا ولا ضرا ولا يسمع ولا يبصر، أ إله له خوار بئست المميزات لهذا الإله الذي له خوار . فكلمة خوار تدل على أن أقل شخص فيهم يعرف أنه ليس إله.

☆علموا اولادكم أسماء الله وصفاته واشرحوها في بيوتكم وفي مجالسكم .

نسأل الله تعالى ان يحفظنا وإياكم على الحق وان يزيدنا وإياكم تمسكا بالتوحيد وأن يجعلنا عليه هداة مهتدين وأن يحفظ علينا أمننا وإيماننا وتوحيدنا وسلامتنا وأن يجعلنا بالقرآن هداة مهتدين

الورد الثاني عشر

الآيات (٩٠-٩٤)

وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي (٩٠) قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي (٩٣) قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي (٩٤)

وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي (٩٠)

بيّن الله ما هو موقف هارون عليه السلام وهو نصحهم وتحذيرهم . فإن اتخاذهم العجل، ليسوا معذورين فيه، فإنه وإن كانت عرضت لهم الشبهة من السامري في أصل عبادته، فإن هارون قد نهاهم عنه، وأخبرهم أنه فتنة، وأن ربهم الرحمن، الذي منه النعم الظاهرة والباطنة، الدافع للنقم وأنه أمرهم أن يتبعوه، لأنهم على سنن موسى وهو نبي الله ويعتزلوا العجل. فنبي الله يأمرهم ويأبوا ذلك .

فوائد وهدايات:

☆ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ في هذه الآية درس عظيم في الإصلاح بل إنها أصل من أصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

☆ وفيها بيان واجب العلماء والدعاة في توجيه المجتمع وتحذيرهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، فهارون لم يسكت بل قام بواجبه ، وأكد على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليخالفن الله بين قلوبكم . فانظروا توافق الحديث مع هذه الآية إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في حماية المجتمع وتآلفه وتقاربه وترك الأمر بالمعروف سبب للفرقة والخلاف وهذا الذي خشيه هارون عليه السلام.

☆إن معصية الرسول تؤدي إلى فتنة العاصي في دينه ودنياه فهم لم يستجيبوا لأمره ففتنوا وازدادوا فتنة .

☆أهمية المبادرة في إنكار المنكر في بدايته ولهذا قال لهم هارون من قبل، من بداية الأمر أو قبل أن يعبدوه ، بعد أن أخرجه السامري ،كأنه عليه السلام أول ما أبصر الأمر خاف فتنة الناس وسارع إلى تحذيرهم وهذا يؤكد أن إنكار المنكر في أول وقته أدفع من انتشاره.

☆ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ ناداهم بأنهم قومه ففيه لطف وعناية وهكذا الداعية ينبغي أن يكون لطيفا في أمره ونهيه .

☆ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ تخلية ثم تحلية ، فأماط أذى الفتنة والشبهات العالقة في أذهانهم ثم عرفهم بالله . بيّن أن هذا خطأ وفتنة ثم بيّن لهم الحق،وهذا الذي ينبغي للإنسان في دعوته أن يجمع بين التخلية ببيان الباطل وفساده والتخلية ببيان الحق الذي عليه الدليل . فإذا رأى الإنسان منكرا فإنه أول الأمر يحذر من عواقب المنكر ثم يبين الحق الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان بأن يرجعه إلى سيرته الأولى الحسنة حتى لو رأيت أحدا من الناس ينبغي أن تجمع فيه بين تحذيره وتوجيهه .

☆هنا في هذه الآيات دليل على أن التوحيد عزيز وقليل أهله فلا نغتر بالكثرة فإن الموحدين الذين بقوا وثبتوا مع هارون قليل جدا والأكثر هم الذين عبدوا العجل وكان

عددهم اثني عشر ألفا ، والقرآن يربي المؤمن على اتباع الحق وليس على كثرة الخلق مهما كان فالجماعة تكون على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الكتاب والسنة ولو كنت وحدك .

☆في هذه الآيات رد على أهل الكتاب الذين زعموا في توراتهم المحرفة أن هارون هو من صنع لهم العجل وأمرهم بعبادته فحرفوا كتبهم فبيّن القرآن موقف هارون الناصح الصادق.

☆في أسلوب هارون هنا أسلوب عظيم في الوعظ ، فإنه سلك أحسن الوجوه في النصح والصدق فأولا زجرهم عن الباطل إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ، ثم دعاهم إلى معرفة الله وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ثم دعاهم إلى اتباع النبي فَٱتَّبِعُونِي ثم دعاهم إلى الشريعة التي هم عليها وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ، وهذا هو الترتيب الجيد في أسلوب الدعوة .

☆هنا أهمية الرد على الشبهات وأنه ينبغي ان يكون هناك أناس صادقون وناصحون في كل زمان وعدم إهمالها . وان لم يطمع الإنسان في هداية الناس لكنه ينبغي أن يبين الحق كما فعل هارون في رد شبهة السامري مع أن قومه لم يسمعوه.

☆إن المفتون الذي تشرب فكرة وتمكنت منه غالبا لا ينتفع في الإرشاد ولكن الأهم أن تقام عليه الحجة. فهارون نهاهم وحذرهم ولم يستجيبوا . فالمفتون بفكرة كما هو حال اليوم الذين فتنوا بالإلحاد أو غيره من الأفكار مثل النسوية إذا تشربوها غالبا لا يستمعون للحق فإذا نصحته وجدت منهم اشمئزاز وليس أدب واحترام ، فالمفتون يرد بغضب لما في قلبه من كره للحق، فهذا غالبا لا يهتدي فقد قال الله تعالى :إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، فنحن نحذرهم لإقامة الحجة عليهم وواجب الإبلاغ الذي أمر الله به ، فلا يقول الإنسان هذا لا يستفيد ، فأقم الحجة عليه وبيّن له ليحذر الناس غيره ،ولتقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس دورك أن تهدي الناس وإنما دورك أن تبلغ الناس فإنك لا تهدي من أحببت .

☆فيه أهمية تحصين المجتمع بالبيان والتحذير والدروس والمجالس وتقوية صلتهم بالله وكشف حقائق الشبهات والتحذير منها فإن ذلك كفيل بإزالة عشرات السامري الذين يريدون أن يفسدوا.

☆المفتون هو أبعد الناس عن الحق وهو بفتنته قد ترك العمل بالحق الذي فتن فيه فكأنه انعزل عن الحق إلى الفتنة فدل على أن من وقع في الفتنة وتشربها فهو بعيد عن الحق وإنما هم في شق آخر تماما مخالف .

☆نلاحظ أن هارون عليه السلام استخدم أسلوب الترغيب في التعريف بالله ورحمته ، وحث لهم على التعرض لهذه الرحمة الربانية للإعتناء باستمالتهم إلى الحق وتذكيرهم برحمة الله لهم إذ أنجاهم من فرعون وطغيانه . فإن الله ربكم الرحمن الذي رحمكم ومنّ عليكم بإنجائكم من فرعون وعذابه ، فهو تذكير لهم بماضيهم و بنعمة الله عليهم، والإنسان الضال ينبغي أن يذكر بنعم الله عزوجل عليه وبماضيه المشرق وبصلاحه السابق وبسيرة آبائه وأجداده على الصلاح كل هذا من دواعي القبول .

☆ هنا فيها تعريف بالله الرحمن بأجمل اسمائه ، فمن صفا الله تعالى :صفات جلال وجمال فصفات الجلال هي صفات العظمة ، الله العزيز القهار الجبار ، وصفات الجمال الرب والرحمن والرحيم...

☆إن الدعوة الى الله تحتاج إلى استجلاب أسماء الجمال التي فيها الترغيب مع أنها لم تنفع مع قوم بني إسرائيل ولكنها أسلوب من أساليب الدعوة.

☆الفتن تستقطب عوام الناس وتعمهم وتظهر فجأة فيتساقط فيها الناس بشكل عجيب مع أن أدلتها واهية ومع ذلك الناس تستهويهم تلك الشبهات لكنها في الحقيقة لا تخفى على العلماء الراسخين والمؤمنين الصادقين . فالمؤمن الصادق لا تنجلي عليه الفتنة ، فإننا

بحاجة في هذا الوقت مع كثرة الفتن والشبهات ، يحتاج الإنسان أن يتعلم ويرسخ اليقين ويمتن الإيمان في قلبه حتى لا تدخل عليه الشبهة والفتنة.

☆هنا دليل على أن الفتنة تنتشر في الناس في حال غياب العلماء فغياب موسى كان السبب في فتنة بني إسرائيل، وهذا يؤكد أن وجود الناصحين في المجتمع له دور كبير في المحافظة على المجتمع وحمايته . فالمجتمع الذي يكثر فيه الصالحون المصلحون تجده محافظ أولا باقامتهم للحق وثانيا بهيبتهم ، فالناس ربما تركوا الباطل خوفا من إنكار المنكرين الصادقين .

☆من الأدواء الغابرة فيمن سلف الباقية فيمن خلف ، الإقامة على الشبهة الضعيفة رغم ورود النصوص الواضحة الصريحة . فمع ظهور العلم والحق والأدلة الواضحة والطرق المتعددة في بيان الحق ومع ذلك تجد أن الشبهة تنتشر في الناس . هذا يدل على سرعة الناس في الفتنة مهما كانت الأدلة واضحة ولكن الذي رسخ فيهم اليقين وثبتت لديهم الحجة ثابتون لذلك بقيت بقية مع هارون لم يفتنوا به .فالعلم إذا لم يكن في الصدور يقينا وليس حفظا وإنما علما وفهما ويقينا وعملا هذا الذي ينجي ، لذلك الذي وفقه الله للعلم النافع والعمل الصالح أبعد عن الفتن وأبعد عن البدع .

☆فلا تجد أحد مستمسك بالسنة علما وعملا ويستمسك بالدليل ويمتثل لأمر الله وعامل متخلق، لا تجده أبدا يتعرض للفتنة لأن همه في اتباع الحق يمنعه من ذلك.

☆هنا دليل على أنه لا يخلو عصر من العصور من ظهور سامري يعيد سيرة السامري القديم وينشر عبادة عجله الذهبي في كل مكان وكل ما بالإمكان. ولا زال اليهود فيهم بقية من أتباعهم يحيون عبادة العجل الذهبي فله قدسية عندهم ، فينبغي ألا تنطلي هذه الفتنة و الشبهة عند المؤمنين .

قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١)

فأبوا وقالوا: لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .لأنها قد تعلقت فيه قلوبهم وأشرب في قلوبهم العجل ، بمعنى قد تشربوا حبه والتعلق به فالشبهة إذا تعلق القلب بها لم ينفك منها.

قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣)

فأقبل موسى على أخيه لائما له،لأن الله أخبره بأنه فتن قومه ، فكأنه أول ماجاء توجه إلى هارون يعاتبه وقال: يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا* أَلَّا تَتَّبِعَنِ فتخبرني لأبادر للرجوع إليهم؟ فلم يقل لماذا لم تنهاهم أو تكفهم لعلمه أن بني إسرائيل عصاة يحتاجون إلى القوة وهارون مجبول على الحلم والرأفة. أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي،في قولي اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ. فهو أصلح في نهيهم وبيان الحق لهم وأن هذا فتنة وأن ربهم الرحمن فهذا هو الإصلاح ولم يتبع سبيلهم بل بقي على ما هو عليه وعلى ما كان عليه موسى فهو قد قام بوصية موسى.

فوائد وهدايات:

☆ان أهم الأمور عند المصلحين الراسخين المحافظة عل أصول الدين والشريعة ، فأعظم قضية يجب أن يحملها الإنسان هي اتباع الهدى والتحذير من الضلالة.

☆موسى عليه السلام لم ينظر إلى قضية افترافهم، بمثل ما نظر إلى قضية عقيدتهم فحفظ العقيدة وصلاح الاعتقاد هي أهم المصالح التي بها صلاح المجتمع. فموسى عليه السلام راعى صلاح العقيدة وهارون عليه السلام خشي الافتراق .فكان في ما حذر منه وعاتب

عليه موسى هو الحق لأن موسى أهم قضية عنده التوحيد وكذلك هارون لكنه راعى قضية العقيدة على قضية افترقهم واجتماعهم .

☆ينبغي أن تكون العقيدة أهم أمر وألا ننظر على أن بقائها وثباتها وإن قمنا بها ودعونا إليها أن نفرق الناس لا يهم ذلك المهم أن إقامة الحق والتوحيد هو الأصل. ولذلك إبراهيم قام عليه قومه وكذلك الأنبياء لما دعوا إلى التوحيد بل إن عاداه أبوه .فأهم قضية ينبغي المحافظة عليها بكل الطرق هي العقيدة السليمة الصحيحة والتوحيد .ولذلك نجد أن الإمام محمد عبد الوهاب رحمه الله كان في مجتمع ظهرت فيه البدع والشركيات فقام داعيا إلى التوحيد وعاداه أناس كثير فلم يلتفت إلى ذلك بل أصر على دعوته . فالناس تطبعوا على الشركيات وأصبحت عندهم ليست كبيرة وأصبح الأهم عندهم كيف تأتينا وتفرق صفوفنا ولذلك قام عليه أناس وعادوه وهم من أهل التوحيد ، فأذن الله له بالتمكين فمكنه الله بعد أن كان وحيدا أيده الله بالحق ثم ناصره ومن حكمة الله أن يناصره صاحب ملك وإمارة (محمد بن سعود رحمه الله) فتعاهدا على القيام بالتوحيد ثم كانت بفضل الله هذه الدعوة التي أسست عليها الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة على التوحيد. والحمدلله لا نرى البدعة ظاهرة ولا شركيات ظاهرة بحمدالله نعم هناك مخالفات ومعاصي لكن القضية الكبرى التي نحميها هي قضية التوحيد ، وهي دعوة الرسل أصلا . ينبغي لكل مسلم أن تكون قضية التوحيد أولى الأولويات. فإذا رأى بدعة أو مظهر من مظاهر المخالفة ينبغي أن ينكره لأن عدم الإنكار سيؤدي إلى فشو المنكر . فأهم منكر يجب أن يتظاهر عليه الناس هو المنكر المتعلق بالعقيدة .

☆العلاقة بين الأخوة في العتاب والنصح والتحذير بل ربما يصل أحيانا إلى ما فوق ذلك ، ومع ذلك تبقى الأخوة ولهذا ختم موسى عليه السلام دعوته رب اغفر لي ولأخي . فينبغي أن تكون الأخوة متجذرة في النفوس مهما كانت الأخطاء فلما بيّن هارون لموسى عُذره واجتهاده عَذره ،نعم يتعاتبون لكن لا تصل إلى المفارقة والمعاداة فهذه رحم معلقة

بالعرش يقول لها ربنا اقطع من قطعك وأصل من وصلك عظمها الله تعظيما بالغا. فصلة الرحم من الأخوة والآباء ...هذه معظمة جدا مهما كانت الأخطاء .

☆هنا أيضا أن الأخوة يجب أن يتناصحوا ويصحح بعضهم بعضا ولهذا موسى أول ما توجه ذهب إلى أخيه ،فأولى الناس في دعوتك وجهدك وإنكارك للمنكر هم من حولك فأهم دائرة يجب أن تحافظ عليها هي دائرة الأقربون .

☆نلاحظ أن موسى عليه السلام لم يعاتب غير هارون وذلك لأنه هو رئيسهم وهذا يدل على أن اللوم الذي يقع على الرئيس هو في الحقيقة لوم لأتباعه و للجميع ليس فقط على هارون عليه السلام إنما لأنه خليفته فيهم .

قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)

فأخذ موسى برأس هارون ولحيته، يجره من الغضب والعتب عليه، فانظروا موقف النبي الرحيم فلم يواجه أخاه بالشدة والغضب وإنما بالرقة والحلم فقال هارون: يَا ابْنَ أُمَّ(فهو ليس ابن امه فقط بل هو شقيقه ولكنه أراد ترقيق قلبه) ترقيق له، ولقلبه وتحنين له فكلمات الرقة بين الأخوة عظيمة الأثر وقد قدم اللحية على الرأس ولكن اللحية فيها الشرف وإلا فهو شقيقه لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي فإنك أمرتني أن أخلفك فيهم، فلو تبعتك، لتركت ما أمرتني بلزومه وخشيت لائمتك ،فلو أن هارون تركهم وذهب إلى موسى لعاتبه موسى ما الذي جاء بك وقد أوصيتك بهم و أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حيث تركتهم، وليس عندهم راع ولا خليفة، فلو كان هارون تركهم لكانوا من دون سائس فإن هذا يفرقهم ويشتت شملهم،ويطغى بعضهم على بعض فلا تجعلني مع القوم الظالمين، ولا تشمت فينا الأعداء، بيّن هارون لأخيه عذره وهو حق لأنه راعى قضية خشية الفرقة والقتال بينهم

ولو حصل بينهم قتال لأفنى بعضهم بعضا ، فاختار هارون نصحهم والبقاء معهم لعلهم يكفوا عما هم فيه ،فندم موسى على ما صنع بأخيه بعد بيانه ، وهو غير مستحق لذلك ف قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

وهنا نأخذ درسا عظيما وهو أن الإنسان إذا أخطأ على أحد خصوصا الأقربين أن يدعو له وأن يستغفر من خطئه وأن يدعو لأخيه بأن يدخله وإياه في رحمته . وانظروا ما في هذا الدعاء من دروس عظيمة في المودة والرحمة والصدق والوفاء .

فوائد وهدايات :

☆ قَالَ يَبْنَؤُمَّ هنا خص الأم بالإضافة فعدل عن يا أخي وإن كان شقيقه ، استعطافا له واستعظاما لحق الأم فالتذكير بحق الأم يجعل الأخوة يتصافون ويعطف بعضهم على بعض ويعذر بعضهم بعضا لأن الأم تجمعهم على الحنان والرحمة .

☆وهنا دليل على أن من أعظم ما يجمع الأخوة هي الأم التي جمعتهم في رحمها ،فقد عاشوا في بطن واحدة ورضعوا من لبان واحد والأم دائما تسوس بالعطف والرحمة والحنان والرأفة.

☆ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ دليل على أن إعفاء اللحية من هدي الأنبياء وأن لهارون لحية يمكن الإمساك بها، ونحن مأمورون باتباع الأنبياء والرسول أمرنا بذلك .

☆الغاضب لا تواجهه بغضب مثله حاول أن تلين قلبه. فإذا قوبل الغضب بالغضب تزداد العداوة .

☆ هذه السورة من مقاصدها الرحمة والأمن النفسي، ولذلك لم تذكر السورة مشهد جر الشعر بشدة لأن جو السورة به رحمة ، فكل ألفاظها فيه لين ورحمة وتليين القلوب وهذا يؤكد أن كل قصة تراعي السياق التي وردت فيه السورة كلها .

☆في هذه الآية أن الإنسان إذا أراد أن يعتذر من شيء يبين السبب ، فهو بين عذره .فالإنسان إذا أخطأ أو عوتب على ذلك وكان مجتهدا ناصحا يجب أن يبين وجهة نظره بدليله المادي او المعنوي . فهو لم يذهب عنهم خشية أن يتفارقوا ويتقاتلوا فيما بينهم ، فمن أعظم الأشياء التي يحرص عليه الإنسان اجتماع الكلمة ، فقد قال قتادة : قد كره الصالحون الفرقة قبلكم، بمعنى الذين يحرصون على اجتماع الكلمة وعدم الشقاق الخلاف والتفرق أولئك على هدي الأنبياء.

☆مهما كان الإنسان قريب منك قد لا يفهم مرادك فينبغي أن تبين .دائما بيّن اسباب قراراتك وآرائك وكل شيء يكون مثار الإشكال بيّن فيه رأيك بدليلك .

☆المنكر اذا كان يدعو إلى منكر أعظم فيترك لأن هارون عليه السلام لو أنكر عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا ،و لكن موسى عليه السلام راعى قضية العقيدة أولا لكن في غير العقيدة إذا كان إنكار المنكر يؤدي إلى الفرقة والشقاق والقتال فإنه يترك لكن هذا لا يقدرها إلا أهل العلم إلا في مسألة العقيدة لأنها العقيدة هي الجامع أصلا.

☆مع وجود الدعاة والعلماء الراسخين يخرص المنافقون الخبثاء مما يدل على ذلك في قصة السامري أنه لم يخرج إلا بعد ذهاب موسى .

☆فيها درس التعاون والتكاتف والتناصح الذي يؤدي إلى التراحم فإن موسى عليه السلام قد ختم دعوته في قوله:.... وأنت ارحم الراحمين هذا يؤكد أن التصافي بين الأخوة يؤول إلى خير وبركة وصلاح وإصلاح.

نسأل الله عزوجل أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين وأن يتقبل منا ومنك صالح الأعمال وبارك فيكم وشكر لكم.

الورد الثالث عشر

الآيات (٩٥-٩٨)

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْما (٩٨)

هذه القصة جاءت بعد أن عاد موسى عليه السلام من ميعاد ربه ومعه التوراة وقد أخبره الله تعالى بأنه قد فتن قومه . فابتدأ أولا بأخيه هارون يعاتبه كيف حدث ما حدث وهو بين أظهرهم ثم اتجه بعد أن سمع عذر هارون إلى السامري وسأله ما خطبه.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ (٩٥)

أي: ما شأنك يا سامري، حيث فعلت ما فعلت؟.وتعجب الحقيقة أن موسى عليه السلام لم يتعجل في عقوبته بل أراد أن يتبين أمره . ولعل السامري كان معروفا وله شأن في بني إسرائيل وإن لم يكن منهم على ما ذكره بعض المفسرين وأن عنده أثرة من ثقافة أو علم أو نحو ذلك مما كان عليه سابقا ، فأراد موسى أن يعرف ما هي حجته وما الذي فعله.

فوائد وهدايات:

☆ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ في هذه الآية بيان أهمية قمع البدعة والشرك وأهلها .

☆وفيه أن حماية المجتمع من الإنحرافات العقدية والفكرية من أولى الأولويات التي عنى بها الأنبياء.

☆وهنا لطيفة في الرسم القرآني ودلالته على ما في نفس المتحدث فإنه أولا قال قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يٰسٰمِرِيُّ كتبت كلمة السامري في الموضع الاول(وأضلهم السامري) بالألف غير أنه حذفت في قوله يٰسٰمِرِيُّ حينما عاد موسى وخاطب السامري مهوّنا من شأنه لذلك نقصت الألف لتقلل من شأن السامري الذي فتن بني إسرائيل فجاء الرسم موافق للمعنى، فعندما سقط في الواقع من أعين الناس سقطت الألف بالرسم كذلك. ورسم القرآن لا شك أنه توقيفي وله دلالات عجيبة وهناك كتب في أسرار الرسم القرآني .

☆وفيه أن موسى عليه السلام عدل عن معاقبته مباشرة قبل أن يسأله ويتبين الأمر وأن يسجل اعترافه بنفسه حتى يظهر بطلان قوله على الملأ لأنه لو عاقبه مباشرة أو قتله مباشرة لبقي في نفوس بني إسرائيل من تعظيمه أو ما كانوا يعتقدون عنده من العلم أو نحو ذلك ، فأراد أن يكشف موسى عليه السلام حقيقة أمره على لسانه ، ولهذا فإنه ينبغي أن يستجوب أهل الباطل لبيان باطلهم من أنفسهم.

☆هنا دليل على أن موسى عليه السلام مع ما لديه من سرعة الغضب في سبيل العقيدة إلا أنه أراد هنا بالتأني في شأن السامري في عقوبته لأن يكون ذلك أظهر في بطلان أمره وإظهار سوءته أمام الناس .

☆هنا دليل على أن وجود العلماء الأقوياء في العقيدة والبيان يخرص المنافقون الخبثاء .

☆هنا دليل على أنه ما اتبع امرؤ هوى نفسه وما تزينه وما تأمر به إلا أوردته المهالك فبعض الناس يتخيل له بعض الأمور ويحلل من تلقاء نفسه من غير دليل فيَضِل ويُضل. ولقد علمت عن بعض الناس الذين أرادوا أن يحللوا النصوص سواء كان من القرآن والسنة يخترعوا من عند أنفسهم بعض التنبوءات فضلوا وأضلوا.

☆حينما يغيب العلم النافع والإيمان عن الإنسان فإنه قد يبني على ما يشاهد أو يسمع أو يحلل أو يفكر أفكارا وأعمالا باطلة فيضل عن الصراط المستقيم . وينبغي على الإنسان هنا أن يكون منطلقه بيّن مبني على الإيمان و العلم الصحيح.

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦)

بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ وهو جبريل عليه السلام على فرس رآه وقت خروجهم من البحر.. فإن جبريل عليه السلام كان بصحبة موسى في خروجه من البحر ، وغرق فرعون وجنوده على ما قاله المفسرون، فقبضت قبضة من أثر حافر فرسه، فنبذتها على العجل، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي أن أقبضها، ثم أنبذها، فكان ما كان.

فوائد وهدايات:

☆ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ هنا دليل على أنه رأى جبريل عليه السلام ، وهذا ممكن فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد رأوا جبريل عليه السلام لكنهم لم يروه بصورته التي خلقه الله عليها . فجبريل عليه السلام أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم على هيئة رجل وجلس بين أصحابه . فيمكن رؤية جبريل مع النبي، أما بعد انقطاع الوحي فلا سبيل إلى ذلك.

☆وهذا المفتون صاحب الفتنة يبحث عما يتعلق به لإثراء فتنته وإلا لو كان صاحب إيمان صادق و علم صحيح لكان في رؤيته لجبريل عليه السلام مدعاة للثبات و الإيمان والخير واليقين ،فكم نعمة صيرتها الفتنة نقمة . فالإنسان إذا أطلعه الله تعالى على أمور ومشاهدات تدل على القدرة الإلهية أو نحو ذلك فإنه هذه يجب أن تكون مدعاة للثبات وليس للفتنة و للإفتتان ، والشيطان يكمن في هذه المداخل فإنه قد يغري الإنسان بأمور قد يشاهدها ويطلع عليها فيثير في نفسه العجب والفخر وأنه لديه ما ليس لدى الآخرين.

☆في هذه الآية أيضا أن أصحاب الضلالات عادة ذوو ثقافة مختلفة عن الناس ولهذا قال سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. فأصحاب الضلالات لديهم تخيلات وأفكار ضالة ينطلقون منها فالشيطان يثريها لهم .

☆وفيها أن الغرور في النفس أول طريق الضلال كما كان لإبليس الذي أصابه الغرور فصارت بداية لضلاله وإخراجه من الجنة.

☆ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ بمعنى أني رأيت شيء ما رآه الناس فأصابه الغرور والغرور يعمي ويصم فانظروا كيف أن إبصاره لجبريل وزعمه أنه قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فهو رأى أنه تميز عنهم فأصابه بذلك الغرور .

☆وفيها أن فتنة الشهرة تؤذي صاحبها فقال وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي فالشهرة تؤدي بالإنسان إلى أن يبحث عما يتعلق به ويميزه عن الآخرين ولو كان ذلك الذي يميزه غير صحيح .

☆وفيها أيضا أن المنافق يستغل الفرص للنيل من الدين بمجرد هوى نفسه و عقله الذي يتتبع الشهوات والشبهات .قال قتادة : نافق السامري عدو الله بعدما قطع البحر .ولعل هذه الآية تدلنا على بداية ضلاله فإنه ضل ورأى في نفسه هذا الأمر منذ أن قطع البحر ورأى جبريل وأخذ أثرا من حافر فرسه فكان ذلك مثار في نفسه في العظمة والتعاظم وأنه لديه ما ليس لدى الآخرين . والشيطان قد يحدث في نفس الإنسان مثل ذلك إذا وجد فرصة لإثارة الغرور في نفسه.

☆بداية الشرك بدعة مستحسنة ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ، هذه القبضة بداية للشرك فإن الأصل فيه أن تكون هذه القبضة سببا في قوة يقينه وإيمانه . ثم أيضا أن هذه القبضة لم يقبضها إلا لما ضمره في نفسه من السوء وأراد بها شيئا سيئا، ولو أراد بها شيئا حسنا لكان دالا عليه ذلك بأن عرضها على موسى عليه

السلام ولم يكتمها . والإنسان إذا كان في نفسه خبيئة سيئة فإن أعماله منبنية عليه فهو امتطى هذه النية من قبضة الرسول ثم بدأ في كيف تكون هذه القبضة مثارا للفتنة في الناس أو تكون لديه خاصية في الناس يحدثها فيهم فيكون له شأن فيهم.

☆هنا دليل على أنه ما سولت النفس لأحد ولا زينت له شيئا إلا تورط فيه إذا لم يكن على علم بيّن واضح ونية صادقة .فقال وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي فليحذر الإنسان مما تسول له نفسه. فإذا لم يضبطها الإيمان والعلم النافع الصحيح وإلا فإنها السبب في ضلال الإنسان إلا ما رحم ربي ، فالنفس داعية إلى الطغيان .

☆المحرّف للدين صاحب البدعة دائما تجدونه يدعي معرفة ما لا يعرفه غيره ويجذب الناس للماديات ويسوغ باطله بآثار لها ارتباط بالدين وهي ليست منه . ولذلك فالذين يتعلقون ببعض آثار النبوة من غير دليل على ما يتعلق بها فإنهم يجرون أنفسهم إلى بدعة وضلالة في الدين .كمن يتعلق ببعض الآثار الباقية في التاريخ فيجعلها مثارا إلى إحياء بدعة أو ضلالة أو نحو ذلك.

☆كل من أتى بشيء جديد في الشريعة وأحدث في الشريعة أمرا فهو سامريها ، ومن يزعم أن لديه من العلم ما ليس عند الآخرين أو أنه فهم فهما لم يفهمه الآخرون في كتاب الله مما يخالف منهج السلف الصالح فإنه يحدث في الناس بدعة وضلالة .ولذلك يتجدد في الناس من يزعم أن لديه فهم في كتاب الله ويطلع فيه على أسرار المستقبل وغير ذلك. وقبل سنوات كان هناك شخصا زعم للقرآن ظاهر وباطن، وسمى القرآن الظاهر هو القرآن والباطن هو الفرقان الذي لا يعرفه أحد ويزعم أنه هو اكتشف هذا العلم وهو الفرقان وبدأ في الناس بتحليلات وتنبوءات انطلق فيها من آيات ، فبدأ بذكر أحداث و أخبار ومستقبل لا يعلمه إلا الله فضل وأضل .فهذا مما ينبغي التنبه له وهو أنه ليس كل أحد أتى بعلم جديد أن يقبل بل إنه ينبغي أن يحذر حتى يعلم من صدقه ورسوخه وقوة الدليل عليه وأن يكون له إمام في العلم الذي جاء به.

قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا (٩٧)

فقال له موسى: فَاذْهَبْ أي: تباعد عني واستأخر مني فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ أي: تعاقب في الحياة عقوبة، لا يدنو منك أحد، ولا يمسك أحد، حتى إن من أراد القرب منك، قلت له: لا تمسني، ولا تقرب مني، عقوبة على ذلك،ثم بين السعدي سر هذه العقوبة حيث مس ما لم يمسه غيره، وأجرى ما لم يجره أحد،فكان جزاءه من جنس عمله وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ فتجازى بعملك، من خير وشر، وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا أي: العجل لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ففعل موسى ذلك، فلو كان إلها،كما يزعم السامري لامتنع ممن يريده بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونسفه،فإن إحراقه دليل على أنه ليس بإله وليس فيه أدنى أثر من إله فأحرقه وسحقه ونسفه نسفا ليزول ما في قلوبهم من حبه، كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنة، مع أنه من الذهب إلا أن قطع الفتنة من دابرها أولى ، لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل، فلما تبين لهم بطلانه، أخبرهم بمن يستحق العبادة وحده لا شريك له.

فوائد وهدايات:

☆ قَالَ فَٱذۡهَبۡ هنا دليل على أن أهم عقوبة لأهل الضلالة هو الهجر ، فالهجر هو أقل ما يستحقه أهل الضلال والبدع فلا يخالطون الناس ولا يتصلون بهم حتى يذهب شرهم.

☆وفيها أيضا أن إتلاف آلة المنكر من أحسن وسائل تغيير المنكر وما أحسن أن يكون ذلك أمام صانعها أو العاصي بها من أجل الردع كما فعل موسى عليه السلام في العجل أمام الناس.

☆ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا . فموسى عليه السلام غيبه ونفاه حتى لا يكون للناس فيه مطمع في الاتباع .

☆تقرر الآية مبدأ أن الجزاء من جنس العمل فلما فرّق السامري بفعلته بين بني إسرائيل ، جاء حزاؤه أن الله فرق بينه وبين الناس لا يمسه أحد ولا يمس هو أحد .فقال يحيى بن سلام : لا تماس الناس ولا يمسونك فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة .

☆عقوبة الطرد والإبعاد لها أثر كبير في الإهانة وقطع الشر وعزل المنحرفين والفسقة عقائديا وأخلاقيا هو بمثابة علاج وقائي للمجتمع بأكمله، فلا ينقطع أمرهم إلا بالعزل. وهذه الآية تقرر قاعدة سد الذرائع والاحتياط لعقيدة المسلمين فأي أمر فيه حماية لجناب العقيدة فإنه ينبغي أن يكون له الأولوية حتى ولو على حساب إهراق مال وهدره وإحراقه ، ولذلك حرّق موسى العجل مع أنه من الذهب ونسفه في اليم نسفا ولم يدفنه حتى لا يبحث الناس عن آثاره ولا يتخذ مزارا أو قبرا يعبد من دون الله. فانظروا كيف موسى عليه السلام لم يجعل للعجل أثر أبدا .

☆ولعل السر في إحراقه أنه يزيل صورته وهيئته ثم يكسره تكسيرا ثم يفتته وينسفها في اليم نسفا.

☆من أفسد على الناس دينهم أُفسدت عليه دنياه قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ.

☆في هذه الآية مشروعية هجران أهل البدع والبعد عنهم وأن لا يقترب منهم فإن هذا مثار الفتنة ،فلا ينبغي للإنسان أن يسمع لأهل البدع أبدا.

☆دلت الآية على أن حفظ ضرورة الدين مقدمة على حفظ ضرورة المال فلا يقال أنت أسرفت في المال أو أتلفت أمرا له قيمة ، فما دام في ذلك حفظ العقيدة والدين فلا قيمة له أصلا فهذا موسى عليه السلام أتلف ذهبا من أجل حماية العقيدة والدين .

☆نلاحظ أن موسى عليه السلام يعلم ما في قلوب بني إسرائيل من التعلق فلم يجعل هذا الذهب يصاغ مرة أخرى ويصنع منه مثلا قلائد في أعناق النساء لأنه يعلم أنه ستبقى بقية في تعلقهم به .ولذلك مثل هذا مثل ما يتعلق بالأصنام التي يتعلق بها الناس ، حتى لو كانت ثمينة القيمة أو تاريخها قديم وأنها مصنوعة من جواهر فإنها لا قيمة لها أمام العقيدة فينبغي أن تتلف تماما ولا يبقى لها أثر.فلا أعظم ولا أشد نفاسة من العقيدة وتوحيد الله تعالى وكل شيء يهون وتزول قيمته في سبيل بقائها .

☆في قوله لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا هذا العزم والحزم من موسى عليه السلام دليل على أنه ينبغي العزم والحزم مع أصحاب الفتن وليس لهم علاج إلا بالحزم .

☆ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ ولم يقل ظلت عليه عاكفا دليل على أنه ما بقي عاكفا عليه إلا أيام معدودة فإن الآثار تدل على قصر المدة التي ظل عليها عاكفا وذلك أن السامري عكف على عبادة العجل حين ذهاب موسى إلى مناجاة ربه وعودته أربعين ليلة فكانت عبادته عشرة أيام، فجلس يصنعه شهرا ثم عبد عشرة أيام، فلما كان العكوف عليه قليلا عبر عنه موسى بقوله ظلت ولم يقل ظللت وهذه من عظمة ودلالات القرآن اللطيفة في ألفاظه ورسمه.

☆هنا دليل على أن حرق ونسف وتدمير الأصنام مقصد من مقاصد الأنبياء والنبوات ومقصد من مقاصد الأنبياء.

إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡما (٩٨)

بعد أن أبطل الباطل أحق الحق وذلك هو مضمون كلمة التوحيد ، فبعد ان أبطل ألوهية غير الله وهي العجل أثبت ألوهية الله فقال إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ولم يقل إنما إلهك لأنه طرده وأراد أن يخاطب قومه بالحق والحقيقة أي: لا معبود إلا وجهه الكريم، فلا يؤله، ولا يحب، ولا يرجى ولا يخاف، ولا يدعى إلا هو، لأنه الكامل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، المحيط علمه بجميع الأشياء، الذي ما من نعمة بالعباد إلا منه، ولا يدفع السوء إلا هو، فلا إله إلا هو، ولا معبود سواه.وهذا يؤكد على أن الناس إذا فتنوا بشيء أثر في عقيدتهم فإنه ينبغي أن نجدد التوحيد في قلوبهم وأن نعيد ما كانوا عليه ببيان الحق الناصع الذي أراد الله تعالى بيانه.

فوائد وهدايات:

☆ثم أن موسى عليه السلام أراد أن يبين الحق والحقيقة بعد بيان الباطل فقال إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡما.فهذا استئناف مسوق لتحقيق الحق إثر إبطال الباطل ولاحظوا أنه لون الخطاب واتجه إلى كل الناس فقال وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفاۖ والعجيب أن السامري اتخذه هو إله، فدل على كفره .فهنا اتجه الخطاب إلى بني إسرائيل لبيان ما كانوا يعبدونه وهو الحق سبحانه فقال إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡما ، وهذا يؤكد على أنه ينبغي تجديد العقيدة في نفوس الناس كلما انشغلوا وكلما أثيرت فتنة أو شبهة .

☆واختار صفة العلم الشامل في قوله وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡما ليدل على أن صفة العلم أخص صفات الإله المستحق للعبادة وحده ، بالإضافة إلى اختيار اسم الله تعالى الجامع لكل صفات العظمة والجمال والجلال ، فجمع هنا بين إسم الله الدال على العظمة وصفات الكمال والجلال وبين صفة العلم الدالة على سعة علمه سبحانه وتعالى وكماله المستحق بذلك العبودية وحده سبحانه وتعالى .

☆اشتملت هذه الآية على أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية والإلهية والأسماء والصفات.

☆نلاحظ أن قصة موسى عليه السلام تركزت على التوحيد في هذه السورة فلذلك ابتدأت القصة بالتوحيد وانتهت بالتوحيد.

☆فكل شيء يبدأ بالتوحيد ينتهي بالتوحيد وهذا يدل على أن الدعوة الصادقة ينبغي أن تنتهي بمثل ما ابتدأت به من الحق ولا تزيغ ولا تنحرف وتكون على الصراط المستقيم ثابتة على الحق، فهذا موسى عليه السلام ثابت على مبدئه الذي ابتدأ الحديث معه وخاطبه ربه إنني أنا الله لا إله إلا أنا وهكذا هو خاطب قومه إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡما .فدارت قصته كلها على التوحيد أولا وآخرا وأي حياة يدور محورها على التوحيد فإنها هي الحياة حقا فينبغي أن تقوم حياتنا كلها على التوحيد أولا وآخرا وأن نبدأ تربيتنا بالتوحيد وأن نموت على كلمة التوحيد .

هنيئا لمن ثبَت وثبّت من معه على التوحيد والدعوة إليه وهنيئا لمن قطع كل سبيل للبدعة والفتنة والشرك، فعلى الإنسان أن ينأى بتفسه عن كل مثار للفتنة ، وإن النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا إذا سمعنا بالدجال أن ننأى عنه ونحذر منه وأن لا يعرض الإنسان نفسه له.

نسال الله أن يعصمنا بالتوحيد وأن يحفظنا عليه حتى نلقاه وشكر الله لكم

والحمدلله رب العالمين.....

الورد الرابع عشر

الآيات (٩٩-١٠٤)

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)

هذه الآيات جاءت للتعقيب على قصة موسى عليه السلام بعد أن أطال الحديث عنها فجعلها الله تعالى فقد قال وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا وكأن الله تعالى يقول قد قصصنا عليك هذه القصص التي هي خاصة من لدنا ففيها اعتبار وتذكر وفيها بيان فضائل الرسل والمنح الربانية التي أكرم الله تعالى فيها أنبياؤه ، فكل ذلك دافع للتذكر والاعتبار والإقتداء.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩)

يمتن الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بما قصه عليه من أنباء السابقين، وأخبار السالفين، كهذه القصة العظيمة،قصة موسى عليه السلام، وما فيها من الأحكام وغيرها، التي لا ينكرها أحد من أهل الكتاب، فأنت لم تدرس أخبار الأولين، ولم تتعلم ممن دراها، فإخبارك بالحق اليقين من أخبارهم، دليل على أنك رسول الله حقا، وما جئت به صدق، ولهذا قال: وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا أي: عطية نفيسة، ومنحة جزيلة من عندنا.والإتيان اللدني والعلم اللدني والرحمة اللدنية كلها عطايا خاصة من الله لأنبيائه وأوليائه.

ذِكْرًا وهو هذا القرآن الكريم، ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء.

وذكر السعدي في هذا مضامين القرآن كله من الأحكام والقصص والعقيدة والجزاء.وهذا مما يدل على أن القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام، التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها، ويذكر هذا القرآن ما أودع الله فيها، وإذا كان القرآن ذكرا للرسول صلى الله عليه وسلم ولأمته، فيجب تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، فلا بد أن نأخذ هذا التفسير بالاعتبار وبالإمتثال والقبول والانقياد والتعظيم وأن يهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم لأنه ذكرا ونتذكرفيه أسماء ربنا وصفاته وسير أنبيائه وأحكام دينه وأخبار جزائه..

فوائد وهدايات:

☆ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ ، ففي القصص القرآنية تذكر ودروس واعتبار ينبغي أن نقف عليها كثيرا ولذلك أوصيكم بتأمل وتدبر القصص خاصة في صلاة التراويح ونحن نسمع الإمام ففي القصص عبر فينبغي ان نقف معها ونتأمل فيها وكذلك مع أحوال الآخرة .

☆ينبغي أن نأخذ هذه القصص موضع التذكر والقبول والتسليم والإنقياد والتعظيم فيما أمر الله ونحذر ما حذر منه وأن نقتدي بأثر الأنبياء وأن نتعلم منها دروسا في الحياة وأن نحذر من الإعراض.

☆هنا تشريف النبي عليه الصلاة والسلام والعناية به حيث قال الله كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وأن هذا القرآن مما خص الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام وفيه نبأ الأولين والآخرين وفيه علم الأولين والآخرين . وهذا مما لا يستطيع أن ينبئ به أحد من العالمين فهذا دليل على شرف النبي صلى الله عليه وسلم وشرف من حمل هذا القرآن

الكريم. فإن في صدره علم الأولين والآخرين لمن تأمل وتدبر ونظر وهذا تأكيد لفضيلة من حمل القرآن وتعلمه فإنه يحمل علما عظيما بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، فجعل العلم في صدورهم ، فنسأل الله أن يجعل العلم في صدورنا حفظا وفهما .

☆ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ هنا ذكر الفعل المضارع(نقص) وليس بالماضي ، وهنا فائدة وهي أنه ما يزال القرآن يُتلى والله يقص ، فكأن الله تعالى يجدد لك العهد بهذه القصص ،وتستحضر الحالة الحسنة في تلك القصص فينبغي أن تتجدد القصص في نفوسنا بتذكرها كأننا نعايشها .

☆تفيد الآية وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا أن الذكر من أسماء القرآن لأن القرآن فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم وفيه التذكير بآيات الله ونعمه والتذكير بأمر الآخرة وهو ذكر لصاحبه ولمن حمله .وهذا يؤكد أن من مقاصد إنزال هذا القرآن التذكر أن نتذكر فيه أحوال الآخرة وسير الأولين وسنن الله وأوامر الله ولهذا قال ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ، فدل على أن أعقل العقلاء المتدبرون المتذكرون وليتذكر أولوا العقول الصافية .

☆في هذه الآية بعد ذكر قصة موسى وما شرّف الله تعالى به موسى من التكليم شرّف الله به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن فكأنه قال كذلك نقص عليك نبأ موسى وأن الله اصطفاه واختاره واصطنعه وخصه بتكليمه، فإن الله خصك بهذا الشرف وهو القرآن الكريم ،فقال ابن عباس القرآن شرف لك ولقومك . فالقرآن هو كلام الله عزوجل الذي لم ينزل على البشرية مثله وأعظم منه .فحري بالمؤمن أن يشرف بالقرآن وليعلم أن أعظم ما يمنحه الله لعبده هذا القرآن علما وحفظا وتخلقا . هذا شرف أهل القرآن أن الله تعالى يمنحهم إياه، فكما منح الله تعالى موسى هذه العناية والولاية والشرف بتكليمه فإن الله يولي عبده المؤمن شرف حمل وتعلم كتابه وأن يكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته ، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه.

مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا (١٠٠)

وأما مقابلته بالإعراض، أو ما هو أعظم منه من الإنكار، فإنه كفر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة، ولهذا قال: مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، فمن الواجب تعلمه في كتاب الله ما هو مرتبط بأصول الإيمان وأركانه وفرائضه ونحو ذلك وهذا الذي يجعل جزء من أجزاء التدبر واجبة في التلاوة.

فوائد وهدايات:

☆فمن يعلم أن هذا القرآن ذكر وشرف وتذكير بأمر الله ثم يعرض عنه إلا ويستحق الوزر فالإنسان ليخاف ويخشع أن يكون من المعرضين بهجر القرآن الكريم ، فإذا سمعنا آيات الله عزوجل تتلى علينا أن نوليها الاهتمام والإصغاء وأن نتذكر فيها ولا نعرض عنها .

☆ وفي هذه الآية دليل على أن من أعرض عن القرآن فقد أشغله الشيطان بالوزر . ولذلك نجد الإنسان إما أن يحمل كتاب الله ويكون من أهل القرآن تلاوة وحفظا وإما أن يكون من أهل مزمار الشيطان غناء وطربا ...ولا يجتمعان صوت الرحمن وصوت الشيطان .وهنيئا لمن تذكر بالقرآن ولم ينأى عنه وخير لنا أن نبقى مع كتاب الله متذكرين ، من أن نعرض عنه.

☆ولا شك أن أعظم الإعراض الإعراض بالتكذيب ولكن للإعراض درجات أقلها أن الإنسان ولو كان مؤمنا ينشغل عن القرآن ويهجره الذي فيه ذكره وفيه موعظته وهداه وشفاه . وكما أن المريض الذي يعرض عن الطب والإستشفاء قد يتعرض لمضاعفات وآلام ولا شك من أعظم الشفاء الدعاء فمن أعرض عن كل ذلك فقد يزداد ألمه فكيف بألم القلوب الذي يحتاج إلى طبيب ليس له إلا ذكر الله.

خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا (١٠١)

خَالِدِينَ فِيهِ أي: في وزرهم، لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذابا على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها.

وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا أي: بئس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة.ثم ذكر أحوال يوم القيامة وأهوالها.

ما السر في إتباع القصص بأخبار يوم القيامة وما الجامع بينهما؟

هذا يدل على أن التذكير بالقرآن يكون بالقصص وأخبار القيامة وأحوالها فمن المواعظ التي تذكر الإنسان هي أخبار السالفين التي فيها سنن الله بإكرامه لأوليائه وعذابه لأعدائه كما في قصة موسى بإكرامه له وعقابه لفرعون فهذا فعله في الدنيا ثم يقابله فعله في الآخرة في النار .إذا المناسبة ظاهرة من حيث القصص تمثل ما سبق من أحوال الدنيا والحديث عن الآخرة هو ما سيكون من شأن الناس في الآخرة. فهي قصص سابقة لوقوعها وتلك قصص لاحقة بعد وقوعها والله أعلم. فالمهم أنه من أعظم ما ينبغي أن ننظر إليه في تلاوتنا لكتاب الله ونحن نمر بقصص السابقين أو أحوال الآخرة أن نتذكر ،ولهذا قال الله تعالى في الآية وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا تتذكر فيه أخبار السابقين واللاحقين وأحوال الآخرة.

فوائد وهدايات:

☆ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ ،فلو دامت اللذات طوال الحياة في الدنيا وتحققت للإنسان جميع شهواته وملذاته وكل ما اشتهاه لكان عقابه في غمسة في النار تُذهب ذلك كله فكيف إذا كان عقاب الآخرة خلود في الجحيم خالدين فيه. ويؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال هل رايت نعيما قط قال لا والله ... . إذا إن هذا النعيم لا ينفع الإنسان إذا لم يكن فيه على طاعة الله تعالى. فمن استثمر هذا النعيم في طاعة الله واستعان به على مرضاة

الله شاكرا نعمة الله فإنه سيكون وبال عليه . ولا شك أن هذه النعم حينما نتذكر فضل الله علينا فيها ستكون وزرا علينا .

وقد رأيت كلمات جميلة لأحد الأخوة في فضيلة تذكر نعم الله وأنها من العبودية لله :

كلنا ندعي أننا من الشاكرين لكننا في الغالب نمد أعيننا لغيرنا فنزدري ما عندنا من خير وهذه أعظم منغصات الحياة وقاتلات السعادة.

إن الشاكر الحقيقي هو ذلك الصادق في النظر إلى نعم الله فيرى في جدران بيته التي أحاطت به فتستره عن الخلق نعمة، ويرى في كأس الماء الذي يشربه نعمة، ويرى في الأهل والإخوان والأرحام نعمة ، ويرى في الأنس الذي يمر عليه ولو لفترة قصيرة نعمة عظيمة. ثم هو يراقب من حوله من الناس على حقيقتهم ولا تخدعه شكلياتهم المصطنعة ، وهو لا يتخذ أهل التفاخر الفارغ والكذابين وممثلي برامج التواصل قدوة ونبراسا لحياته.

فالعاقل الشاكر لا يغفل عن أهل البلاء فيشاهد أولئك المتشتتون الذين لا منازل تؤويهم ولا اجتماعات تؤنسهم ولا إطعام من جوع ولا أمان من خوف.

فالشاكر الحقيقي يدرك خطورة الغفلة عن النعمة وأهمية شكرها من قلب صادق ممتن ولا ينتظر أن تصبح هذه النعم التي يتمتع بها الآن ذكريات لكي يتفطن لها ويتحسر عليها فقد كنا وكنا ، كما حصل مع كثيرين ونسمع بهم كل يوم .

هذه كلمات تذكرنا بنعم الله وما اكرمنا الله به من عافية وصحة وأمن وإيمان وطيب عيش وعون على طاعة الله وذكره وشكره.

☆من فوائد هذه الآيات أن المعرض عن القرآن يظن أن يتخفف بذلك من تكاليف الحياة ولا يدري أنه حمّل نفسه عبئا ثقيلا لآخرته لن يستريح فيه . فكثير ممن يعرض عن القرآن يظن أت القرآن تكاليف لكنه في الحقيقة يتكلف وهو لا يشعر . فإن الإنسان إذا أعرض

عن القرآن فإنه سيعرض عن أوامر الله وفرائضه وآياته كل ذلك حمل عليه يوم القيامة وزرا .

☆نلاحظ أنه أعاد ذكر يوم القيامة ، ما السر من هذا التكرار في آية واحدة ؟

السر هو ليقرع هذا الإسم القلوب والأسماع وليكون موضع التذكر والتذكير والتخويف فالله يذكرنا ويخوفنا بهذا اليوم . فذكر أيام القيامة (الحاقة ما الحاقة) هذا التكرار ينبه الإنسان ويقرع قليه وأذنه.

☆في قوله مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا وإذا أتوا كل واحد بوزره ثم اجتمعوا في النار كانوا جميعا خالدين في هذا الوزر الذين اجتمعوا عليه ولذلك جمع هنا خالدين فيه ، مع أن الكلام عن المفرد من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا فيأتي كل واحد بوزره ويلقون في النار خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا. ولهذا فإن أهل النار يجمعون كل على حسب عمله . فهؤلاء المكذبون وهؤلاء المشركون كل بوزره يجتمعون فيعذبون . ولهذا قال خالدين فيه في هذا الوزر .ولهذا قال الله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم الذين مثلهم في هذا الوزر فيأتي المستكبرون لوحدهم ويأتي الظالمون لوحدهم .كما أن أهل الجنة يدخل أهل الصبر من باب الصبر ...ومن جمعها يدعى من جميع أبواب الجنة فكذلك أهل النار كل عمل يحشرون لوحدهم ويدخلون النار جميعا.

يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)

أي: إذا نفخ في الصور وخرج الناس من قبورهم، كل على حسب حاله، فالمتقون يحشرون إلى الرحمن وفدا،نسأل الله أن يجعلنا منهم والمجرمون يحشرون زرقا ألوانهم من الخوف والقلق والعطش.

فوائد وهدايات:

☆في الدنيا قد تحمر العين من الخوف والقلق والمصاعب لكن يوم القيامة تزرق من شدة الهول. فالعين إذا كان عند الإنسان هم يعرف بعينه وتغيرها واحمرارها فكيف بالآخرة فما أسوء حال المجرمين يوم القيامة وما أبشع صورة المجرم يوم يبعثه الله وقد علاه الكرب والغم والحزن والهم .ففكره كله يتقلب في أحوال المستقبل المظلم الذي ينتظره وفظاعة هذا المنظر المخزي يزيد في آلامهم النفسية الداخلية قبل أن يدخلوا النار . وفي ذلك من التخويف والتهويل، فوالله لو لم يأت من التخويف من أمر الآخرة إلا وصف المجرمين بهذا الوصف لكفى فكيف وقد جاءت أوصاف كثيرة عن الأحوال في الآخرة وهم في النار.

☆ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فليس بالأمر الهين ففيه تتكشف الأحوال ولا يدري الإنسان ما الله تعالى فاعل فيه ، وما كاشف لأعماله ومحاسبه عليها.

☆على المؤمن العاقل أن يستثمر حياته في طاعة ربه قبل أن يأتي يوم القيامة نادما على ذلك العمر الذي ضيعه مع قصره وعن الآخرة التي كان لاهيا عنها .

يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْما (١٠٤)

يتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، ويسمع تحاورهم وما يقولون إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير في نظر الله عزوجل إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا والمقصود من هذا، الندم العظيم، كيف ضيعوا الأوقات القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم في الآخرة، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور.لكننا نتأمل طويلا في قول الله وحكمه في أمثلهم طريقة بجميع اعمالها يوما واحدا بالنسبة للآخرة ، ما أعقل الناس الذي ينظر إلى الدنيا انها قصيرة وزائلة .

كما قال تعالى: قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ* قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ* قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

فما أعظم التذكر في هذه الآيات وحقا قد قال الله وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا فمن أعرض عن هذا التذكر ونسي الدار الآخرة وانشغل بالدنيا وأصبحت همه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا...

فوائد وهدايات:

☆تصوروا ، مهما كان أكبر عدد ممكن أن يقدرونه للدنيا عشرة أيام ، فأعمارهم آلاف السنين لا يزيد أحدهم عن عشرة أيام ، حري بالإنسان أن لا يضيعه قبل أن يأتي يوم يظن كل عمره يوم واحد .كلهم يتساوون بينهم فكم جلسنا في الدنيا ، فلماذا يتخافتون؟؟ ندما على ما فات وضياع الحياة على غير مرضاة الله.

☆هنا دليل على أن الله حينما يذكر لنا كلامهم إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا يذكرنا بقصر أعمارنا وأن نستفيد من هذا العمر ولهذا أكثر القرآن من التذكير بحقيقة الدنيا .فالدنيا لا تساوي شيء عند الله تعالي وهي مجرد خيال عابر مقارنة بالحياة الأبدية عند الله .

☆نلاحظ أن أمثلهم طريقة و أعقلهم الذي يستوعب حقيقة يقول إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يوما.

☆فالعاقل العاقل الدنيا في نظره لا تساوي شيء لأنه يعتبر الدنيا ممر وليست مستقر فعلينا ألا نغتر بمعصية الله والغفلة .

☆التذكير بحقيقة الدنيا وعدم استقرارها من مقاصد القرآن الكبرى فينبغي ألا تمر علينا الآيات التي تذكرنا بهذه الحقيقة مرور الكرام فينبغي إذا مررنا بهذه الآيات أن لا تمر علينا سريعا.

☆ فالأيام التي يفرح بها الكافر المجرم في الدنيا لا شيء ولو طالت .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتَى يومَ القيامةِ بأنعَمِ أَهْلِ الدُّنيا منَ الكفَّارِ ، فيُقالُ: اغمِسوهُ في النَّارِ غَمسةً ، فيُغمَسُ فيها ، ثمَّ يقالُ لَهُ: أي فلانُ هل أصابَكَ نعيمٌ قطُّ ؟ فيقولُ: لا ، ما أصابَني نعيمٌ قطُّ ، ويؤتَى بأشدِّ المؤمنينَ ضرًّا ، وبلاءً ، فيقالُ: اغمِسوهُ غمسةً في الجنَّةِ ، فيُغمَسُ فيها غمسةً ، فيقالُ لَهُ: أي فلانُ هل أصابَكَ ضرٌّ قطُّ ، أو بلاءٌ ، فيقولُ: ما أصابَني قطُّ ضرٌّ ، ولا بلاءٌ.

فالله قد أعد لنا النعيم عنده فلنصبر .

فنسأل الله أن يجعلنا من المتذكرين المعتبرين وأن يجعل همنا هم الآخرة وأن يزيدنا لها عملا وقربة وشكر الله لكم

الورد الخامس عشر

الآيات (١٠٥-١١٤)

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعا صَفْصَفا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجا وَلَآ أَمْتا (١٠٧) يَوْمَئِذ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسا (١٠٨) يَوْمَئِذ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْما (١١٠) ۞وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِن فَلَا يَخَافُ ظُلْما وَلَا هَضْما (١١٢) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرا (١١٣) فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْما (١١٤)

نلاحظ أن آيات السورة بدأت تتجه إلى الحديث عن الآخرة وكأنها موعظة مودع و تذكير وطريق لتحقيق السعادة. ولا شك أن سعادة المؤمن في الآخرة وليس في الدنيا . ولذلك جاء الوعظ كثيرا ومطولا في الحديث عن الآخرة.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعا صَفْصَفا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجا وَلَآ أَمْتا (١٠٧)

هذه الآيات متصلة بما قبلها في الحديث عن الآخرة ولكنها جاءت بوصف بليغ وعظيم في القدرة الإلهية وسلب الإرادة البشرية إلا بإذن الله . يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلاقل، فقال: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ أي: ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون

كالعهن (كالقطن) وكالرمل، ثم يدكها فيجعلها هباء منبثا، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجعل الأرض قاعا صفصفا، مستويا لا يرى فيه أيها الناظر عِوَجًا، هذا من تمام استوائها وَلَا أَمْتًا أي: أودية وأماكن منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مد الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر.

فوائد وهدايات:

☆ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ الفاء جاءت تعقيبا مباشرة ، فالفاء هنا لكون سؤالهم ناتج عن استبعاد ذلك ، فجاء الجواب مباشرة الدال على كمال القدرة الإلهية فمقصودهم الطعن في الحشر والنشر ، فجاء الجواب مباشرة قدرة الله النافذة فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفا.

☆إن يوما يبلغ من عظمة هوله أن تزول فيه الجبال عن أماكنها فتصبح كالعهن المنفوش أو كالرمل المتفتت فتصير هباء منبثا منه فيجب أن يشفق العاقل منه ويستعد .

☆لم يكتب الله بقاء شيء في الدنيا ولو عظم ، كل شيء في الدنيا سيزول حتى الحبال العظام الراسيات الراسخات يكون حالها يوم القيامة يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفا. فلماذا إذا التعلق بالدنيا وزينتها فالله يزيل أكبر قوة فيها .

☆جدير بالعاقل أن ينتبه لهذا اليوم وأن يعد له عدته وهو يعلم أن كل شيء زائل فيها .

☆زاد في وصفها فقال فَيَذَرُهَا قَاعا صَفْصَفا ● لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجا وَلَآ أَمْتا ●زيادة في تصوير الحالة مما يزيد من الرهبة من ذلك اليوم والاستعداد له ونلاحظ أنه قال لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجا وَلَآ أَمْتا ، دليل على أنه ملساء ليس فيها أي ميول .

يَوْمَئِذ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسا (١٠٨)

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ وذلك حين يبعثون من قبورهم ويقومون منها، يدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرجون يمنة ولا يسرة بل هم على صراط واحد ، وقوله: لَا عِوَجَ لَهُ أي: لا عوج لدعوة الداعي، بل تكون دعوته حقا وصدقا، لجميع الخلق، يسمعهم جميعهم، ويصيح بهم أجمعين، فيحضرون لموقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحمن، فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا أي: إلا وطء الأقدام، أو المخافتة سرا(يهمس بعضهم بعضا) بتحريك الشفتين فقط، يملكهم الخشوع والسكون والإنصات، انتظارا لحكم الرحمن فيهم،(أين الخلائق و الحبابرة كلهم لا تسمع لهم صوتا يملكهم الخشوع والسكون والذلة والإنصات) وتعنو وجوههم، أي: تذل وتخضع، فترى في ذلك الموقف العظيم، الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين على ركبهم، عانية وجوههم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا يفعل به، قد اشتغل كل بنفسه وشأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ فحينئذ يحكم فيهم الحاكم العدل الديان، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بالحرمان.

والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يرى الخلائق منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار، ويتطلع لرحمته إذ ذاك جميع الخلق لما يشاهدونه [فيختص المؤمنون به وبرسله بالرحمة] فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم هذا العلم بما ذكر؟

قلنا: لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن سعة جوده، الذي عم جميع البرايا، ومما نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا، من النعم المتواترة في هذه الدار، وخصوصا في فصل القيامة، فإن قوله: وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ مع قوله الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ مع قوله صلى الله عليه وسلم: " إن لله مائة رحمة أنزل لعباده رحمة، بها يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تطأه –أي:– من الرحمة

المودعة في قلبها، فإذا كان يوم القيامة، ضم هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العباد " .

مع قوله صلى الله عليه وسلم: " لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها " فقل ما شئت عن رحمته، فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وتعالى من وسعت رحمته كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجل من غني عن عباده، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين.ما اعظم هذا الوصف البليغ الجليل .

فوائد وهدايات :

☆نلاحظ أن هذا اليوم العظيم الذي فيه هذه القدرة الإلهية البالغة يأتي بوصف الرحمة فيقول وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ هنا يعرض الله برحمته في مقام يخلع القلوب .

☆ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ المقصود أن الأصوات التي ملأت الدنيا ضجيحا وغطرسة وإعلاما سيأتي يوم تخنس ولا تسمع منها حرفا ،سيأتي يوم يخنسون فيه ويذلون فيه وتخشع أصواتهم للرحمن .

☆نلاحظ في سياقات الآخرة يأتي وصف الرحمن كثيرا لأن رحمة الله واسعة في الآخرة ،فإن رحمة واحد في الدنيا من تسع وتسعين في الآخرة فما أعظم رحمة الله .

☆حينما نقرأ هذه الآية نخشع لله ذلا وخضوعا لله وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ، أخذهم الخوف وعمّهم الخشوع .

يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا (١٠٩)

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا أي: لا يشفع أحد عنده من الخلق، إلا إذا أذن في الشفاعة ولا يأذن إلا لمن رضي قوله، أي: شفاعته، من الأنبياء والمرسلين، وعباده المقربين، فيمن ارتضى قوله وعمله، وهو المؤمن المخلص، فإذا اختل واحد من هذه الأمور، فلا سبيل لأحد إلى شفاعة من أحد.

فوائد وهدايات :

☆ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلًا ، فما أعظم منزلة الشافع عند الله ولا يشفع إلا من هو من الأولياء المقربين (الأنبياء والشهداء والسابقين المقربين) فكل الخلق يصمتون إلا من أذن له الرحمن بكونه من عباده المقربين .

يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا (١١٠) وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا (١١١) وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا (١١٢)

وينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين:

ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب الأليم في جهنم، وسخط الديان.

والقسم الثاني: من آمن الإيمان المأمور به، وعمل صالحا من واجب ومسنون فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا أي: زيادة في سيئاته وَلَا هَضْمًا أي: نقصا من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

فوائد وهدايات:

☆ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ،ما بين أيديهم هو الواضح وما خلفهم السرائر فهو سبحانه وتعالى يعلم الظواهر والخفيات .

☆ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْما ، مهما بلغت عقول البشر اليوم ومهما اكتشفوا من أسرار الخلق وفتح لهم في الدنيا فإنهم لا يحيطون بعلم الله شيئا ،وإنما هو علم قليل جدا .

☆لا نستطيع أن نحيط بجلال و بجمال الله وجمال أسماء الله وصفاته فمن يحيط بربنا؟ فينبغي على الإنسان أن يزداد معرفة بالله وأسمائه وصفاته .

☆ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ شتان بين عنت المؤمن وخضوعه لربه وفرحه بلقاء ربه وجزائه يوم القيامة ، وبين عنت الكافر وما يعتريه من الذل يوم القيامة ،ولهذا قال وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما، فأخيب الناس يوم القيامة هو الظالم الذي يحمل ظلمه على ظهره في الدنيا والقبر والآخرة عندما يتمثل أمام الله عزوجل وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما.

☆ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ، الوجوه يدخل فيه رؤوساء الكفر، والوجوه المعظمة الظالمة لعباد الله في الدنيا ، فهي أشد الوجوه ظلما وظلمة يوم القيامة .أرأيتم الطغاة والجبابرة والمستكبرين والذين يرون أنهم وصلوا ما وصلوا من الملك والطغيان كما فعل قارون وكما فعل فرعون وكما فعل فرعون هذه الأمة (أبو جهل) ، كل هؤلاء وكل هذه الوجوه المعظمة ستؤول إلى وجوه ذليلة قال الآلوسي : الوجوه الأشراف أي عظماء الكفرة.

☆ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما، فقال الفضيل بن عياض: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد ، أنظروا كيف يقرأ السلف القرآن ويتأملوه .فتخففوا من مظالم الناس و تحللوا من كل ما ظلمتموهم .

☆ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِن فَلَا يَخَافُ ظُلْما وَلَا هَضْما هذه الكلمة المختصرة الجامعة ، لا تحتاج إلى شرح وتطويل اجتمع فيها معان عظيمة ، وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِن فَلَا يَخَافُ ظُلْما وَلَا هَضْما أي أن يظلمه شيئا أو أن يهضمه من حق .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرا (١١٣)

بمعنى أن الله تعالى خص القرآن العظيم أن فيه من التذكير والوعيد للكافرين بما لم يعرفه من قبل هؤلاء المشركون ، فلم يعرفوا أسلوب الوعظ والتذكير . فهو قرآن عربي ، فيه من التصريفات والموضوعات ما يبهركم أي: وكذلك أنزلنا هذا الكتاب، باللسان الفاضل العربي، الذي تفهمونه وتفقهونه، ولا يخفى عليكم لفظه، ولا معناه.

وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ أي: نوعناها أنواعا كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثلات التي أحلها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة بذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنوع العقاب وأصناف العذاب، كل هذا رحمة بالعباد، لعلهم يتقون الله فيتركون من الشر والمعاصي ما يضرهم،وهذا هو التصريف في الوعيد ، تارة ياتي بأسمائه التي فيها الانتقام وأخيانا يأتي بأحوال الأمم السابقة المهلكة ومرة يأتي بآثار الذنوب وعواقبها ومرة يأتي بأهوال القيامة ومرة يأتي بجهنم وذكرها وهكذا..

أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا فيعملون من الطاعات والخير ما ينفعهم، فكونه عربيا، وكونه مصرفا فيه [من] الوعيد، أكبر سبب، وأعظم داع للتقوى والعمل الصالح، فلو كان غير عربي، أو غير مصرف فيه، لم يكن له هذا الأثر.

فوائد وهدايات:

☆ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لا شك في عظمة القرآن وسمو مكانته وسمو أهله ..

☆في هذه الآية الحض على تعلم أساليب اللغة والبيان العربي والتبصر بأسرار وأساليب كتاب الله انطلاقا من مفهوم وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا.

☆ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ دليل على أن الله جعل من مقاصد هذا القرآن التذكير بالوعيد. فلا يقول الإنسان لا تخوفنا بل خوفنا ، فعباد الرحمن يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

لأن الإنسان عليه أن يقرأ آيات الوعيد معتبرا لأن الإيمان بين جناحين وهما الترهيب والترغيب وبين الخوف والرجاء ومحبة الله تعالى .

☆يقول الحسن بن عبد العزيز الجروي : من لم يردعه القرآن والموت ، فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع .فمن جمّله الله بالعقل فما عقل ، وصرّف له في الآفاق فما أفاق فهل بقي له من عذر ،وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون.

☆القرآن منبع التقوى وموئل الذكرى وأهله المتدبرون له العاملون بما فيه أكثر الناس تقوى فهم أهل القرآن المتدبرون لأنهم يمرون على آيات الوعد والوعيد فتمنعهم .

☆ما وعظ الإنسان بشيء أعظم من مواعظ القرآن.

☆ أَوَ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرا هذا يدل على أنه لم يكن الذكر من شأن العرب ،فقد كانوا على ضلال دائم فالقرآن هو من أوجد فيهم ذكرا لم يكن فيهم أولا ،فاحذر من كل كتاب لا يذكرك بالله ، فلا بد أن تأخذ القرآن للذكر والتذكر .

☆هنا دليل على أن الموعظة والتزكية من مقاصد القرآن الكبرى .

☆كثير في القرآن يأتي التعبير بالضمير مع إنه لم يسبق له في ذلك ذكر مثل هذه الآية وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ فالضمير للقرآن، مثله مثل آية الواقعة والإسراء ، كلها ذكر القرآن بالضمير الذي لم يسبق إليه لأن القرآن حاضر في العقول مشاهد ويسمعونه ويتنزل الوحي وكأنه بين أيديهم يشاهدونه لهذا أضمره ، فقال إنه لقرآن كريم .الشيء الحاضر المشاهد الذي هو حاضر في الأنفس يعبر عنه بالضمير .

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡما (١١٤)

لما ذكر تعالى حكمه الجزائي في عباده، وحكمه الأمري الديني، الذي أنزله في كتابه، وكان هذا من آثار ملكه قال: فَتَعَالَى اللَّهُ أي: جل وارتفع وتقدس عن كل نقص وآفة، الْمُلْكُ الذي الملك وصفه، والخلق كلهم مماليك له، وأحكام الملك القدرية والشرعية، نافذة فيهم.

الْحَقُّ أي: وجوده وملكه وكماله حق، فصفات الكمال، لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال، ومن ذلك: الملك، فإن غيره من الخلق، وإن كان له ملك في بعض الأوقات، على بعض الأشياء، فإنه ملك قاصر باطل يزول، وأما الرب، فلا يزال ولا يزول ملكا حيا قيوما جليلا.

وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ أي: لا تبادر بتلقف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا فرغ منه فاقرأه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقراءتك إياه، كما قال تعالى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ولما كانت عجلته صلى الله عليه وسلم، على تلقف الوحي ومبادرته إليه، تدل على محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله، والطريق إليها الاجتهاد، والشوق للعلم، وسؤال الله، والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت.

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة، الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم، فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسئول، ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب.

فوائد وهدايات :

☆هذا يدل على أن أعظم ما يوصلك إلى معرفة الله وعلوه وكماله وملكه هو القرآن . فالقرآن يدعو إلى معرفة الله وتعظيمه ، ودليل على أن القرآن هو الحق ولا يأتي إلا بحق، فهنيئا لمن تعرف على ربه بالقرآن ، أنزله بعلمه أي فيه العلم بالله. .

☆ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ أي انه قد سلب الملك لغير الله إلا بإذنه تعالى. فالملك الحق هو الله .

☆ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ، يؤخذ من هذه الآية الأدب في تلقي العلم والعلم يحتاج إلى تأني وصبر، وصبر مع المعلم حتى يفرغ من كلامه ، إذا كان كلامه متصل ببعضه البعض فإذا فرغ سأل أما الذي يقاطع هكذا فليس من الأدب .

☆القرآن يرفعك الدرجات لمعرفتك بالله ، وفي هذه الآية إشارة بليغة جدا أن أعظم ألآيات التي ينبغي أن نتأنى فيها لأن الآية قالت فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ فهنا ارتبط النهي عن العجلة بالحديث عن الله .

فما السر؟؟

السر انك إذا كنت تتحدث عن الله فلا بد تبصر وتتأمل طويلا حتى يصل قلبك وعقلك إلى معرفة الله حق معرفته ، فلو استغرق الإنسان حياته كلها في التأمل بأسماء الله وصفاته ما بلغ شيء .لذلك الحديث عن الله يحتاج إلى تأمل طويل.

☆القرآن كله فاضل لكنه يتفاضل وإلا فما معنى أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن وهي تتحدث عن الله وآية الكرسي أعظم آية وسورة الفاتحة كذلك، فكل آية تتحدث عن الله هي من أعظم الآيات فتستحق التأني والتدبر الوقوف .

☆وهنا دليل على إستحباب الترتيث في قراءة القرآن وتفسيره والإنسان يتبغي أن يكون همه أن تصل الآية إلى قلبه وليس إلى طرف لسانه .

☆ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْما الحديث عن القرآن دعاء بزيادة العلم ، فما الذي يحتاجه المسلم بزيادة علمه إلا العلم بالله وكتاب الله وهذا يدل دلالة واضحة على أن الذي يحتاجه الإنسان في زيادة العلم هو العلم بالله وكتابه فالعلم كله خير يوصلك إلى معرفة الله وأوامره..

☆العلم الذي أمر الله تعالى بالإستزادة منه هو علم الوحي فقط لا علم الكلام والمنطق وأمور الدنيا ، صحيح أن هذه علم ولكن العلم الحق الذي يزداد الإنسان معرفة بالله وكتابه هو علم الوحي .وما سوى ذلك ، إن كان يدلك على ما يوافق كلام الله فهو خير ولا شك أن أعظم علم هو نص الوحي.

☆كثير منا يشكو عدم القدرة على الحفظ وسرعة تفوّت الحفظ وعدم ثباته ، هذه الآية تعطيك العلاج ،فتقول لك بمفهومها الإنصات للوحي والآيات بتأني وتركيز يورث تمام الحفظ وكمال الفهم لأن استقرار الألفاظ في الأذهان تابع لاستقرار معانيها فلا يستقر اللفظ في الذهن إلا باستقرار المعنى.فمن أراد أن يثبت حفظه فلتكن قراءته متأنية وفيها تأمل .

☆وبالجملة فإن التدرج والتؤدة يثبت العلم ، وبالعجلة يتراكم وينسى لان التدرج يبنى بعضه على بعض و يرتب فيكون الإنسان إذا أراد أن يستدعي شيء سهل.

☆درجات العلم تبدأ بكتاب الله فهما وحفظا ، لأنه قال ولا تعجل بالقرآن ثم قال وقل ربي زدني علما فالدرجات تبدأ في كتاب الله حفظا وضبطا وفهما ثم يتزود من العلم ما شاء لأنه إذا بنى علمه على القرآن فإن ما وراء ذلك سيكون تابعا له . إذا أردت أن يفتح الله لك أبواب العلم والعلوم فأكثر من هذا الدعاء.

☆دليل على ضعف الإنسان وأنه يحتاج إلى العلم دائما في كل يوم، فالعلم لا ينتهي لأنه متعلق بالوحي والوحي لا منتهى له ولا تنقضي عجائبه . فيجب أن تشعر أنك تحتاج للمزيد حتى ولو بلغت أعلى الدرجات وأعلى الأوسمة . فلا يظن الإنسان إذا بلغ مراتب

عليا أنه انتهى من العلم بل هذا بداية التمكن وليس النهاية، فإذا بلغ مرتبة سبق فيها غيره فإن هذا بداية تمكنه ورسوخه ، إذا أمامه عمر طويل من المحبرة إلى المقبرة .

☆اذا اعترف الإنسان أنه يحتاج دائما إلى زيادة علم هذا ، فهذا يدل على اعترافه بحقيقة نفسه وذلك يدفعه إلى مزيد من العلم .

☆هنا دليل على أن العلم كل العلم هو القرآن .قال الألوسي زيادة العلم في القرآن فإن تحت كل كلمة بل كل حرف منه أسرار ورموزا وعلوما جمة وذلك هو الأنفع لك.

نسأل الله تعالى ان يزيدنا بالقرآن علما وفهما وبركة وتوفيقا ورفعة وعزة

اللهم زدنا بالقرآن علما راسخا و حفظا متقنا وخلقا كريما ومنزلة عالية وارفعنا به في الدنيا والآخرة.

الورد السادس عشر

الآيات (١١٥-١٢٧)

وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡما (١١٥) وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ (١١٩) فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡك لَّا يَبۡلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ (١٢٣) وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَة ضَنكا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡك ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِأَيَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ (١٢٧).

هذه الآيات جاءت في قصة آدم بعد أن ذكر الله تعالى ما يتعلق بقصة موسى عليه السلام ، ثم الحديث عن أمر الآخرة ثم ختم في آخر السورة في الحديث عن آدم عليه السلام وقصة إغواء إبليس له ولزوجه. وجاء فيها قوله تعالى وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡما كأن القصة ترمز إلى التأكيد على النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه أن يكونوا على عزم وثبات على دينهم وعلى ما جاءهم من الله تعالى ولعل هذه السورة نزلت على النبي عليه الصلاة والسلام في حال شدته وفي حال كان يواجه فيها طغيان المشركين.

وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡما (١١٥)

أي: ولقد وصينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهدا ليقوم به، فالتزمه، وأذعن له وانقاد، وعزم على القيام به، ومع ذلك نسي ما أمر به، وانتقضت عزيمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبيعته، نسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ فخطئوا، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة من خطيئته، وأقر بها واعترف، فغفرت له، ومن يشابه أباه فما ظلم.

فوائد وهدايات:

☆ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡما، تنبيه لبني آدم إلى التذكر بهذه القصة التي مرت على أبيهم والحذر التام من عدوهم ووسوسته والتعرض لإغوائهم وطرقة وخطواته فإنه أخرج آدم وحواء بالإغواء والإغراء والوسوسة .

☆ فَنَسِيَ دليل على أن من أعظم أيباب المعصية نسيان ذكر الله وأمره ونسيان حدود الله فيقع الإنسان في المعصية بغفلته ونسيانه أمر الله ، وهذا يدل على أن أعظم الناس محافظة على طاعة الله وبعدا عن معصيته الذاكرون الله كثيرا ، فإن ذكر الله كثيرا وتلاوة كتاب الله يمنع الإنسان من المعصية لأن يتذكر ربه تعالى ويخافه.

☆اول نقص دخل على أبي البشر وسرى إلى أولاده كان من النسيان وعدم العزم أو عدم العلم و عدم العزم فينبغي للإنسان أن يعتني كل العناية بالعلم وبشرع الله وأن يكون ذا عزم وعزيمة في أخذ أمر ربه والإلتزام به، فاستقم كما أمرت.

وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ (١١٦)

أي: لما أكمل خلق آدم بيده، وعلمه الأسماء، وفضله، وكرمه، أمر الملائكة بالسجود له، إكراما وتعظيما وإجلالا، فبادروا بالسجود ممتثلين، وكان بينهم إبليس، فاستكبر عن أمر

ربه، وامتنع من السجود لآدم وقال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ فتبينت حينئذ، عداوته البليغة لآدم وزوجه، لما كان عدوا لله، وظهر من حسده، ما كان سبب العداوة، فحذر الله آدم وزوجه منه.

فوائد وهدايات:

☆إبليس عليه لعنة الله أبى أن تكون الكرامة والرفعة لآدم وذريته من بعده فسعى إلى إخراج آدم من الجنة ليذله ، فينبغي للإنسان أن يحذر هذا العدو الذي يريد أن يضع من كرامته ويوقعه في معصية ربه.

☆هنا دليل على فضيلة الملائكة وانقيادهم لربهم . فَسَجَدُوٓاْ الفاء للتعقيب ودليل على مسارعتهم للإمتثال وعدم ترددهم في ذلك فينبغي للإنسان أن يكون مسارعا لأمر ربه ولا يتثاقل ، فإن التثاقل من صفات المنافقين ، والمسارعة والمسابقة من صفات المؤمنين.

☆هنا دليل على أن من أسوء الصفات التي يتمثل بها الإنسان هي الإستكبار والعناد فهي صفة إبليس، عند أمر الله له . فحري بالمؤمن أن يكون متواضعا هينا لينا قريبا سهلا مطيعا لله عزوجل مبادرا إلى أمره وكلما كان الإنسان أكثر تواضعا دل على صدقه وإيمانه وكلما استكبر على عباد الله وعلى أمر الله وشرعه فهو من حزب الشيطان .

فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ (١١٧)

فحذر الله آدم وزوجه منه، وقال لَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى، فتشقى في حال خروجك أما ما دمت فيها ، فإن لك فيها الرزق الهني، والراحة التامة.

فوائد وهدايات:

☆ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ هذا تقرير بأن الشيطان لا ينصح الإنسان أبدا وإن نصحه فإنه يريد أن ينصحه لصرفه عما هو أفضل من ذلك . فالشيطان عدو والعدو لا ينصح ولا يأتيك بخير . فينبغي للإنسان أن يحذر منه ومن وسوسته.

☆ إِنَّ هَٰذَا ، نلاحظ هنا كلمة هذا ولم يقل إبليس ، للدلالة على حقارته ودناءته حتى تطبع في الذهن صورة تحقيره وإذلاله فهو أدنى من أن يذكر إسمه . فينبغي أن نحقره ونذله بطاعتنا لله عزوجل .

☆ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ، هذا يدل على أن شقاء الدنيا شقاء كتبه الله على من فيها من بني آدم لأنه قال فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ أي في الأرض وفي الدنيا ،فهذا يدل على أن الإنسان ينبغي أن يتكيف مع هذه الحياة بصعوبتها وبلائها ومصائبها، فلا يمكن على أي حال على وجه الأرض أن تجد إنسانا قد اكتملت له السعادة أبدا فلا بد أن تصيبه اللأواء ويصيبه البلاء ، بل إن أشد الناس بلاء هم الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل.

☆نلاحظ أنه لم يقل فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فتشقيا ، بل قال فَتَشْقَىٰٓ ، دليل على أن الشقاء في الدنيا منه طلب الرزق والكد من أجل كسب المعيشة وهذا عمل الرجل. ولهذا جعل الله تعالى الشقاء على آدم دون حواء ، فهذا يدل دلالة واضحة على أن الأعمال المهنية والأعمال اليدوية والتي فيها بذل وجهد وتعب هي من أعمال الرجل ومهامها ولا ينبغي ولا يجوز أن تكلف بها المرأة ,ذلك أن طبيعتها لا تحتمل ذلك .

☆هنا دليل على أن كل حياة دون الجنة شقاء ، فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة السعداء ، لا نشقى فيها أبدا.

☆هموم الدنيا وغمومها والابتلاء بها وأحزانها وأتعابها ورثناه من أبينا عندما أغواه الشيطان فأخرجه من الجنة فشقي بعد أن أهبطه الله للأرض ، فينبغي للإنسان أن يتكيف مع ذلك ويسأل الله أن يورثه جنة السعادة والراحة .

☆يؤخذ من هذا فَتَشْقَىٰٓ ، ان المرأة ليس عليها واجب النفقة على الزوج ولهذا قال: الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.هنا نعرف القضية التي جعلها الله من طبيعة الرجال والنساء ، أن الأعمال ينبغي أن تكون للرجال والأعمال الداخلية في البيت هي أعمال النساء .

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ (١١٩)

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى أي: تصيبك الشمس بحرها، فضمن له استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم التعب والنصب.

فوائد وهدايات:

☆الجوع والظمأ والعري وشدة الحر تذكر المؤمن بالآخرة وأنه لا يكفى هذه الأمور إلا إذا دخل الجنة فلا بد منها .

☆هنا افائدة ، أن النفقة التي تجب للمرأة على الزوج أربعة : الطعام والشراب والكسوة والمسكن ، فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد أدى الواجب الذي عليه فإذا تفضل بعد ذلك فهو مأجور، أما هذه الأربعة فلا بد لها منها لأن بها إقامة حاجتها الضرورية لأن الله تعالى جعلها مما وعد فيه آدم في الجنة ...

☆نلاحظ أنه قابل الجوع بالتعري، فما المناسبة؟

المقابلة هنا حسية معنوية ، فالجوع هو خلو البطن والعري خلو الظاهر فهما متناسبان من هذا الوجه .والضحى هو وقت النهار أو وقت حرارة الشمس ، فالظمأ هو إحراق الباطن فهو موجب لحرارة الباطن ، والضحى هو إحراق الظهار فهو موجب لحرارة الظاهر ، فقابل الخلو بالخلو والإحراق بالإحراق ، واقتضت الآية نفي جميع الآفات ظاهرا وباطنا في الجنة ، فليس في الجنة آفة .

☆هنا دلالة على أن الستر والحياء خير في الدنيا ونعيم في الجنة ، وهي مما شرعه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فهذا يدل على عظمته وأهميته وامتن الله فيه على آدم (قد انزلنا عليكم لباسا) .

☆ومن الفوائد العظيمة في هذه الآية أن من عظيم شأن الستر أن الله جعله من نعيم الجنان ، فليس العري نعيما ولو كان نعيما لجعله لأهل الجنة ، فالعري سيء في الدنيا وفي الآخرة. ولو قيل لك ما هو الشيء الذي حرمه الله في الدنيا والآخرة على المؤمنين فإنك تقول العري ، بينما حرم الله الخمر في الدنيا وأحلها في الآخرة .

☆فانظروا إلى أهمية قضية العفاف والحياء الذي نواجه فيه مخالفات لا تنتهي ، فما بال أهل الإيمان يقعون في مخالفاته وهم يعلمون أن الله عزوجل وعد أهل الجنة ألا يعرون وأن اللباس من نعيم أهل الجنة .

☆في هذه الآية سؤال عجيب ،وهي لم يقل إن لك أن تشبع فيها بل قال إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا بمعنى في الجنة يرتوون ولهم فيها ما يشتهون لكن التعبير هنا لطيف جدا وهو أن الاكتفاء بالزاد يؤدي الغرض والشبع مرض ولم يقل أن تشبع لأن الشبع تخمة وتعب ومرض . إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا لكنك في الآخرة تأكل ما تشاء ، لكن هذا اللفظ يدل على أن الإنسان ينبغي أن لا يصل في الدنيا إلى حال الشبع التام والتخمة التامة ، خاصة في مثل هذا الشهر الكريم .

☆هنا دليل على أن الجوع هو الحدث الذي يهدد البشرية ولذلك وعد الله آدم ألا يجوع في الجنة .

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١)

ولكنه نهاه عن أكل شجرة معينة فقال: وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فلم يزل الشيطان يسول لهما، ويزين أكل الشجرة، ويقول: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ أي: الشجرة التي من أكل منها خلد في الجنة.وهنا دخل إبليس على آدم بمدخل العاطفة والرغبة في الخلود وكأنه اكتشف في هذا المخلوق أنه يطمح للخلود والبقاء ويخشى من الموت بفطرته ، فجاءه من الباب الذي هو ضعيف فيه ويتطلع إليه ،وهكذا الشيطان في كل معصية.

وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى أي: لا ينقطع إذا أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتر به آدم، وأكلا من الشجرة فسقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم، وهذا دليل على أن الإنسان بطبيعته الفطرية يحب الستر ولا يحب التكشف ، ويؤكد ذلك أن الطفل الصغير يخجل من التعري كأن الله تعالى جعل ذلك فطرة في آدم وذريته.

فوائد وهدايات:

☆العجيب أنه هنا خطاب آدم الا يجوع ، فالمرأة تبع لزوجها ، وحواء تبع لآدم ، ولهذا قال في الآية فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ولم يقل فوسوس إليهما وذلك لأن آدم هو المقصود

ابتداء وحواء تابعة له . وفي هذا دليل على اقتداء المرأة بزوجها عادة في الصلاحأاو الفساد ،فإذا صلح الزوج صلحت العائلة ،وقد تكون المرأة أعظم صلاحا من زوجها ولكن الغالب أن المرأة تبع لزوجها ، ولهذا قال إن المنافقين والمنافقات ، المؤمنين والمؤمنات . فالمؤمنة تبع للمؤمن ، وقد يكون الزوجة مؤمنة والزوج كافر كآسية وفرعون .

☆ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ، هنا دليل على أنه تكلم معهما وهذا يؤكد ان الوسوسة تكون في القول، فشيطان الإنس يوسوس لك قولا صريحا .

☆ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ، فأول طريقة استخدمها الشيطان بالإغواء هي تغيير الأسماء وعرض المحرمات في صورة مغريات ، أسلوب شيطاني خبيث يصور المعصية على أنها تخضر ورقي .. فيكون الإنسان في هذه الخيالات التي توقعه في المحرمات . فينبغي أن يكون الإنسان عالما بالحق وحقائق القرآن .

☆ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ، دليل على أن إبليس علم من طبيعة آدم أنه يحب الحياة ولا يحب الموت فجاءه من حيث يحب . فطمع آدم بذلك، فهذا أسلوب خبيث من أساليب الشيطان أنه يعرض المحرمات بصورة مغرية مباحة مشوقة مرغوبة.

☆ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا يدل على أن أعظم ما يسعى إليه الشيطان هو كشف سوءات بني آدم ، فآدم لم ينزع سوءاته ولكن إغواؤه سبب لأن نزع عنه سوءاته . فدل على أن من أعظم ما يسعى إليه الشيطان هو نزع اللباس والتعري وهذا ما نراه اليوم في الدنيا كلها.

☆ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ، فلم يستسلما رغم هول الصدمة فهم نهضا يستتران بالأوراق ويعترفان بالذنب ويبادران بالتوبة . فالإنسان إذا سقط في معصية عليه مباشرة أن ينهض فيصلح خطأه ويتوب إلى الله ويبادر إلى طاعته.

☆ما أسرع شؤم المعصية وعاقبتها ، مجرد ذوق ، تكشفت عوراتهما.

☆ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ، أين حواء ؟ لانها تبعا له وكما قلنا أن آدم هو المقصود هنا ابتداء وأن الشيطان يريده هو ، وهذا يدل على أن آدم كان قدوة لزوجه فلما أكل أكلت وقيل انها أكلت قبله فكانت هي الدافع له كما في بعض الروايات ولم يرد في ذلك حديث صحيح ، ظاهر اللفظ أن آدم أكل لكن لم يظهر من بدأ أولا .

☆هنا لطيفة ذكرها ابن عطية رحمه الله فيقول: لم يذكر المرأة (حواء) وذكر معصية آدم لأنه في العادة الذي يشهّر به والمرأة حرمة مستورة فأراد الله الستر لها ،وهذا ظاهر أن المرأة لا يشهر بها في المخالفات كالرجل لضعفها ولأنها في الأصل مستورة ، فكما أن الله أراد أن يسترها ظاهرا أراد أن يسترها باطنا وهذا من كرامة الله للمرأة .

☆هنا ناخذ منها حكم شرعي ، إن كشف مرأة على سوء فلا يشهر بها بمعنى لو قبض رجل وامرأة على خلوة غير شرعية فإنه يؤخذ الرجل بالجهر ويحال بالمحاكم ويستر على المرأة ، هذا هو الأصل.

ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)

وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى فبادرا إلى التوبة والإنابة، وقالا: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ فاجتباه ربه، واختاره، ويسر له التوبة فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها، وهكذا المؤمن التائب الصادق ، بعد التوبة أحسن منها قبلها ،ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمت النعمة عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها والاعتراف، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرابط الملازم لهم، ليلا ونهارا يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمنون.

فوائد.وهدايات :

☆ هنا فائدة من أحل الفوائد وهي أن منزلة العبد إذا عصى ربه فتاب توبة نصوحة صادقة وشمر عن ساعد الجد في فعل الخيرات والمسارعة إلى أعلى الدرجات فإنه أرفع منزلة من قبل ، بمعنى إذا صدق وبدل السيئة بالحسنة وسارع إلى مرضاة ربه فإن الله يجتبيه .

☆ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ ، ثم هنا للتراخي ، توبة وعملا صالحا وإثبات صدقه . والاجتباء هنا تدل على أنه قد اختاره واصطفاه ، ولعل هذا هو موضع تكريمه بالنبوة ولهذا قال فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ.فما أعظم وأجل أن الإنسان إذا عصى ربه ولا بد أن يعصي لان كل ابن آدم خطاء حتى لو كان نظرا حراما أو غيبة أو سماع حراما أو ظنا سيئا أو نحو ذلك ثم تاب صدقا فإن الله عزوجل يغفر له ويجتبيه إذا سارع في طاعة الله أكثر مما كان قبل ذلك .وهذه من أعظم دلائل رحمة الله بعباده المؤمنين أن الله يجتبهم بعد معصيتهم ويتوبوا ويسارعوا .

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣)

يخبر تعالى، أنه أمر آدم وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأن يتخذوا [آدم وبنوه] الشيطان عدوا لهم، فيأخذوا الحذر منه، ويعدوا له عدته ويحاربوه، وأنه سينزل عليهم كتبا، ويرسل إليهم رسلا يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، ويحذرونهم من هذا العدو المبين، وأنهم أي: وقت جاءهم ذلك الهدى، الذي هو الكتب والرسل، فإن من اتبعه اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهي عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة.

وقد نفى عنه الخوف والحزن في آية أخرى، بقوله: فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ واتباع الهدى، بتصديق الخبر، وعدم معارضته بالشبه، وامتثال الأمر بأن لا يعارضه بشهوة.

فوائد وهدايات :

☆لا سبيل للتحرز من عداوة الشيطان ووسوسته إلا باتباع هدى الرحمن ، دل على أن أبعد الناس من عداوة الشيطان هم المتبعين لهدى الرحمن .

☆المعصية خطرها عظيم ، قد تكون سببا في هبوط الإنسان وهو لا يشعر قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّ، هكذا المعاصي تنزل من قدر صاحبها إلا أن يتوب توبة صادقة يصحبها بعمل صالح ويسارع إلى مرضاة ربه .

☆وصية آدم لذريته فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ، اتبعوا هدى الله ولا تتبعوا هدى الشيطان . فإن طلب الهدى هو الأصل الذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان في الحياة الدنيا لأنه أمر ربه . ومن أعظم ما أكرمنا الله به باتباع الهدى أنه جعل جزاؤه عظيما فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ، وإذا نفى عنهم الضلالة والشقاء تضمن عكسه وهو كمال الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة .، فالهدى والسعادة متلازمان والضلال والشقاء متلازمان .وكثير ما يقرن سبحانه وتعالى ما بين الضلال والشقاء في القرآن ، وما بين الهدى والفلاح . وقد جمع سبحانه بين الأمور الأربعة في قوله فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا.

☆الشقاء لا يكون بفقد الدنيا ونقصانها إنما بفقد الدين ونقصانه لأن الله تعالى قال فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ، بمعنى الذي يشقى هو الذي عصى الله .

☆هنا وعد من الله لأهل القرآن ، فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ، قال ابن عباس أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة .

☆فكيف يضل صاحب القرآن ومعه هدي ربه وكيف يشقى وهو مع كلام الله الذي بذكره تطمئن القلوب . فإن حقيقة السعادة هي عمارة القلب بالقرآن فهو حياة وهدى ونور وشفاء لما في الصدور . فصاحبه لا تضره فتنة ما دام مستمسكا بهذا النور بإذن الله، فكل من اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما سلم من الضلالة والبدعة وارتفع في حقه شقاء الآخرة بإذن الله إذا مات على ذلك .فإن الشقاء هو بالضلال عن دين الله ، وليس الشقاء أن ينقص عليك شيء من أمر الدنيا فليس هذا شقاء.

☆إن أيسر الناس حياة وأوفرهم حظا في الدنيا المتبعون لهدى الله على الصراط المستقيم فعلى قدر حظك بالهداية يكون حظك بالسعادة .

☆هذه الآية تلخص لك أهم قضية عند البشر وهي قضية السعادة فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا.

☆هناك دراسة تقول أن أهل القرآن أقل الناس مراجعة للعيادات النفسية .

وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ (١٢٤)

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به والجحود والتكذيب ونحو ذلك ، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابا.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، فما أسعد أهل الذكر في قبورهم ، فإن الذكر نور لهم وسعادة وسرور وسعة ، وأعظم الذكر هو كتاب الله الذي يأتي صاحبه إلى القبر،فيقول من أنت

..فجيء بالحديث أنه القرآن أو العمل الصالح.وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر.

والثانية قوله تعالى: وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ الآية.

والثالثة قوله: وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ،

والرابعة قوله عن آل فرعون: النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا الآية.

والذي أوجب لمن فسرها بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على ذلك –والله أعلم– آخر الآية، وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم القيامة.

وبعض المفسرين، يرى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها.

وَنَحْشُرُهُ أي: هذا المعرض عن ذكر ربه يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى البصر على الصحيح، كما قال تعالى: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا .

فوائد وهدايات:

☆هنا قال وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ، ولم يقل القرآن لأنه فيما أنزله من هدى تذكيرا للإنسان ويحذره ويعظه ويكون على ما يرضي الله عزوجل ، فكيف تشقى .فما أعظم سورة طه أولها سعادة وآخرها سعادة . أولها ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وآخرها فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ.

☆إن أعظم قضية في القرآن هو اتباع الهدى ، بمعنى أن قضية القرآن تتلخص باتباع الهدى وليس في تلاوة اللفظ .فحري بنا في هذا الشهر أن نقرأ لاتباع الهدى .

☆نعوذ بالله عن الإعراض عن ذكر الله لإن الإعراض عن ذكر الله ظلام ومعيشة ضنكا وقلة بركة وضياع وقت .

☆المعيشة الضنك هي أن كل أحواله في سوء ، فقال الضحاك العمل السيء والرزق الخبيث وقيل هي الحرام فتكون حياته كلها في حرام .

☆إن أعظم مصدر للقلق في الحياة هو الإعراض عن ذكر الله ، وأجمل فوائد الذكر أن يكون القلب حيا مع الله فنعوذ بالله من الإعراض وأن يجعلنا من أهل الذكر .

☆الضنك كلمة ثقيلة على اللسان ، فكيف إذا صاحبها وعاشها الإنسان . وإذا نظرنا في حروفها ، فإن الضاد ضيق والنون نكد ، والكاف كدر . قال ابن عباس الضنك الشديد من كل وجه في الدنيا والبرزخ والآخرة .

☆الإعراض عن ذكر الله عاقبته سيئة والإقبال على ذكر الله عاقبته جميلة .

☆إذا شعرت بالضيق والضنك في العيش فراجع علاقتك بذكر الله والقرآن دائما ، ومعصية الله سبب رئيسي لكل ضنك وحزن وحياة سيئة .

☆الهدوء النفسي لا يكون إلا بذكر الله .

☆ذكر بعض أهل العلم أن الضنك هو عذاب القبر والآية عامة.

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرا (١٢٥)

قال على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ في دار الدنيا بَصِيرًا فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة.

فوائد وهدايات :

☆هنا دليل على أن الجزاء من جنس العمل فمن أقبل وأبصر آيات الله بالاعتبار والعمل فيها أقبل الله عليه بمغفرته وثوابه وكان مبصرا في الآخرة ومن أعرض عنها فإنه ينساه الله ويتركه ويكون في الآخرة أعمى.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا بإعراضك عنها وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى أي: تترك في العذاب، ونعوذ بالله من نسيان ذكر الله تعالى. فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت في الدنيا عن ذكر ربك، وغشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، ونسيك في العذاب.

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ (١٢٧).

وَكَذَلِكَ أي: هذا الجزاء نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ بالمعاصي وارتكاب المحارم بأن تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوز ما أذن له وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ الدالة على جميع مطالب الإيمان دلالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها، وإنما السبب إسرافه وعدم إيمانه.

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ من عذاب الدنيا أضعافا مضاعفة وَأَبْقَى لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب الخوف والحذر من عذاب الآخرة.

فوائد وهدايات :

☆إن الإسراف في الذنب بعيد عن ذكر الله فلا تجد إنسان يسرف في ذنبه وهو كثير الذكر حقا .

☆إن الإيمان بآيات الله واتباع هدى الله وتلاوة كتاب الله والتمسك بالقرآن أعظم سبب في سلامتنا من العصيان ومن البلاء كله.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن حقا ونعوذ بالله من الضلال والغفلة والاعراض.

والحمد لله رب العالمين ....

الورد السابع عشر والأخير

الآيات (١٢٨-١٣٥)

أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ (١٢٨) وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى (١٢٩) فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ (١٣١) وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ (١٣٢) وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِأٓيَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ (١٣٣) وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ (١٣٤) قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ(١٣٥)

هذه الآيات كأنها موعظة والقرآن كثيرا ما يأتي في ختام السور مواعظ كما في ختام سورة آل عمران والأنعام والتغابن والمنافقون والصف.. كثيرا من ختام السور مواعظ وتذكير وتوصيات ،فحري بنا أن ننظر إلى هذه الخواتم وأن نتأملها ونتدبرها لنذكر أنفسنا وهذه الآيات هي تذكير وتنبيه وتحذير.

أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ (١٢٨)

أي: أفلم يهد هؤلاء المكذبين المعرضين عن القرآن بعد هذا البيان البيّن التام ، ويدلهم على سلوك طريق الرشاد، وتجنب طريق الغي والفساد، ما أحل الله بالمكذبين قبلهم، فإن

سماع قصص السابقين وهلاكهم خير موعظة وخير هداية وهذا يدل على أن من أعظم مواضع الهداية في كتاب الله النظر إلى سنن الاولين وما كان من عاقبة أمرهم ، من القرون الخالية، والأمم المتتابعة، الذين يعرفون قصصهم، ويتناقلون أسمارهم، وينظرون بأعينهم، مساكنهم من بعدهم، كقوم هود وصالح ولوط وغيرهم، وأنهم لما كذبوا رسلنا، وأعرضوا عن كتبنا، أصبناهم بالعذاب الأليم؟

فما الذي يؤمن هؤلاء، أن يحل بهم، ما حل بأولئك؟ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر* أم يقولون نحن جميع منتصر لا شيء من هذا كله، فليس هؤلاء الكفار المعاصرين، خيرا من أولئك، حتى يدفع عنهم العذاب بخيرهم، بل هم شر منهم، لأنهم كفروا بأشرف الرسل وخير الكتب، وليس لهم براءة مزبورة وعهد عند الله، وليسوا كما يقولون أن جمعهم ينفعهم ويدفع عنهم، بل هم أذل وأحقر من ذلك، فإهلاك القرون الماضية بذنوبهم، من أسباب الهداية، لكونها من الآيات الدالة على صحة رسالة الرسل الذين جاءوهم، وبطلان ما هم عليه، ولكن ما كل أحد ينتفع بالآيات، إنما ينتفع بها أولو النهى، أي: العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والألباب التي تزجر أصحابها عما لا ينبغي.

فوائد وهدايات :

☆ في قوله أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۚ فيه دليل على أن تاريخ الأمم الغابرة وقصص السابقين والنظر فيها سبب من أسباب الهداية والإتعاظ ، فهي موعظة تهديك إلى رب العالمين .

☆إن إهلاك القرون الماضية بذنوبهم من أسباب الهداية لكونها من الآيات الدالة على صحة رسالة الرسل الذين جاءوا ببطلان ما عليه الكافرون المكذبون.

☆وفي قوله تعالى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ فيه دليل على علو منزلة أهل العقول الصافية المقبلة على الحق وتمييزهم على غيرهم ، ولهذا أشار إليهم بعلامة البعد إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لَأٓيَٰت لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ للإشعار ببعد منزلتهم وعلو شأنهم ، فما أعظم العقل حينما يتعظ ويتأمل سنن الله عزوجل وينظر في عاقبة المكذبين فيعتبر، هذا هو العقل الذي منعه عقله من مخالفة أمر الله تعالى .

وَلَوۡلَا كَلِمَة سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاما وَأَجَل مُّسَمّى (١٢٩)

هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين من قومه لأنه لولا أمر الله وتأجيله لهم وإمهالهم لهم لأخذهم بالعذاب، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صالح لحلول العذاب بهم، ولزومه لهم، لأن الله جعل العقوبات سببا وناشئا عن الذنوب، ملازما لها، وهؤلاء قد أتوا بالسبب، ولكن الذي أخره عنهم كلمة ربك، المتضمنة لإمهالهم وتأخيرهم، وضرب الأجل المسمى، فالأجل المسمى ونفوذ كلمة الله، هو الذي أخر عنهم العقوبة إلى إبان وقتها، ولعلهم يراجعون أمر الله، فيتوب عليهم، ويرفع عنهم العقوبة، إذا لم تحق عليهم الكلمة. وهذا يدل على أن الإنسان إذا واجه ما واجه من التكذيب أو الإعراض أو شدة الكفر أو الضلال فإنه يستعين على ذلك بالصبر واليقين و بالتسبيح لله رب العالمين والإقبال على نفسه وصلاته.

فوائد وهدايات :

☆وفي قوله وَلَوۡلَا كَلِمَة سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ، فيه بيان حكمة عدم وقوع العذاب على كثير من الذين عصوا الله عزوجل ، وهو لأن الله يؤخرهم إلى أجل مسمى.

فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ (١٣٠)

أمر الله رسوله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته، لعلك إن فعلت ذلك، ترضى بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر.

فوائد وهدايات :

☆في قوله تعالى فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ دليل على أن المؤمن لن يسلم من طعن أهل الباطل وأن أهل الإسلام لن يسلموا من قول أهل النفاق والكفر والضلال ولن يسلموا من أذية ألسنتهم ولكن في حسن الصبر منجى للمؤمنين من سهام أولئك الطاعنين المؤذين فلا نظن أن ما نسمعه اليوم من أذية للإسلام وأهله وقول باطل وزور ، لا نظنه بدعة من القول على من سبقنا بل إن هذا هو الذي قيل للرسل من قبلنا .

☆أنظروا كيف أن لله أمر بالتسبيح والصبر ، فالإنسان قد لا يستطيع أن يتحمل وأن يصبر ، فما الذي يعينه على الصبر ؟ التسبيح وذكر الله تعالى . فإن الذكر والتسبيح يفيد السلوة والراحة إذ لا راحة للمؤمنين إلا بذكر الله تعالى والنظر إلى موعوده . من هنا نعلم أن الإنسان في حياته الدنيا يحتاج إلى الصبر والذي يعينه على الصبر هو ذكر الله تعالى وأعظم الصابرين هم المتصلين بربهم وبذكر الله تعالى ، فهنيئا لأهل الذكر فإن صبرهم يهون ويعانون عليه بذكر الله وإقام الصلاة .ولهذا قال وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ثم أمره بالصلاة.

☆بعض الازمات ليس لها إلا الصبر فلا تجهد نفسك في البحث عن حلول هنا أو هناك ، إنما الله أرادها ليختبر صبرك وينظر كيف هو يقينك وتعلقك بالله ونظرك للدار الآخرة وموعود الله .

☆في قوله فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ يدل على أن كثرة التسبيح سبب من

أسباب الرضا ، فالإنسان إذا أراد أن يعيش حياة الرضا واليقين والقناعة وأن تقر عينه فعليه بطول الصبر وطول التسبيح فإن ذلك يصل به إلى مرتبة الرضا ، ومن تمام الرضا بالله الرضا بقضائه وقدره.

☆كثيرا ما نسمع قول سيئا جارحا فعلينا ألا نردها بكلمة مثلها وإنما نطفؤها بالصبر والتسبيح فيذهب ألمها، فإذا ما سمعت كلمة تؤذيك من أحد من الناس فلا تلتفت لها وانشغل بذكر الله وحمده لأن التسبيح تنزيه فأنت تنزه نفسك عن هذا الكلام السيء لأن الله أمرك بذلك فهو من تنزيه الله أن لا تنطق إلا بما يرضيه والثناء على الله ، ذلك أعظم ما يقع في نفسك من التسلية والأنس بذكره وحمده .

☆قال هنا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ورد الليل هنا بجميع أجزائه آناء الليل والنهار بطرفيه ، وذلك لأن النهار محل شغل وبحث عن الرزق فينشغل الإنسان به عن التسبيح أما الليل فمحله سكون وراحة وفراغ وخلوة، فيكون متفرغ للتسبيح والذكر في أي وقت من أوقاته.

☆وربط التسبيح هنا قبل الشروق بقوله قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ إشارة إلى أنه ينبغي للمسلم أن يبدأ يومه بذكر ربه ليتبارك بذلك ويتحصن به ويستعين به .

☆التسبيح سبيل للرضا النفسي فهذه الآية تكشف السر بين هاتين الظاهرتين وكيف يكون التسبيح في سائر اليوم سببا من أسباب رضاك النفسي في ذلك اليوم، فأهل التسبيح وأهل الشروق وأهل الفجر يحفظهم الله تعالى في يومهم .

☆وجمع هنا بين التسبيح والحمد لأن التسبيح فيه نفي والحمد فيه إثبات فالتسبيح نفي المعائب والحمد إثبات المحامد وذلك يتضمن التعظيم .

☆في قوله وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ يدل على فضيلة صلاة الصبح والمغرب لأنهما هما الصلاتين اللتين في أطراف النهار ، ويدل على أوقات الذكر وهما طرفي النهار بعد الفجر وقبل الغروب وأكد ذلك القرآن في مواضع .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١)

أي: لا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها – بقطع النظر عن الآخرة – القوم الظالمون، ثم تذهب سريعا، وتمضي جميعا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملا، كما قال تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا* وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا

كان هذه الآية إشعار بأن المؤمن صاحب الرسالة وصاحب الحق الذي يدعو إلى الله ، إذا رأى الناس وإذا رأى العالم من حوله منصرف إلى دنياه وإلى زخرفه وإلى ما في هذه الدنيا من مصالح ومعرض عن ذكر الله يأسى ويحزن وكأنه يقول كيف هؤلاء يلتفتون إلى الدنيا وينسون الآخرة ، فكأن الله يقول لا يهمك أمرهم أو شأنهم .

وَرِزْقُ رَبِّكَ العاجل من العلم والإيمان، وحقائق الأعمال الصالحة، والآجل من النعيم المقيم، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم خير مما متعنا به أزواجا، في ذاته وصفاته وَأَبْقَى لكونه لا ينقطع، أكلها دائم وظلها، كما قال تعالى: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى

وفي هذه الآية، إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا، وإقبالا عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا. يقارن بين ما رزقه الله من الخير والصلاح والهدى والعلم النافع والعمل الصالح وبين زينة الدنيا فكم هو الفرق بين الثرى والثريا.

فوائد وهدايات:

☆ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ هذه الآية تدلنا على مقصد من مقاصد القرآن فكما أن القرآن يدعو إلى غض البصر عن المحرمات والعورات فإنه يدعو إلى غضها عن مناظر الفتنة من زينة الدنيا والحقيقة أن كثيرا من مشاكلنا في الحياة سببها إطلاق النظر وضعف تحكمنا فيه، فتكون نفوسنا سجينة لتلك المناظر فتتحول تلك المناظر إلى أمنيات مشغلة نحاول تحقيقها وهذه المشاكل كانت ستنتهي بصرف النظر عنها إلى ما هو أعظم منها وهو ذكر الله أو رزق الله الذي رزقنا بدينه وهدايته وفضله وتوفيقه.

☆التطلع إلى ما عند الله من الخير والهدى والعمل الصالح وفضله ورضوانه خير للمؤمن من الإستشراف إلى زينة الدنيا الصادة عن ذكر الله ، فقلّ من تجد من إنشغل بزينة الدنيا تجده آنس بطاعة الله . فالدنيا ملهية فلم التعلق الزائد بها فضلا عن أنها عرض زائل وما عند الله باق خالد .

☆مجالس المساكين توجب رضا من يجالسهم برزق الله وتعظم عنده نعمة الله عليه بنظره إلى من دونه ومجالس الأغنياء في بيوتهم وغشياتهم في أنديتهم توجب التسخط بالرزق ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه فقلّ أن يدخل إنسان ولو كان من الصالحين إلى بيوت فارهة إلا ويتطلع وتمتد عينه إلى ما يرى من الزينة . فهنا الله تعالى نهى نبيه عليه الصلاة والسلام وهو خير الخلق وأعظمهم تعلق بالله فقال له وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجا مِّنْهُمْ .هذا دليل على أن الإنسان مهما كان صالح تتطلع عينه إلى الدنيا لو انشغل مع

أهلها وخالطهم ، كلما قللت من مخالطة الاغنياء وأهل الثراء والجلوس معهم كان ذلك سببا في قناعتك ورضاك وكلما أكثرت كان سببا في طغيان عينك وتطلعك .

☆الآية تعطيك خلقا عظيما وهو القرآن الذي يهديك للتي هي أقوم ، فالقرآن ينهاك إلى التشوف إلى ما في أيدي الناس وتعلقك بما عند الله، فالقرآن يربيك على ترك التشوف وقطعه إلى ما في أيدي الناس والتشوف إلى ما عند الله ، وكفى بذلك تربية يربيك عليها كتاب ربك .

☆هذه الآية وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجا مِّنْهُمْ علاج للقلوب الحاسدة والتي يزعجها ما يتمتع به الآخرون ، فإذا كنت ترى في نفسك حسدا للآخرين على ما أوتوا من زينة الدنيا فإن أعظم ما يصرفك عن ذلك أن تقرأ هذه الآية .

☆إن أعظم ما يفتن الناس اليوم هي زينة الحياة الدنيا ۙ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ فاحذروا أن تنفتنوا بالدنيا وتنشغلون بها .

☆لو كان القرآن هو خلفيتنا الفكرية بحقائقه الراسخة لاختلفت نظرتنا في الحياة إلى درجة أن تعتبر الشيء عكس ما كنت تعتبره من قبل ، فالقرآن يعطيك تصورات وحقائق هي الحق والحقيقة بينما الحياة الدنيا تعطيك بمظاهرها ظنون عكسية.

☆حينما تعيش مع القرآن حقا ستعتبر المترفين يعيشون في الدنيا حالة فتنة واختبار وامتحان، فتنظر لهم بعين الشفقة والرحمة وأنت ترى لهثهم في هذه الحياة واهتمامهم بها وسعيهم لها وترك الآخرة وهم مقبلون عليها، وقد كنت من قبل تنظر إليهم بعين الغبطة ، ما أسعدهم وحظهم بما هم فيه ، وربما تحسدهم لأنك كنت تعتبر انفتاح الدنيا عليهم نعمة صافية لا يشوبها كدر ولا ينتظرهم فيها حساب.حقيقة هناك أشياء كثيرة ستتغير نظرتنا لها فقط حينما ننظر ونتدبر كتاب الله تعالى وتكون خلفيتنا للنظر للحياة هي ما يوجهنا إليه القرآن .

☆إن قوله وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ، ولم يقل ولا تنظر فالنظر لا بد منه لكن القضية متعلقة بمد البصر الذي يقتضي الإدامة بخلاف النظر فقد لا يستلزم الإدامة والإستحسان والتعجب ونلاحظ أن العين لا تمتد وإنما الذي يمتد النظر ، هنا مبالغة في النهي فإياك أن تحدق النظر في هذه الدنيا، أنا مجرد النظر الذي لا يتحرك فيه القلب والفكر فهذا أمر ليس فيه ملامة. فالنظر الحرام هو الذي فيه تركيز و تفكير ولهذا قال علي رضي الله عنه :لك الأولى وليست لك الثانية .

☆استنبط العلماء من هذه الآية أن النظر غير الممدود معفو عنه .

☆في قوله تعالى لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ نلاحظ كلمة لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ دليل على أن زينة الحياة الدنيا فتنة وهنا دليل على أن الطريق إلى حسن العمل ترك زينة الدنيا لأن لا بد للإنسان من اهتمام فإما يصرفه بزينة الحياة الدنيا وإما يصرفه بالعمل الصالح.

☆الفتنة متعلقة هنا بمتعنا فجيء به للتنفير عنه وبيان سوء عاقبة التنعم في الدنيا وأنه سبب للفتنة فلا تغتر ولا تحزن .

☆في قوله وَرِزۡقُ رَبِّكَ، رزق ربك هو رزقك في موضع سجودك لهذا قال وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ، وبعضهم قال ما أعظم الصلاة مسبوقة برزق ومتبوعة برزق ومحفوفة بالأرزاق فأهل الصلاة هم أهل الأرزاق حقا وليس الأرزاق هي الأموال وإنما هو التوفيق ورضا رب العالمين والتيسير في الحياة والصلاح للذرية والبركة في المال. . فهذه الأرزاق التي يشعر بها الناس ، فأهل الصلاة لهم أرزاق تختلف عن أرزاق أهل الدنيا ومن ذلك إنها تقر أعينهم ويرتاح بالهم وتنشرح صدورهم في الدنيا ، فالحياة كلها من أجل انشراح الصدر والسعادة فأولئك يشقون بالمال من غير سعادة وهؤلاء يتعبون من أجل رضا ربهم لكنهم يجدون السعادة.

☆هذه الآية تصور لنا الواقع وكيف أن الاعلام اليوم تفنن بعرض زينة الدنيا وجذب الناس إليها وتحسينها وفتنتهم فيها فلا نرى الإعلام إلا ما رحم الله يلفت أنظار الناس إلى زينة الطاعة وذكر الله ولذلك ينبغي على الإنسان في هذه الحياة وفي هذا الشهر الكريم أن ينأى عن هذه الوسائل التي تعرض الفتنة سواء كانت محرمة وهذا لا شك فيه وإن مانت حلالا في الأصل لكنها صرفت عن طاعة الله.

☆وإذا أراد الإنسان أن يكون في مأمن فعليه أن يتبع هدى الله ويكثر من قراءة وتدبر كتاب الله .

☆هذه الآية تطلعنا بأنه إذا أعطاك الله نعمة تصلح بها آخرتك فلا تأسى ولا تأسف على ما فاتك من الدنيا .

☆ولقد جاء في الأثر أن من أعطاه الله القرآن فوجد أن غيره خيرا منه فقد صغّر ما عظم الله وعظّم ما صغر الله .

☆من فوائد هذه الآية النهي عن إطالة نظر العين إلى الغير إعحابا أو نحو ذلك فلا ينبغي للإنسان أن يطيل النظر في عين أحد لأن ذلك مما يزيد الحسد في النفوس. إلا إذا كان هذا الشخص من أهل الطاعة فيكون نظره إليه يقربه إلى الله كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يأنسون بالنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنظر إلى أهل الطاعة والعلم بعلمهم وذكرهم ومعرفتهم بربهم وكلماتهم التي تنبثق من نور الله، لا شك أن هذا مما يؤنس الإنسان ويقربه إلى ربه .

☆الرزق كله من الله، وأضافه إلى الرب، لأنها إضافة تشريف دل على رزق خاص وليس المال ورزق ربك هو القرآن .ودل على أن أرزاق الحياة أعظمها القرآن لأنه خير وأبقى .خير لك في الدنيا في كل أمورك وفي صلاح شأنك وأخلاقك وانشراح صدرك وبركة عمرك وأبقى لك في أجرك ومنزلتك عند الله تعالى ، أما الدنيا فلا تعطيك إلا اليسير .

☆ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ، نلاحظ تشبيه الدنيا بالزهرة ولم يشبهها بثمرة عظيمة وأنت إذا قطفت الزهرة لا تبقى معك يوم فجمالها يذهب ثم تذبل وتموت كأن الله يشعرنا بأن الناس يتذوقون الدنيا كشم الزهرة والنظر إليها فترة ثم تذهب .

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)

كأن الله تعالى يقول حينما ترى إعراض المعرضين فاستمسك بنفسك وبمن حولك وأهلك واحرص على صلاحهم أي: حث أهلك على الصلاة، وأزعجهم إليها من فرض ونفل. والأمر بالشيء، أمر بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمرا بتعليمهم، ما يصلح الصلاة ويفسدها ويكملها.

وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مشق على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائما، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع، ثم ضمن تعالى لرسوله الرزق، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه، فقال: نَحْنُ نَرْزُقُكَ أي: رزقك علينا قد تكفلنا به، كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واشتغل بذكرنا؟! ورزق الله عام للمتقي وغيره، فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية، وهو: التقوى، ولهذا قال: وَالْعَاقِبَةُ في الدنيا والآخرة لِلتَّقْوَى التي هي فعل المأمور وترك المنهي، فمن قام بها، كان له العاقبة، كما قال تعالى وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

فوائد وهدايات:

☆ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ وذلك لأن الصلاة عمود الدين بحصنك وكأنه سورة عظيم أمام تلك الملهيات والمنكرات ولهذا قال الله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

☆ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ بمعنى أن الصلاة تحتاج إلى إصطبار لأنها خمس مرات في اليوم و لهذا موسى عليه السلام حينما جا النبي صلى الله عليه وسلم يوصيه أن يراجع ربه قال إن أمتك لن تطيق ذلك ، فالصلاة تحتاج إلى معالجة وإلى صبر ولكنها هينة ولذيذة لمن شرح الله صدره وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين.

☆ نَحۡنُ نَرۡزُقُكَ هذه الكلمة حينما تمر بك ضائقة أو يضيق عليك الحال فإن هذه الكلمة تفتح لك الآمال والآفاق .

☆ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ، هنا دليل على وجوب أن أكبر مسؤولية للوالدين هي أمر أولادهم بالصلاة بعد التوحيد ، تلك الأم الصالحة التي همها الأكبر أن تتتبع أولادها وتأمرهم ، والله إن عملها هذا لهو من أعظم الأعمال ، وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ، وإنها ستجد من الحياة الطيبة والسعادة والتوفيق في نهاية أمرها ، وستجد من أبنائها من يسعدونها في حياتها.

☆ نَحۡنُ نَرۡزُقُكَ يدل على أنه لا ينبغي لك أن تبحث عن طريق الرزق إلا ما يرضي ربك أما طرق الشيطان فاحذرها فإنها لن تغنيك .

☆النبي صلى الله عليه وسلم طبق الامر فقد كان يعتني عناية خاصة بالصلاة ويأمر بها ، فالصلاة هي محور حياتكم بهذا أمركم الله، فإذا أردت أن يستقيم حال بيتك فالجأ الى الصلاة .

☆ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ دليل على أن التقوى هي ملاك الامر وغايته فعليك بالتقوى التي هي مراقبة الله في سرك وأمره ونهيه واجعل أمرك كله لربك .

وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِأٓيَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ (١٣٣) وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ (١٣٤) قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ (١٣٥)

هذه الآيات كأنها تدل على إصرارهم وضلالهم وبُعدهم وأنهم لا تنفعهم الآية أي: قال المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم: هلا يأتينا بآية من ربه؟ يعنون آيات الاقتراح كقولهم: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا

وهذا تعنت منهم وعناد وظلم، فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله.

ولأن قولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب وافتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرات، ما يحصل ببعضه المقصود، ولهذا قال: أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليله، بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى أي: هذا القرآن العظيم، المصدق لما في الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت به، وتصديقه أيضا مذكور فيها، ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله تعالى: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعرضون عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ* وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ .

وإنما الفائدة في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى بالعقوبة، فها قد جاءكم رسولي ومعه آياتي وبراهيني، فإن كنتم كما تقولون، فصدقوه.

قل يا محمد مخاطبا للمكذبين لك الذين يقولون تربصوا به ريب المنون قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فتربصوا بي الموت، وأنا أتربص بكم العذاب قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ أي: الظفر أو الشهادة وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ أي: المستقيم، وَمَنِ اهْتَدَى بسلوكه، أنا أم أنتم؟ فإن صاحبه هو الفائز الراشد، الناجي المفلح، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة، وأعداؤه بخلافه، والله أعلم.

فوائد وهدايات :

☆ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ دليل على أن القرآن الكريم أعظم بينة وأنه مهيمن على الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل وسائر الكتب فهنيئا لمن تعلم القرآن فإنه يحوي العلم كله .

☆ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِأٓيَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓ، المعاند عندما يجادلك لا يريد تبيان الصواب بل يريد أن يجعلك في دوامة من الجدال فاتركه .

☆القرآن العظيم بينة واضحة لمن فتح الله بصيرته .

☆إن عقوبة الإعراض عن الوحي سيئة ،ذل في الدنيا وخزي في الآخرة ، فمن أعرض عن ذكر الله ومن لم يتبع آيات الله فإنه سيصيبه الذل في الدنيا والحسرة والخزي في الآخرة .

☆ختم السورة بقوله قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ كم من الحقائق ستنكشف يوما ما لا محالة فتربصوا لكل نبأ مستقر، فإذا وجدت الأمور قد تصعبت عليك وضيق عليك أو وجدت من يعاديك فاترك الأمر كله لله.

☆جاءت هذه الخاتمة للسورة كأبلغ خواتم السورة لإيذانها بانتهاء المحاجة ، ومن محاسنها رد العجز إلى الصدر لأنها تنظر إلى فاتحة السورة ولأن الخاتمة تدل على أنه قد عرض عليهم كل ما بعث إلى الإستدلال فإذا لم يهتدوا به فكفاه أنه ادى الرسالة وبلغ الأمة وذكّر قومه وإن تركوا وضلوا فإنه لا يضره ذلك .

هذه السورة العظيمة هي سورة الهداية والامن النفسي والاغتناء بالقرآن ومن أراد أن يعالج مصائبه وضيق نفسه وهذه الدنيا فعليه بهذه السورة العظيمة .، فكل القرآن شفاء .

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا القرآن لنا هدى وموعظة وذكرى وأن يشرح صدورنا به وأن يجعل هذه المجالس عند ربنا ذخرا وعلو منزلة في صحائفنا .

.

نسأل الله تعالى في ختام مجلسنا أن يجعلنا ممن أنعم الله عليهم بالتوحيد والإخلاص والتقوى والإيمان والعمل الصالح ، وأن يحيينا خالصين مخلصين له .

ونسأله سبحانه وتعالى في ختام هذه السورة أن يحقق لنا ما يريده منا فيها من معرفته وتوحيده والإخلاص له وكره الشرك وأهله.

وأن يجعلنا بالقرآن هداة مهتدين وأن ييسر القرآن بألسنتنا وقلوبنا وأن يبشرنا به ويجعله لنا هدى وبشرى وموعظة وذكرى وشفاء لصدورنا وأن يجعله عصمة لنا من كل شر وبلاء وأن يحفظنا به ويرفعنا به في الدنيا والآخرة .

وأن يجعلنا من أهله الذين هم أهل الله وخاصته .

وأوصيكم في ختام مجالسنا أن تقبلوا على القرآن هداية وتلاوة وتدبرا وموعظة وذكرى فهو خير ما تقضى فيه الأوقات.

وشكر الله لكم وجزاكم الله خيرا على مشاركتكم في هذا البرنامج المبارك وجعله في موازين حسناتكم .

وجزاكم الله خيرا على صبركم ومصابرتكم

و تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أستغفرك وأتوب إليه .....

شكر خاص

لفضيلة الشيخ محمد الربيعة